قاسـيون و الصالحية

مقدمـــــة

دمشق مدينة سليلة المجد ، ومهد الحضارة ، ومنبت الإبداع ، التي واكبت الزمن كأقدم مدن العالم ، وواحدة من عواصمه العربيّة العريقة ، بماضيها وأمجادها . هذه هي دمشق قبلة العشاق وبهجة القلوب ، يأتيها الرحالون ويجوبون في شوارعها وحاراتها وأزقتها ، يستمتعون بهذه المدينة العريقة .

شغفت بها حبا منذ الصبا ، ودام حبي لها زمن الشباب والكهولة ، وسيستمر مدى ما أعطاني ربي من العمر ، دمشق التي حباها الله الموقع الممتاز ، والإقليم المعتدل ، وأعطاها من المياه أنهاراً ، لتشرب منها وتسقي غوطتها ، يطل على دمشق جبل عظيم تلفه القصص والحكايات الأسطوريّة هو جبل قاسيون . في دمشق يتداخل تاريخ الامم والشعوب ففيها تعاقبت الحضارات ، والتحم المتحاربون والتقت اللامبراطوريات القديمة والحديثة لقاءات صراع وصدام أحياناً ، ولقاءات احتكاك وتفاعل احياناً أخرى .. في دمشق صهرت الحضارات وولدت الحضارات .

تمتد المدينة امتداداً واسعاً في سفوح جبل قاسيون وجبل برزة في الشمال ، وتمتد غرباً وجنوباً حتى وادي الربوة وسفح جبال المزة ويصعب تعيين حدود المدينة الحاليّة بسبب الاتساع الشديد للمدينة وتداخل أطرافها مع البلدات والقرى والمجاورة .

كانت دمشق وما زالت كل دنياي ، فتحت عيني على مساجدها ، وأسواقها ، وآثارها ، وتفيأت ظلال بساتينها حين كانت هذه البساتين تجري فيها الأنهار ،

محملة بما لذ وطاب من الفواكه ، ومارست السباحة في نهري يزيد و ثورا ورضعت من لبان العلم في مدارسها ومكتباتها ، وشهد ت مجرى الأحداث في شوارعها وساحاتها .

دمشق هذه المثقلة بالتراث ومخلفات الحضارات من ثقافات وتقاليد ، والمؤسسات الروحيّة والماديّة . فيها من آثار العصور ونتاج الأجداد ، وأوابد ومنشآت تنطق بالجهد الخلاق ، تتجلى فيها حصيلة تطور شتى الفنون والمفاهيم والأذواق . فأمسكت بماضيها وتراثها ، هذا التراث المتجلي في أسوار المدينة ، وفي حاراتها وأزقتها ، وفي أسواقها وخاناتها ، وفي حماماتها وسبلها الفياضة بالمياه ، وفي المدارس ودور العلم ، والجوامع والمآذن والقباب ، وفي كل بناء أو أثر من بناء تفوح منه روائح التاريخ ، وذكريات الأجداد . وقد استوطن دمشق ونزل فيها منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم عدد لا يحصى من الأئمة والعلماء الذين تركوا آثاراً واضحة تدل عليهم .

من ينابيع المعرفة التي نهلت منها في ظلال مدينتي دمشق ، كان عطائي العلمي . فما أعطتني إياه هذه المدينة الخالدة على مدى العصور ، من علم وتجارب وصور، قدمته دراسات وأبحاثاً، لم أتوخَ منها إلا انّ تكون مرآة صادقة لتراث دمشق ، وتاريخ هذه المدينة الخالدة .

ولم يكن من اليسير التحدث عن هذا التراث كله ، والمعلومات عنه قليلة نادرة ، بل هي موزعة في بطون الكتب والمخطوطات ، والآن وأنا في خريف العمر على أرض دمشق الخيرة المعطاءة ، راضياً مطمئناً ، ونذرت نفسي للتعريف العلمي الصادق بدمشق . فأجود بها ، بطيب نفس وليكن عزائي في عنائي وجهدي أنني كشفت صفحات مطويّة ، وأخرى مجهولة من تاريخ هذه المدينة وتراثها . وقدمتها للأجيال المتواليّة لوحات ناطقة بالحقائق ، معززة بالوثائق ، فأنا واحد من أفراد القافلة الدمشقيّة الطويلة التي تصدت بحماس ، وإيثار ، لإثارة تاريخ دمشق وهأنذا أقدم

على إصدار هذا الكتاب الصغير ، باذلاً فيه ما بوسعي انّ أبذل من الجهد والطواف والجمع على المصادر من كل نوع ، ولكنه مع ذلك لم يستقص ِ كل شيء
ولم يبلغ حد الكمال . انّ مدينة دمشق لأعظم ُمن انّ يفيها حقها أي كتاب أو كاتب
وآمل انّ أكون قد وفيت لهذه المدينة العظيمة بعض ما لها من حقوق عليّ . وأن يجدَ القارئ الكريم ما يفيده في هذا الكتاب الصغير ويسره ، والله من وراء القصد

حسن زكي الصواف

دمشق ٧ / ١ / ٢٠٠٨ م

هاتف ٢٢١٢١٣٣
تلفاكس ٢٢١٧٤٠١

كتاب قاسيون والصالحية

تقديم بقلم الأستاذ عبد القادر الريحاوي

المؤلف من عشاق دمشق ، قدم ما قدر عليه من جهد ووقت ليجمع هذه المعلومات التي تتحدث عن دمشق ، والتي تجعلها أقدم عاصمة في العالم . ومسكنا لأول خلق الله وقد أحبها الناس قديما وحديثا . وتهافتوا للإقامة فيها والاستمتاع بأنهارها وقاسيونها المقدس ، وغوطتها الغناء بالأزهار والرياحين . وبما لذّ وطاب من الفاكهة والخضار .

ولم يترك المؤلف خبرا يسر القراء في الكتب والمراجع إلا تناوله وقدمه في كتابه هذا . ولاسيما ما يتعلق بقاسيون الذي ملأت شهرته الآفاق ، وبمنطقته السكنيّة التي اشتهرت بالصالحيّة . وقد نشأت وامتدت على سفوحه خلال العهود التاريخيّة .

منذ من منتصف القرن السادس الهجري (١٢ م) . وحتى اليوم . وهكذا امتلأت أنحاؤه بالتراث العمراني والمعماري من مساجد ومدارس وقبور العظماء وأسواق .

وحظيت الصّالحية بالبيمارستان القيمري الذي اشتهر كنظيره البيمارستان النوري في دمشق (نسبة للسلطان نور الدين زنكي) وكان كلاهما مدرسة للطب ومستشفى لعلاج المرضى طوال قرون وحتى منتصف القرن العشرين .

أن أهل دمشق وبلاد الشّام والعالم الإسلامي وحتى البلدان الأخرى ، يتوقون للإطلاع على تاريخ دمشق وتراثها .

وإنه ليسرني انّ أجد من الكتّاب والمثقفين أمثال الأستاذ حسن زكي الصواف ، من يبذلون الجهد والوقت في كتابة ونشر المزيد من الكتب والمعلومات عن تاريخ دمشق وتراثها .

فجزاه الله خير الجزاء وأمده بالقوة والنشاط ليستمر في تقديم المزيد من المؤلفات مما يهفو لها القراء

د . عبد القادر الريحاوي
١٠ / ٢ / ٢٠٠٨ م

جبل قاسيون وعمرانه

تقديم : محمد بشير زهدي

اهتم بدراسة جبل قاسيون وعمرانه عدد من الباحثين أخص بالذكر منهم الأستاذ محمد كرد علي والشيخ محمد أحمد دهان ،

وإن جمالية الجبال أثارت في نفوس أبناء الأجيال المتعاقبة الشعور بالقداسة (مثل جبل الطور، وجبل أحد ، وجبل الأولمب...) . وقد تميز جبل قاسيون بإطلالته على مدينة دمشق وغوطتها .

وقد أسهمت الأحداث المختلفة في عمران جبل قاسيون . وإن هجرة بني قدامة من قرية جماعيل الفلسطينية إلى دمشق أسهمت في ظهور مدينة (الصالحية) في فترة نحو ثلاثين سنة ، كما أسهمت هجرة الأكراد في ظهور (حي ركن الدين) في شرق الصالحية وأخيرا أسهمت هجرة المسلمين الكريتيين في ظهور حي (المهاجرين) في غرب الصالحية

إن خيال الأجيال المتعاقبة أسهم في نشوء قصص جعلتها شطحاتها من الأساطير التي لا تتفق مع الحقائق التاريخية .

تغنى الشعراء بجبل قاسيون وجماله الطبيعي وعمرانه ومنشآته المعمارية مثل (دير مران) وجمال موقعه الطبيعي . وفي مقدمة هؤلاء الشعراء الشاعر (الببغاء) .

وتحدث المؤرخون عن المنجزات المختلفة التي تحققت مثل ظهور حي دير مران وبناء مرصد فلكي في عهد الخليفة العباسي المأمون .واهتمام السلطان نور الدين محمود زنكي بحي الصالحية وراحة مواطنيها . وقد ذكر تاج الدين الكندي أن السلطان نور الدين بنى الربوة منتزها للفقراء

كما يتحدث المؤرخون عن إسهام نهر يزيد في توسيع الرقعة الخضراء في سفح جبل قاسيون ، وظهور مدن صغيرة متميزة بجمالها الطبيعي مثل (النيربين) و (الأرزة . حي الشهداء) ، و(بيت أبيات) جنوب حي ركن الدين و(مقرى) بين نهري يزيد وثورى جنوب حي ركن الدين و(الميطور) شرق قرية (مقرى)

وتطورت مدينة الصالحية وتميزت بمبانيها المعمارية المختلفة التي تعود الى عهود الأتابكة والأيوبيين والمماليك والعثمانيين بل وعصرنا الحاضر ، وتعتبر المدرسة العمرية من أهم المباني التربوية والتعليمية والثقافية في عهد السلطان نور الدين ، ويعتبر مبنى البيمارستان القيمري من أهم المنشآت الطبية المتميزة بخدماتها الطبية

وهناك مباني المساجد والجوامع وبخاصة جامع الشيخ محي الدين بن عربي وجامع الحنابلة الجديد و..

وهناك مباني المدارس والحمامات والترب والمزارات وغيرها من المباني الأثرية التي تحدث عنها الصديق الأستاذ حسن زكي الصواف في كتابه (قاسيون والصالحية) أهنئ الصديق الأستاذ حسن الصواف على إسهامه في إغناء المكتبة العربية بمؤلفاته الجديدة والمفيدة .

وإذا كان من حقنا جميعا أن نفخر بهذا التراث المتميز بأهميته فان من واجبنا جميعا أن نحافظ على هذا التراث . في عصر أصبحت فيه المحافظة على تراث الآباء والأجداد من معايير رقي الأمم وتقدمها . وإنني أشكر الصديق الأستاذ حسن زكي الصواف على جهوده الكبيرة في سبيل التعريف بجبل قاسيون ، وحي الصالحية ، وأرجو من الجميع الاهتمام بجبل قاسيون وحي الصالحية ومنشآته المعمارية ونظافة شوارعه وتحسين خدماته المختلفة .

جبـــل قاســـيون

من محاسن دمشق الشّام (جبل قاسيون) فإن الصّالحية في سفحه وتحت ذراه . وهو جبل مبارك ، به آثار الأنبياء والصحابة والأولياء ، وبه (الكهف) ويقال إنه كهف أصحاب القصة ، وبه مغارة الدم ، يقال انّ كل ليلة جمعة يرى بها قطرة دم ، وبه محاريب الأربعين محل تعبدهم . ولجبل قاسيون بقمته وسفحه مكانة وقدسيّة .

اسم الجبل في شمالي دمشق القسيون [1]. وفي هذا الجبل المغارة التي قتل فيها قابيل هابيل . وبها استتر إبراهيم عليه السلام من النمرود.
ويسمى و يُعرف بجبل قاسيون : جبل دمشق ، وجبل الشّام ، وجبل الأنبياء ، والتين هذا ما أطلقه الجغرافيون والرحالون العرب على جبل قاسيون .
لقاسيون شأن في تكوين مدينة دمشق ،والصالحية مسكن الصالحين في سفحه وتحت ذراه ، وهي أجمل أحياء المدينة الخالدة .
وجبل قاسيون مبارك سكنه أهل المدينة قبل انّ يقطنوا فيها ، فهو مدينتهم الاولى ، وعُرِف بها وعرفت به ، واستمرت عامرة في أحضانه عبر العصور .
وقال بعضهم :

تحنُّ إلى وادي دمشق جوانحي وإن كان مما قلّ فيه نصيبي
وإنّي لأهوى قاسيون لأنني رأيت اسمه شبهاً لاسم حبيبي

وبه ينبت من عند الله تعالى من الأزهار والأشجار مالا ينبت في غيره ، وسقيه بالأمطار . فمن أزهاره القرنفل والخزام والشيح والسماق والزعرور والزيزفون والخرنوب .
سكن أهل المدينة – دمشق – هذا الجبل قبل انّ يسكنوا دمشق ، وعاشوا فيه أجيالا طويلة من الزمن ، حتّى إذا كثروا وتناسلوا ، وارتقت معارفهم وتجاربهم ، هبطوا إلى السهل المنبسط أسفله فبنوا مدينتهم – دمشق – ولكن مدينتهم الأولى هي قاسيون . ففيه نشؤوا أولا وإليه رجعوا اليوم .

---

[1] - يريد المهلبي بذلك جبل قاسيون كما هو واضح . والطريف انّ هذه الصيغة بإسقاط الألف هي الأقرب إلى مبنى الاسم في اشتقاقه الأصلي باللغة السريانيّة وهو فيها : قشيون - قشيونا ومعناه : القاسي . وهذا المعنى ينطبق على طبيعة الجبل القاسيّة ، وعلى اسمه بالعربيّة أيضاً .
انظر كتاب : معالم دمشق التاريخيّة ، دراسة تاريخيّة ولغويّة ٤٢٨

قاسيون هو الجبل الأشم الذي تقوم مدينة دمشق عند أقدامه ، يتصل من جهة الغرب بسلسلة جبال لبنان ومن الشمال والشرق بسلسلة جبال القلمون الممتدة إلى منطقة حمص .

عملت مياه دمشق على استقلال هذا الجبل وجعله جبل مدينة دمشق خاصة .

قامت مياه بردى مع مياه الفيجة تساعدهما في أيام الشتاء مياه السيول و الأمطار ، تعمل في فصله عن جبل المزة المتصل بجبل الشيخ وحوران . وأخذت تؤثر في جسمه الصلب ألوفا من السنين حتّى فتحت خليجاً تنساب فيه وتمر منه .

وجاء الإنسان بعد ذلك ، فأخذ في توسيع هذا الخليج ورصف ضفتيه حتّى أصبح طريقا مذللاً تسير فيه السيارات والقطارات ، فاتصلت دمشق ببيروت ، وبحار المياه ببحار الرمال . وعملت مياه قريّة منين على فصل هذا الجبل من جهة الشرق عن سلسلة جبال القلمون ، ففتحت لها ممراً فيه كمياه بردى ، وبذلك أصبح هذا الجبل خاصاً بمدينة دمشق . عرف بها وعرفت به ، ويعرّفه ياقوت الحموي بقوله :

– قاسيون الجبل المشرف على مدينة دمشق .

قاسيون و دمشق :

لقاسيون شأن كبير في تكوين مدينة دمشق ، وتعيين موضعها الحاضر ، فقد تكونت دمشق من منتهى الوادي الذي في غربها حيث يخرج بردى من سجنه الضيق بين ضفتي الوادي ، فيتنفس الصعداء ، في السهل الفسيح أمامه . ويسيل منبسطا على الأرض ، فيشكل البطائح والجزر من الرمال والحصى ، التي تجرفها السيول كل عام أيام الشتاء .

في شمال الواحة الخصبة التي عرفت بعد ذلك بالغوطة ، تجمّع قسم من الإنسان القديم حول هذه المياه يزرعون ما تسمح لهم معلوماتهم وتجاربهم انّ يزرعوا مبتعدين قليلا عن مضيق الوادي ، ليأمنوا على أنفسهم ومزروعاتهم تيارات السيول .

وكان هذا القسم من الإنسان محتاجا إلى انّ يحمي نفسه وماشيته ، ومحتاجا إلى بيت يأوي إليه ويعتصم فيه ، فكان أقرب موضع يصلح لذلك ، هو جبل قاسيون حيث تسيل المياه تحت أقدامه . ويبدو سفحه قليل الانحدار فيسهل تسلقه والاعتصام به .

ويراقب المعتصم به كل واردة وشاردة في السهل المنبسط أمامه ، شرقاً وغرباً وجنوباً . فسكن هذا الجبل والتجأ إلى ما فيه من كهوف ومغاور ، وما أسطورة مغارة الدم في هذا الجبل إلا حلقة من سلسلة تاريخه القديم .

الجبال في التاريخ الديني :

للجبال أثر كبير في التاريخ الديني . فجبل سرنديب هبط عليه آدم أبو البشر . وسفينة نوح استوت على الجودي . والفتيّة الذين آمنوا بربهم وأوا إلى الكهف في جبل الرقيم وموسى بن عُمران كلمه الله على جبل الطور، وعيسى وأمه أويا إلى ربوة[1] ذات قرار ومعين ، وجبريل الملك جاء بالرسالة إلى سيدنا محمد في جبل حراء ، واختبأ الرسول مع أبي بكر في جبل ثور حين لحقته كفار قريش . وأحُد قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : (أحد جبل يحبنا ونحبه) .

[1] تحدث المؤرخون القدماء على أنها الربوة الكائنة على سفح قاسيون والمعروفة اليوم في غرب دمشق

فليس من الغريب بعد ذلك انّ تتأثر بقيّة الجبال بهذه الحوادث ، فتوضع لها الأحاديث والأساطير والقصص ، وتصبغ بالصبغة القدسيّة والدينيّة .

قاسيون والأساطير :

لقاسيون شأن مقدس عند أهل دمشق . وهذا يرجع إلى تقاليد قديمة وعنعنات متطاولة في القدم باعتباره المسكن الأول لأهل دمشق ، وقد أخذ العرب أساطير كثيرة من سكان دمشق القدماء ، فصبغوها بالصبغة الدينيّة ، ثم رووها في كتبهم فأصبحت جزءاً منها .

أحاطوا جبل قاسيون بالأماكن المقدسة المنسوبة إلى الأنبياء العظام وجعلوا له روحاً دينيّة .

أمام هذه المشكلة ظهرت عبقريّة الدمشقي وألمعيته ، وظهرت كفاءته ولباقته . فقد استطاع انّ يلفت إليها أنظار جميع العالم الإسلامي . وأن يظهرها بالمظهر المقدس ، ويقيم لها ضروباً من الدعايّة ما يجعل الناس يحنون إليها . ويقصدونها بالزيارة والتوطن بها ، إذ صارت رابع الأماكن المقدسة بعد مكة والمدينة والبيت المقدس .

و إذا كان جبل قاسيون هو جزء من أجزاء دمشق لا ينفصل عنها . بل هو أعظم مظهر من مظاهرها ، كان من اللازم انّ يكون له أعظم قسط من أقساط الدعايّة والأساطير والقدسيّة ، وأن موقعه الممتاز بإشرافه على الغوطة الفسيحة الأرجاء . ومرور نهري يزيد وثورى في سفحه اللذين يزيدانه جمالا وروعة ونضارة

كان أكبر عامل من إغراء الشعراء والأدباء على مدح دمشق وما حولها من الحدائق والمناظر الجميلة ، وجبلها الشامخ مما زاد في الدعايّة لها .

وقال سبط ابن الجوزي : قاسيون جبل شمالي دمشق ترتاح النفس إلى المقام به ، ومن سكنه لا يطيب له سكنى غيره غالبا . واختلفوا لأي معنى سمي بذلك فقيل لأنه قسا فلم تنبت فيه الأشجار ، أو قسا على الكفار فلم يقدروا انّ يأخذوا منه الأصنام . أحيط جبل قاسيون ، بالأساطير والأماكن المقدسة . ففي سفحه الأدنى ، بيت أبيات [1]كان يسكنه أبو البشر آدم . وفي أعلاه قتل قابيل أخاه هابيل . ففتح الجبل فاه لفظاعة هذا العمل ، يريد انّ يبتلع القاتل ، وأخذ الجبل يبكي وتسيل دموعه حزنا على هابيل ، وبقي لون الدم على صفحة الصخرة التي قتل عليها هابيل ظاهرا باديا .

وفي كهف جبريل جاءت الملائكة إلى آدم تعزيه بابنه هابيل ، وفي شرقي قاسيون كان مولد إبراهيم الخليل عليه السلام ، وفي غربيه الربوة التي أوى إليها المسيح وأمه عليهما السلام . وقرب الربوة في النيرب كان مسكن (حنة) أم مريم جدة المسيح .

وقد وردت عدة أحاديث وآثار في فضل هذا الجبل ودمشق والغوطة .

ونحن إذا روينا ما تقدم آنفا ، وما سيلي ذكره لاحقا ، فلا نريد من ذلك إلا بيان صورة من صور الدعايّة لهذا الجبل ، ولفت أنظار الناس إليه وتشويقهم لزيارته وكثرة التردد إليه .

ودمشق فاقت جميع البلدان في فضائلها ومزاراتها وأنبيائها وأوليائها فكانت رابع المدن المقدسة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه (أربع مدائن من مدائن الجنة وأربع مدائن من مدائن النار ، فأما مدائن الجنة : فمكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق ، وأما مدائن النار فالقسطنطينيّة وطبريا وأنطاكيّة المحترقة وصنعاء)

وروى حديثا في انّ دمشق الشّام هي فسطاط المسلمين : (ستفتح عليكم الشّام فعليكم بمدينة يقال لها دمشق هي خير مدائن الشّام) .

---

[1] - محلة بقيت عامرة إلى آخر القرن التاسع الهجري محلها اليوم طاحونة الأشنان

ما ورد في فضل الصلاة في جبل قاسيون والدعاء فيه :

أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عمر الإمام حدثنا أبو يعقوب الأذرعي حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا هشام بن خالد عن الوليد بن مسلم بن جريج عن عروة عن أبيه قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأله رجل عن الأمارات بدمشق فقال : بها جبل يقال له قاسيون فيه قتل ابن آدم أخاه . وفي أسفله من الغرب ولد إبراهيم وفيه أوى [1]عيسى بن مريم وأمه من اليهود . وما من عبد أتى معقل روح الله فاغتسل وصلى ودعا لم يرده الله .

خائبا . فقال رجل يا رسول الله صفه لنا . قال : هو بالغوطة . مدينة يقال لها دمشق . وأزيدكم إنه جبل كلمه الله ، وفيه ولد أبي إبراهيم ، فمن أتى ذلك الموضع فلا يعجز في الدعاء . فقال الرجل يا رسول الله أكان ليحيى بن زكريا معقلا ؟ قال : نعم احترس فيه يحيى بن زكريا من [هدار] رجل من عاد في الغار الذي تحت دم ابن آدم المقتول وفيه احترس إلياس النبي عليه السلام من ملك قومه . وفيه صلى إبراهيم وموسى وعيسى وأيوب فلا تعجزوا في الدعاء فيه . فإن الله عز وجل أنزل عليّ (ادعوني استجب لكم)[2] ، فقال رجل : يا رسول الله ربٌ يسمع الدعاء أم كيف ذلك ؟ فأنزل الله عز وجل (و إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان)[3].

أخبرنا تمام بن محمد الحافظ حدثنا أبو يعقوب الأذرعي حدثنا محمد عن هشام بن خالد عن سعيد عن مكحول عن كعب الأحبار أنه قال : سمعت انّ موضع الحاجات والمواهب من الله عزّ وجلّ لا يرد سائلا فيه .

قال أبو يعقوب : حدثنا محمد عن أبيه عن جده عن سعيد عن مكحول أنه قال : أخبرنا تمام قال : وأخبرني أبو الحارث بن عمارة حدثني أبي حدثنا محمد بن أحمد

---

[1] - آودى الله عيسى

[2] - سورة المؤمن ٤٠ اية ٦٠

[3] - سورة البقرة . اية ١٨٦

حدثنا هشام عن الوليد عن سعيد عن مكحول قال : قال كعب الأحبار : اتبعني فاتبعته حتّى وصلنا إلى غار في جبل يقال له قاسيون ، فصلى وصليت معه فسمعته يجتهد في الدعاء [ثم سار حتّى وصلنا إلى مسجد في أسفل الجبل ، فصلى وصليت معه فسمعته يجتهد في الدعاء] ثم سار حتّى دخلنا المدينة من باب
الفراديس فسمعته يقول : يا أيها الناس أنا كعب الأحبار وجدت في ألواح شيث بن آدم انّ الله عزّ وجلّ يقول : الفراديس جنتي ، وإليها يجتمع أهل عنايتي . فقلت : سمعتك تدعو مجتهدا ، ففيم ذلك ؟ . قال : سألت الله عزّ وجلّ انّ يصلح بين هذين
الرجلين : علي ومعاويّة رضي الله عنهما ، وسألته انّ يرزقني كفافاً وولداً ذكراً . [ثم لقيته بعد ذلك فسألته فقال قد والله استجاب لي ورزقني ولداً ذكراً] ..
وبعث إليه معاويّة ألف درهم وكسوة ، وكتب معاويّة إلى علي رضي الله عنهما ، يسأله الصلح والكف عن الحرب فاصطلحا وتكاتبا على ذلك .

قاسيون هو الجبل الأشم الذي تقوم مدينة دمشق عند أقدامه وهو يرتفع عن سطح البحر (١٢٠٠ م) وعن دمشق قرابة (٦٠٠ م) وفي شرقي قاسيون ، كان مولد إبراهيم الخليل عليه السلام في قريّة تدعى برزة ، وقد قيل للتعريف بشرف قاسيون . (بين برزة وأرزة أربعون ألف نبي) . وبرزة وأزرة قريتان شرق وغرب قاسيون (أرزة الشهداء) .

وبجبل قاسيون أيضاً لجهة الغرب مغارة تُعرف بمغارة الدم لأن فوقها في الجبل دم هابيل قتيل أخيه قابيل ابني آدم ، صلى الله عليه وسلم ، يتصل من نحو نصفا الجبل إلى المغارة . وقد أبقى الله منه في الجبل آثاراً حمراً في الحجارة تُحك فتستحيل . وهي كالطريق في الجبل ، وتنقطع عند المغارة ، وليس يوجد في النصف

الأعلى من المغارة آثار تشبهها ، فكان يقال : إنها لون حجارة الجبل ، وإنما هي من الموضع الذي جرَّ منه القاتل لأخيه حيث قتله حتى انتهى إلى مغارة . وهي من آيات الله تعالى ، وآياته لا تحصى .

وقرأنا في تاريخ ابن المعلى الأسدي أنّ تلك المغارة صلى فيها إبراهيم وموسى وعيسى ولوط وأيوب عليهم وعلى نبينا الكريم أفضل الصلاة والسلام . وعليها مسجد ، وقد أُتقن بناؤه ، وتصعد إليه على أدراج ، وهو كالغرفة المستديرة . وحولها أعواد مُشَرْجَبَة مطيفة بها ، وبه بيوت ومرافق للسكن . وهو يفتح كل خميس ، والسّرُج من الشمع والفتائل تتقدُ في المغارة ، وهي متسعة وفي أعلى الجبل كهف منسوب لأدم صلى الله عليه وسلم ، وعليه بناء ، وهو موضع مبارك .وتحته في حضيض الجبل مغارة تُعرف بمغارة الجوع ذُكر انّ سبعين نبياً ماتوا فيهاجوعاً وعلى هذه المغارة أيضاً مسجد مبني ، وأبصرنا فيه السُرُج تقد نهاراً . ولكل مشهد من هذه المشاهد أوقاف معينة من بساتين وأرض بيضاء ورباع ، وهذه أيضاً من المفاخر المخلّدة

وبآخر هذا الجبل المذكور ، في آخر البسيط البستاني الغربي من هذا البلد الربوة المباركة المذكورة في كتاب الله تعالى : مأوى المسيح وأمه ، صلوات الله عليهما . وهي من أبدع مناظر الدنيا حُسْناً وجمالاً وإشراقاً وإتقان بناء واحتفال تشييد وشرف وضع هي كالقصر المشيد ، ويصعد إليها على أدراج ، والمأوى المبارك منها مغارة صغيرة في وسطها ، وهي كالبيت الصغير . وبإزائها بيت يقال : إنه مُصلى الخضر ، صلى الله عليه وسلم . فيبادر الناس للصلاة بهذين الموضعين المباركين ، ولاسيما المأوى المبارك . وله باب حديد صغير ينغلق دونه ، والمسجد يطيف بها ، ولها شوارع دائرة وفيها سقايّة لم يُرَ أحسن منها . وقد سِيقَ إليها الماء من علو ، وماؤها ينصب على شاذروان[1] في الجدار متصل بحوض من رخام يقع الماء فيه ، لم يُر َأحسن من منظره .

[1] - الشاذروان منتزه بالربوة . والكلمة فارسيّة تعني الشلال أو مسيل الماء

وخلف ذلك مطاهر يجري الماء في كل بيت منها ويستدير بالجانب المتصل بجدار الشاذروان . وشرف موضوع هذه الربوة ومجموع حسنها أعظم من يحيط به واصف في غلو مدحه . ويتصل بها أسفل منها . قريّة كبيرة تُعرف بالنَّيرْب . وقد غطتها البساتين ، فلا يظهر منها إلا ما سما بناؤه . وبها جامع لم ير أحسن منه ، مفروش سطحه كله بفصوص الرخام الملوّن ، فيخيل لناظره أنه ديباج مبسوط .

وفيه سقايّة ماء رائعة الحُسن ، ومطهرة لها عشرة أبواب ، يجري الماء فيها ويطيف بها .

وفي الجهة الشرقيّة من البلد ، عن يمين الطريق إلى مولد إبراهيم . عليه السلام ، قريّة تُعرف ببيت لاهيّة ، يريدون الآلهة ، وفيها مسجد مبارك يجتمع فيه أهل القريّة ، وسطحه كله مفروش بفصوص الرخام الملون ، منتظم كله خواتيم وأشكالاً بديعة ، يخيّل لمبصرها أنها فرش متقنة مزخرفة ، وهو من المشاهد الكريمة .

مغارة الشيّاح : هذه المغارة هي إحدى مغاور قاسيون العديدة تقع ضمن منطقة تُعرف بـ (وادي الشيّاح) وصارت اليوم داخلة ضمن الأحياء المأهولة العليا من الجبل غير بعيد عن محلة الشيخ إبراهيم . ذكر دهمان : الزاوية الشياحيّة ، عبارة عن مغارة في وادٍ يُعرف بوادي (الشيّاح) وفيها قبر يُعرف بالشيخ محمد الشيّاح . أما تسميّة (الشيّاح) انّ صح كونها لقباً للرجل فهي اسم عربي : تعني الجادّ في أمره ، وإلا فيمكن تأويلها بالسريانيّة كاسْم مكان ، من (شوْحَ) بمعني نبت وأفرخ ونما فيكون المعني : النبت والزرع الحسن .[١]

الجدّ قاسيون

لأول درس تعلمته في ذراها الكهوف

لأول خوف لذيذ

[١] - القلائد الجوهريّة لابن طولون ط ٢، ٢٩٦ / مخطط الصّالحية لدهمان / معجم أسماء المدن والقرى لفريحة ١٠٠ / المعاجم السرياني

يعود مع الذكريات التي تتسلق
مثلي الصخور
ويبهجها ما يخيف
لذا الشموخ المنيع
إذا ما انحنى
كي يمد ذراعيه تحت دمشق ليحضنها
ويحرض أنهارها
ويرد التحيّة ليل نهار
ويحرسها
أو يبوق حين تلوح الزحوف
لأول بيت على السفح
كنت أطل على الشّام منه
فيسندني جبل ليس مثل الجبال
ثقيل ... خفيف
لأشهى مذاقا من الخبز
في حضنه
فكأن من الفرن
يخرج ذاك الرغيف
لها ما أدندن في خلوتي
حيث ترقص بين يدي الحروف
فيا جدنا قاسيون
إذا ما قفزنا إلى ظهرك الآن
هل تنحني
ثم تنهض تعلو بنا

وتنادي على الزيت
كالبائعين من الريف
أيام كنا صغاراً
ولم يك يمنعنا حرس عن ذراك
ولا يتهدد قصر منيف
أم أنك لم يبق متكأ فوق ظهرك
للمثخنين استكانوا
وللمتعبين استكانوا
وللمدعين استزادوا ولم يشبعوا
أم يعود الزمان الظريف
يهب النسيم
وحلم قديم
ويرفع غرس ذؤابات شعر خفيف على رأسه
مشرعا غابة تتهيأ
حتّى كأن الطيوف السحيقة
من خضرة ونضار تطوف
منعناك نحن
وأنت ضعت
فلا بيت
لا حارة في المدينة
إلا وهيبة وجهك فيها
وهذا الرداء الجديد عليك
النضير ، النظيف
نسيج الأيادي التي تطلب المستحيل

وقد يسلس المستحيل
لمن ينسجون خيوطهم من مشاتل وجدانهم
إن لون جبينك لا يستجيب
وهذا الشحوب الرصاصي في قسماتك
يدعو إلى اليأس
لأن ضوءاً عميقا غريبا يشع
و ينبي بأن الملايين جاثمة فوق ظهرك
ثوب شفيف
وأن بذورا لغابات عزك
لما تزل تتقلب فوق فراش من الخصب
تنتش حين تدور الفصول
ويرحل بعد انتظار طويل
خريف
مهيبا تطل مساء
وفي الليل تدعو إلى سحر
فإذا طلع الفجر واجهته
وابتسمت لها وهي تبزغ
فابتسمت
فازدهى للضحى فيك
وجه حميم لطيف
تطاول
وحلق
حين تحنُّ إلينا
فنحن هنا تحت

مثل الجذور
فأقبل
أو افتح ذراعيك
نحن الضيوف القدامى
وأنت المضيف

قاسيـون

فـي شـمالي دمشـق يقـع جبـل قاسـيون المشـرف عليهـا ، وفيـه آثـار الأنبيـاء علـيهم الصـلاة والسـلام ، وهو مُعَظـّمٌ بين الجبال وفيه مغارة الدم تقع في الصدر الأعلى لجبل قاسيون ، بني عليها مسجد وبضمنه قاعات وأربعون محراباً ، وزوّد الجامع بالمـاء والكهربـاء ، وهـو قـائم فـي منطقـة وعـرة صـخريّة . ويطـل علـى دمشـق وغوطتها ، وقد يشاهد الزائر آثار الدم الذي يعتلي المغارة منذ ألاف السنين من خلال أول جريمة قتل تقع فيما قبل التاريخ التي قتل فيها قابيل أخاه هابيل كما ذُكر وهابيل مدفون على قمة جبل مطل على سهل الزبداني ، وهو مزار جليل وعليه بهاء ونور وفي مغارة الدم حجر يزعمون أنه الذي فلق به هامته .

وفي الجبل مغارة أخرى يسمونها (مغارة الجوع) تقع شمال غرب كهف جبريل بقمة جبل قاسيون وتحت مبنى محطة البث التلفزيوني . ويعشعش فيها الحمام البري الأبلق والخفاش ، كانت سجناً للمجرمين ، وملجأ للخائفين ، وملاذاً للزاهدين . وربما مات فيها جوعاً الأنبياء الهاربون من بطش وإرهاب اليهود المجرمين عبر العصور التاريخيّة قديمها وحديثها وبهذا الجبل دُفن أنبياء وأولياء وصالحون .

وقد قال ابن عساكر : انّ بعض الصالحين أنشد في فضائل هذا الجبل . فقال :

يـــا صـــاح كـــم فـــي قاســـيون وســـفحه مـــــن مشـــــهد يســـــتوجب التعظيمـــــا
ومغـــــارة الـــــدّم فضـــــلها متـــــواتر مازلـــــت أســـــمعه هـــــديت عظيمـــــا
ولجبريـــــل الأمـــــين بـــــالكهف فضـــــيلة مـــــذكورة وبهـــــا تبيينـــــاً و(تعليمـــــا)
ومغـــــارة الجـــــوع الشـــــريفة تحتـــــه كـــــم عابـــــد فيهـــــا .....مقيمـــــا
ومقـــــام بـــــرزة لـــــيس ينكـــــر فضـــــله اعنـــــي مقـــــام أبيـــــك إبراهيمـــــا (عليمـــــا)
ولكـــم مكـــان فيـــه لـــيس بمســـجد أضـــحى علـــى المتعبـــدين كريمـــا
رؤي النبـــي مصـــلياً فـــي ســـفحه صـــلوا عليـــه وســـلموا تســـليما
وبـــه قبـــور الأنبيـــاء فمـــن مضـــى ليـــزورهم فقـــد ابتغـــى التكريمـــا

مطلب في مقام إبراهيم الخليل عليه السلام في برزة :

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : مقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم بغوطة دمشق في قريّة يقال لها (برزة) في جبل يقال له (قاسيون) لما جاء مغيثاً للوط عليه السلام أقام وصلى فيه عليه السلام .

وعن الأوزاعي : أنه صلى في هذا المقام واتخذه مسجداً .

وعن الزهري : انّ مسجد إبراهيم صلى الله عليه وسلم في قريّة برزة بجبل قاسيون من صلى فيه أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وأن الدعاء فيه مستجاب وفي روايّة : ويسأل الله تعالى ما يشاء فإنه لا يُرد خائبا .

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن سرور المقدسي في (فضائل الشّام) وروينا بالسند إلى الوليد بن مسلم (رضي الله عنه) قال :

أوحى الله تعالى إلى جبل قاسيون انّ هب ظلك وبركتك إلى بيت المقدس . ففعل . فأوحى الله أما إذا فعلت فإنني سأبني في حضنك بيتا – أي وسطك – أُعْبَدُ فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً . ولا تذهب الأيام والليالي حتّى أرد عليك ظلك وبركتك . قال فهو (عند الله) بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع . والبيت هو جامع دمشق .

وإذا صعدنا في جبل (قاسيون) وزرنا ضريح نبي الله (ذي الكفل) صلى الله عليه وسلم ، في قبة مخصوصة به عليه السلام وزرنا قبر الإمام (ابن مالك) النحوي في حوش تحت مشهد ذي الكفل ومعه جملة من قبور العلماء الكبار . ومغارة الدم في أصل الجبل فوق مزار نبي الله ذي الكفل بقليل . قال صاحب الرحلة الأندلسي : وفي جبل قاسيون مغارة الدم لقتل (قابيل) أخاه (هابيل) بن آدم فوقها على نصف الجبل وبها صلى إبراهيم وموسى وعيسى ولوط وأيوب عليهم السلام . وفي أعلى الجبل كهف منسوب لآدم إلا انّ العامة يقولون في هذا الزمان إنه كهف أصحاب الكهف المذكورين في القرآن المجيد . وقد علمت ما ذكره ابن جبير ووافقه على ذلك صاحب الإشارات في الزيارات وأطنب في مزايا هذين المغارين وفضائلهما مما ينبغي الوقوف عليه . وقال في الرحلة المذكورة : وبين باب الفراديس إلى جبل قاسيون ، مدفن سبعين ألف نبي وقيل سبعون ألف شهيد ، والأنبياء المدفونون به سبعمائة نبي والله أعلم ..

ثم بعد ذلك زرنا الصّالحية وتفرغنا لزيارة المشاهد التي بها يوماً كاملاً ، فابتدأنا بزيارة الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الطائي صاحب المقامات والكرامات والمكاشفات الظاهرة والخوارق الباهرة ، سلطان أهل الحقيقة وشيخ مشايخ الطريقة ، وله في التوحيد القدم الراسخة وفي المعارف الإلهيّة الذروة الشامخة . وكم له من مناقب شريفة وفضائل عاليّة منيفة . فرضي الله عنه وعنا به ، ونفعنا ببركة علومه . وقبره في داخل قبة عظيمة ، لها أطواق وشبابيك مطلة على البساتين والجنات ، كان يرى الجالس فيها تلك الأشجار المثمرة ، والغياض المزهرة ، ويشم نفحات أزهارها العطريّة ، ويندهش من حسن مناظرها الفطريّة . فكأنه في جنة عاليّة ، قطوفها دانيّة . وعلى قبره الشريف مقصورة من نحاس أصفر ، وكواكب الفضة المطليّة بالذهب الأحمر ، ومعه في هذه القبة قبر الشهم الهمام ، والبطل المقدام ، الأمير عبد القادر الجزائري ، وهذه مزيّة اختصه الله بها لا يدركها غيره ولو بلغ السها .

ومن عجيب الاتفاق انّ والد الأمير اسمه (محي الدين) ، فكأنه دفن مع والده . وأما مسجد الشيخ الأكبر فإنه بجوار الضريح . وهو من أجمل مساجد الصّالحية . فسبحان من وهب لهذه البقعة تلك البهجة التي تتروّح بها الأرواح وترتاح لها المهجة . ثم بعد انّ خرجنا من زيارة هذا الضريح . توجهنا إلى زيارة القطب الأوحد ، والعلم المفرد ، قدوة أهل الطريق ، وشيخ المشايخ ، وطود العلوم الراسخ ، صاحب المنح القدسي والنفح الأنسي الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي ، نوّر الله مضجعه وضريحه ، وروّح روحه ، وجعل من الرحيق المختوم عبوقه وصبوحه – آمين . وهو مدفون في داره بالصالحيّة ، ولم تزل عمارة الشيخ بها موجودة الآن . وعلى ضريحه قيّم من ذريته يتولى القيام بخدمته . ويتلقى الزوار بالترحاب . ويفتح لهم ذلك الرحاب العالي الجناب .الذي هو مجمع الأحباب . ومركز الأقطاب ، ومحل الدعاء المستجاب . ومنزل السادة الأنجاب . وبعد انّ فرغنا من زيارة هذا الإمام وأروينا بعض الظمأ و الأوام . من مواد النفحات في هذا المقام . والمورد العذب كثير الازدحام . وإن كان الشخص لا يمكنه انّ يفي بواجب الشوق له والغرام ، ثم بعد ذلك صعدنا قبة عاليّة بها الأستاذ الولي الكبير والعالم العامل الشهير . الشيخ خالد النقشبندي روّح الله روحه ، ونوّر ضريحه فزرناه ومكثنا بضريحه حتّى صلاة العصر وكنا نرى الصّالحية ، وما فيها من الجناين والبساتين . ودمشق وما حولها من البساتين أيضاً ، والمزارع وضواحيها ونواحيها كأنها تحت أرجلنا . فلله ما ألطف هذا الموضع . وما أظرف ذلك الموقع .

ومن محاسن الشّام (الصّالحية) مشحونة بالزوايا والترب والمدارس حتّى انّ بها قصبة دون ميل تمشي فيها بين ترب ومدارس ببناء جميل ، استوى عليها المباشرون والنظار . فأزالوا منها العين ، ولم يبق سوى الآثار . فكم من مدرسة اندرست بعد الصلاة والتراويح . وأمست في ظلمة بعد تلك المصابيح . وهي تقول أصبحت حاصلا ، بعد ما كان إيواني بالقراء عامرا آهلا . وهذه تقول أضحيت مربطا للبهائم بعد ما كنت معبدا للقائم والصائم ، وهذه تقول اتخذوني مسكنا ، وهذه تقول جعلوني

متبناً . وهذه تقول هدوني ، وأخذوا سقفي وكشوفي . وهذه تقول خربوا جداري ، وباعوا الباب ، وجعلوني مأوى للكلاب . والأوقاف تستغيث إلى المولى المغيث . فيقال لهم : اسمعوا كلام الرحمن في محكم القرآن (انّ إلينا إيابهم . ثم انّ علينا حسابهم) .

فيا شوقاه لحسن (الجركسيّة) وحلاوة (الركنيّة) ، ويا لهفاه على (جامع الأفرم) . و(الناصريّة) تغيرت تلك المعاهد . وأغلقت أبواب تلك المساجد والمعابد ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، انّ هذا هو البلاء الجسيم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وبالجملة فمنظر الصّالحية من دمشق من أحسن مناظر الدنيا وأبهج ما يكون منها في الدرجة العليا ، ووافق طلوعنا للصالحيّة يوم الزيارة السنويّة لمولد الخليل في قريّة (برزة) الكائنة في سفح جبل قاسيون . فصارت الزوار ترد قافلة من برزة زمرة بعد زمرة . ومعهم النساء ، والأطفال ومشايخ الطرق . ولم نخلص من الزيارات في الصّالحية إلا وقت الغروب وقد استغرقنا جميع النهار . في هذا الأمر المرغوب .

مغاير جبل قاسيون

- **مغارة الدم** : من تسميات مغارة الكهف في قاسيون
- **مغارة الأربعين** : تنسب تسميتها إلى أربعين محراباً في مسجدها ويرجح الأستاذ دهمان انّ هذه المغارة كانت ديراً قديماً لأن في سقفها شق صغير ينقط منه الماء ، وهذا من ميزات الأديرة التي ينقط من صخرها الماء والزيت فيُدهن الجسم تبركاً به .

- **مغارة الأرموي** : من مغاير جبل قاسيون في الصّالحية ، فوق حارة الملامن . ومقبرة الروضة . وهي المغارة التي كانت فيها الزاوية الأرموّيّة ومسجد الأرموّيّة .
- **مغارة التوبة** : من مغاير جبل قاسيون في الصّالحية فوق حارة الملامن .
- **مغارة الجوع** : من مغاير لحف جبل قاسيون ، ذكر انّ سبعين نبياً ماتوا من الجوع ، وقيل أربعين ، وفيها قبر الأنبياء ، وقام الشيخ محمد التكريتي المتوفى سنة (١٣١٣هـ / ١٨٩٥م) بسد بابها (مدخلها) لمنع الأشرار من اللجوء إليها
- **مغارة الداوديّة** : من مغاير جبل قاسيون في الصّالحية ، تحت كهف جبريل ، عند الزاوية والتربة والحارة الداوديّة ، وجميعها في موقع واحد .
- **مغارة الدم** : من مغاير جبل قاسيون شيّد فيها والي دمشق العثماني أحمد باشا الحافظ مقام الأربعين سنة (١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م) ، وفيها مسجد الأربعين وذكر ابن جبير في رحلته أنها سميت بمغارة الدم لأن فوقها في الجبل دم هابيل قتيل أخيه قابيل . وتُعرف أيضاً برجال الأربعين ، وبمغارة الأمراء ، وبمغارة الأربعين وبمسجد الأربعين ، وبمقام الأربعين وبموضع الدم .
- **مغارة الشدّاد** : من مغاير جبل قاسيون في الصّالحية ، قرب مسجد الكهف ، وعندها بني برقوق قبّته المعروفة بقبّة برقوق أو قبّة النصر على سيوار
- **مغارة الشيّاح** : في باب الريح من جبل قاسيون ، بجوار وادي الشيّاح بين مغارة الدم وكهف جبريل ، وتعرف أيضاً بمغارة وادي الشيّاح .
- **مغارة الصفيري** : من مغاير جبل قاسيون ، عند وادي الصفيري ، بين حيّ ركن الدين وبرزة .
- **مغارة الكهف** : كانت تسميتها القديمة مغارة الدم .
- **مغارة المستغاث** : من مغاير جبل قاسيون ، مجهولة الموقع .
- **مغارة النحاس** : بحارة الخراب من حيّ الصّالحية .

- **مغارة الوتّار** : من مغاير جبل قاسيون مجهولة الموقع . [1]

قبور الشهداء في الصّالحية :

قال ابن طولون في (بهجة الأنام في فضل دمشق الشّام) سُئلت عن قبور الشهداء في طريق الصّالحية ، عن يمينك وأنت نازل من طريق الصّالحية فقلت : لا أعلم خبرهم ، لكن المحدث جمال الدين بن عبد الواحد الهادي – أحد أشياخنا – ذكر أنهم ثلاثة أخوة من الصحابة قتلوا في فتح دمشق ودفنوا ثمة . وإنه عمّر عندهم مسجد الشيخ الصالح محمد بن محمد بن قديدار من أصحاب أبي بكر الموصلي فأخذ عنه التصوف . واشتهر بالصلاح . حتّى انّ تيمور لما أراد دخول دمشق بعث من حماه وأمنّه ومن معه فلم يصبهم مكروه ووقف عليهم الأرض التي هي شرقي قبورهم .

(جبل دمشق قاسيون وما فيه من الزيارات) :

وعن قتادة قال : التين في قوله تعالى (والتين والزيتون وطور سنين) سورة / التين ١و٢ / انّ التين جبل دمشق . قال العلامة ابن الوردي في (خريدة العجائب) : جبل قاسيون مشرف على دمشق . فيه آثار الأنبياء وهو مُعَظّمٌ في الجبال . وفيه مغارات وكهوف ومعابد ومقابر للصالحين وفيه (مغارات منها)
مغارة الدم يقولون انّ قابيل قتل هابيل هناك ويقال : إنه اغتاله في بريّة قاع وإن ذلك كان في بلاد دمشق من الشّام ، قاله المسعودي في (مروج الذهب) وكان قتله إيّاه بحجر خدشه به فيقال انّ الوحش هناك قد استوحش من الإنسان .

---

[1] - المراجع تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر / المروج السندسيّة لابن كنان / الأعلاق الخطيرة لابن شداد / رحلة ابن جبير / خريدة العجائب لابن الوردي / ثمار المقاصد لابن عبد الهادي / مفاكهة الخلان لابن طولون / لطف السمر للغزي

واستسقى الناس في خلافة هشام بن عبد الملك في موضع دم ابن آدم . فسقوا بحيث أقاموا في المغارة ستة أيام لا يستطيعون دخول البلد من كثرة المطر . وموضع دم ابن ادم هو مغارة الدم التي في أعلى جبل قاسيون وهو مكان لطيف شريف عليه الهيبة والجلال والدعاء هناك مستجاب . دلت الآثار الكثيرة على ذلك . منها ما ذكر سابقا ومنها ما قاله مكحول إمام (أهل الشّام) : سمعت انّ معاويّة (رضي الله تعالى عنه) خرج بالمسلمين إلى موضع الدم يسألون الله انّ يسقيهم . فلم يبرحوا حتّى جرت الأوديّة .

وخرج مكحول مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع دم ابن آدم فيسألون الله تعالى انّ يسقيهم فسقاهم .

وقال كعب الأحبار مغارة الدم بقاسيون موضع الحاجات والمواهب من الله تعالى فإن الله تعالى لا يرد سائلا في ذلك الموضع .

وروى الوليد بن مسلم انّ أهل دمشق كانوا إذا (احتبس القطر) (احتاجوا المطر) أو غلا السعر ، أو جار سلطان أو كان لأحد حاجة ، صعدوا موضع دم ابن آدم هابيل في جبل قاسيون فيسألون الله تعالى ويدعونه فيعطيهم ما سألوا ويجيب دعاهم .

قال أبو مسهر : مغارة الدم موضع – الحمرة – موضع الحوائج فيعني بذلك الدعاء فيها والصلاة .

وروى هشام الرازي ، عن أبي بن يعقوب الأذرعي ، عن أحمد بن كثير قال : صعدت إلى موضع الدم في جبل قاسيون فسألت الله الحج فحججت ، وسألته الجهاد فجاهدت ، وسألته الرباط فرابطت ، وسألته الصلاة في بيت المقدس فصليت وسألته انّ يغنيني عن البيع والشراء فرزقت ذلك كله .

وجاء (الفرنج) مرة يقصدون دمشق فصعد الشيخ أبو عمر ابن قدامة وأصحابه إلى مغارة الدم ، وقرأوا اثني عشر ألف مرة : (إنا أنزلناه في ليلة القدر) و (قل هو الله

أحد) فأرسل الله تعالى على الكفار مطراً عظيماً (توحلت خيولهم فيه) فلم يقدروا على الوصول إلى دمشق .

واحتاج الناس إلى المطر مرة زيادة فطلع الشيخ (أبو عمر) في جماعة إلى مغارة الدم . وكان يوما (حاراً) بحيث طلب الجماعة ماءً للوضوء فتخاصم أهل المغارة لقلة الماء ، فدعا الشيخ وأمن القوم ، فجاء مطر عظيم حتّى جرت الأوديّة .

وعن أبي مُسهِر أنه قال : رأيت في المنام كأنني في مغارة الدم قائم أصلي و إذا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وهابيل بن آدم : فقلت له : أسألك بحق الواحد الصمد وبحق أبيك آدم ، وبحق النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا دمك أنت هابيل بن آدم ؟ قال : أي والواحد الصمد هذا دمي جعله الله تعالى أيّة للناس . وإني دعوت الله رب أبي آدم وحواء ومحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم . انّ يجعل دمي مستغاثا لكل نبي وصدّيق ومؤمن دعا فيه فيجيبه . ويسأله فيه فيعطيه ، فاستجاب الله لي ، وجعله ظاهرا وجعل هذا الجبل أمنا ومستغاثا ، ثم وكل الله به ملكاً وجعل معه من الملائكة بعدد النجوم يحفظون من أتاه لا يريد إلا الصلاة فيه . فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام : وقد فعل الله ذلك إكراماً وإحساناً . وإني آتيه كل خميس وصاحباي وهابيل فنصلى فيه .

وقال (الربعي في فضائل الشّام ودمشق) انّ ابن عباس رضي الله عنه قال : موضع الدم في جبل قاسيون موضع شريف ، كان يحيى بن زكريا وأمه فيه أربعين عاما . وصلى فيه عيسى بن مريم والحواريون ، فمن أتى ذلك فلا يقصر فيه عن الصلاة والدعاء ، فإنه موضع الحوائج .

وفيه مغارة أخرى يسمونها : مغارة الجوع ويذكرون انّ أربعين نبيا ماتوا هناك من الجوع عليهم الصلاة والسلام ..

(**وفي الفضائل البهيّة لدمشق المحميّة**) عن بعضهم : انّ الأبدال تجتمع في الليالي الفاضلة في المستغاث فيصلون هناك ، ويسألون الله تعالى ويدعونه .

وفي سفح قاسيون من العلماء والأولياء ما لا يحصى كثرةً :

الشيخ محي الدين بن عربي :

ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله رحالة أندلسي كبير أصله من إشبيليّة ، ولد بها عام (٤٦٨ هـ) ولم يلبث انّ غادر إلى المشرق بعد زوال دولة آل عبّاد التي شغل فيها أبوه مركزاً مرموقاً ، وكان هدفه الدراسة ولمّا يتجاوز عمره آنذاك السادسة عشرة (٤٨٥هـ) . وفي الشّام تتلمذ على أبي بكر الطرطوشي صاحب كتاب (سراج الملوك) المعروف ، وفي بغداد استمع إلى دروس الإمام الغزالي والتبريزي اللغوي في المدرسة النظاميّة المشهورة ، وأدى فريضة الحج عام (٤٨٩ هـ) ثم رجع إلى بغداد لبعض الوقت ، وغادرها إلى مصر فدرس بالقاهرة والإسكندريّة ثم في عام (٤٩٣ هـ) عاد إلى وطنه بعد تجوال دام ثمانيّة أعوام ، وسرعان ما ذاع صيته كقاص وفقيه من أكبر فقهاء المالكيّة بالأندلس ، وتوفي والشيخ محي الدين بن عربي الطائي صاحب المقامات والكرامات والكشوفات الظاهرة والخوارق الباهرة . وسلطان أهل الحقيقة على الإطلاق ، وشيخ مشايخ أهل العرفان والطريقة ، وله في التوحيد القدم الراسخة وفي العلوم والمعارف الإلهيّة الذروة الشامخة وكم له مناقب شريفة ، وفضائل عاليّة منيفة ، فرضي الله عنه وعنا به ونفعنا ببركة علومه . وقبره به ظاهر معظم ، يزار ويتبرك به .

يوسف القميني :

ومنهم : الشيخ يوسف القميني وقبره معروف ظاهر يزار . رأيت في تفاح الأرواح ومفتاح الأرباح ، من جملة تشويق القلوب والأرواح انّ الشيخ القميني مر يوما بالقرب من الجامع الأموي بدمشق فوضعت امرأة يدها على كتفه تبركا ، فقال لها رجل : تنجسين يدك (لأنه كان يتنجس ببوله ويمشي حافيا . ويأوي إلى قميم حمام نور الدين ولا يصلي) – الشذرات / ص ٢٨٩ ج ٥ / – فنام الرجل تلك الليلة فرأى الشيخ (يوسف) في وسط البحر ووجهه كالقمر ليلة البدر فلما أصبح الرجل مرّ عليه الشيخ فقال : يا (منجس) رأيت مقامنا البارحة ، فكشف الرجل رأسه . واستغفر الله تعالى . (توفي القميني) رحمه الله تعالى سنة سبع وخمسين وستمائة .

أبو بكر العرودكي :

ومنهم الشيخ أبو بكر العرودكي من أهل المحبة والتوحيد . عظيم الشأن . قبره ظاهر يتبرك به .

أبو بكر ابن القوام :

ومنهم الشيخ العارف أبو بكر ابن قوام ، (الزاهد العابد صاحب الأحوال والكرامات المجمع على دينه وعلمه وورعه) . ولد سنة أربع وثمانين وخمسمائة . بمشهد صفيّن . ثم انتقل إلى (يايس) – قريّة من قرى حلب – ونشأ بها ، وكان حسن الأخلاق . (وافر العقل والأدب) . كثير التواضع(شديد الحياء ، متمسكاً بالآداب الشرعية) . وله أحوال وكرامات ظاهرة (متكاثرة) ، وسئل عن الروح ، فقال : شيء لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نتكلم فيه . وكان يقول : والله إني لأعرف أهل اليمين من أهل الشمال ، من أهل حلب . ولو شئت أن أسميهم لسميتهم ولكن لا نؤمر بذلك ، ولا نكشف عن سر الحق في الخلق .

ودفن بسفح جبل قاسيون في الجانب الغربي منه وقبره مشهور ظاهر يزار ويقصد .

أحمد بن قدامة :

ومنهم أبو العباس أحمد بن قدامة ، وهو أحمد بن محمد بن قدامة والد أبي عمر وموفق الدين فرّ بدينه من القدس من الفرنج ونزل بمسجد أبي صالح بظاهر باب شرقي ثم صعد إلى الجبل وسكن بسفح قاسيون فسمي المكان بالصالحيّة نسبة له . صاحب الكرامات والأحوال الظاهرات . قرأ في شهر رمضان خمسمائة وستين ختمة . (وكان عليه مهابة عظيمة ، لا يراه أحد إلا أحب انّ يقبل يده ومشى على نهر يزيد بقبقاب في رجليه فلم تبتلا) .

وطالع ليلة في العلم فكدرت عليه (المطالعة) الضفادع بأصواتها (وشوّشت عليه) فقال : أيتها الضفادع قد آذيتموني بأصواتكم فإما انّ ترحلن عني وإما انّ أرحل عنكم . فأصبح وليس في النهر شيء من الضفادع ، ومن ثم لم يسكن نهر يزيد ضفدع إلى الآن .

توفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . ودفن بسفح قاسيون . و إلى (جانبه قبر ولده) أبي عمر رضي الله عنهما . وقبراهما ظاهران (يعظمان) ويقصدان بالزيارة . والدعاء عندهما مستجاب . وتنسب إلى أبي عمر المدرسة العمريّة التي تعتبر من أشهر مدارس الصّالحية .

فائدة :

(نهر) يزيد بسفح جبل الصّالحية (المعروف بقاسيون) حفره يزيد بن معاويّة بن أبي سفيان . ذكره الناجي (وليس هو أول من حفره راجع تاريخ الصّالحية لابن طولون تحقيق محمد أحمد دهمان ص ٢٦٢) رحمه الله تعالى .

إبراهيم بن أحمد الموصلي :

ومنهم إبراهيم بن عبد الرزاق بن أبي بكر بن رزق الله بن خلف وعرف بابن المحدث ولد بالموصل وتوفي بدمشق ويقال له (الرسعني) – نسبة إلى رأس العين –

بالجزيرة الفراتيّة ولد سنة (٦٤٢) من أئمة الحنفيّة . شارح القدوري ، قال صاحب (طبقات الحنفيّة) توفي سنة خمس وتسعين وستمائة ودفن بسفح قاسيون .

ابن قاضي العسكر :

ومنهم علي بن خليل الحنفي (الأديب الفقيه) . عرف بابن قاضي العسكر توفي سنة إحدى وخمسين وستمائة ، ودفن بسفح جبل قاسيون ، وأنشد لنفسه يقول :

تطلبت في الدنيا خليلا فلم أجد وما أحد غيري لذلك واجد
فكم مضمر بغضا يريك محبة وفي الزند نار وهو في اللمس بارد

إبراهيم بن سلطان الحنفي :

ومنهم إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الكريم بن سلطان الحنفي . توفي سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة . ودفن بالميطور من قرى دمشق القديمة في مكانها اليوم حيّ ركن الدين بصالحيّة دمشق .

عبد الرحمن العيني :

ومنهم عبد الرحمن العيني الصالحي (الحنفي) صاحب التصانيف الجليلة ، له شرح الدرر ، وشرح البخاري . وشرح النقايّة . وشرح ألفيّة ابن العراقي . وشرح الشمسيّة . وغير ذلك ولي قضاء دمشق ثمانيّة عشر يوما ثم استعفى عنه توفي سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة . ودفن بتربته في الجامع الجديد بصالحيّة دمشق ، ذكر هؤلاء الأئمة الحنفيّة صاحب طبقات الحنفيّة .

زيارات برزة

أو عن أحمد بن سليمان سمعت شيوخنا (الدمشقيين) قديما يذكرون انّ (الآثار) التي بدمشق في برزة عند المسجد الذي يقال له مسجد إبراهيم عليه الصلاة و السلام والذي في الجبل عند الشّقّ مكان إبراهيم ، وأن الآثار التي فوق الشّقّ هي في موضع رأْي إبراهيم الكواكب – (أي الزهرة) الذي ذكره الله في كتابه العزيز (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ...) سورة الأنعام أيّة ٧٦ .

(إنه كان في ذلك الموضع) وهو معروف فمن قصده وصلى فيه ودعا أجابه الله تعالى في دعائه فإن ذلك الجبل كان فيه لوط . وجماعة من الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) . وآثارهم في مواضع بالجبل بالقرب من مسجد إبراهيم وأدركت الشيوخ يقصدون ويقيمون فيه ويدعون الله تعالى . وهو نافع لقسوة القلب . وكثرة الذنوب . وان بعض الشيوخ جاء من مكة فصلى في الموضع الذي فوق الشق (من الموضع الذي يقال إنه رأى إبراهيم الكوكب فيه) وذكر أنه رأى في نومه : انّ أحببت انّ ترى الموضع الذي فيه رأى إبراهيم فيه (الكوكب) فاقصد دمشق . واقصد (موضعا) يقال له : برزة عند مسجد إبراهيم ، فوق الجبل . فصل فيه ركعتين ثم ادع بما شئت يجاب ، فقصدت الموضع .

وقال أحمد بن صالح : وأدركت الشيوخ بدمشق قديما وهم يفضلون مسجد إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) . الذي ببرزة ، ويقصدونه ويصلون فيه . ويقرؤون . ويدعون ويذكرون انّ الدعاء فيه مجاب . وهو موضع شريف عظيم قديم . ويذكرون عن شيوخهم ومن أدركوا من أهل العلم ، أنهم يفضلون (ذلك الموضع)، ويقولون انه مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام . وإن الشق – الذي في الجبل خارج باب المسجد – هو الموضع الذي اختبأ فيه إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) من النمروذ الذي كان ملكا (في بلاد الشّام) في وقت إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) والدعاء

فيه (مستجاب) فمن قصد الله تعالى في ذلك الموضع ، ودعا فيه بنيّة خالصة صادقة رأى الإجابة .

فضل المسجد (المقام) الذي ببرزة وهو مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام .
أخبرنا تمام بن محمد بن عبد الله الرازي رحمه الله أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد وكيل جامع دمشق ، حدثنا يحيى بن محمد ا بن سهل بن عبيد الله حدثني محمود بن خالد عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي .
عن حسان بن عطيّة قال : أغار ملك نبط هذا الجبل على لوط فسباه وأهله . فبلغ إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم ، ذلك ، فأقبل في طلبه في عدة أهل بدر ثلاثة مائة وثلاثة عشر ، فالتقى هو وملك الجبل في صحراء يعفور . فعبّأ إبراهيم عليه السلام ميمنة وميسرة وقلبا وكان أول من عبّى الحرب هكذا . فاقتتلوا فهزمه إبراهيم عليه السلام واستنقذ لوطاً وأهله عليه السلام فأتى هذا الموضع الذي في برزة فصلى واتخذه مسجداً .
قال : وعن الزهري أنه قال : مسجد إبراهيم صلى الله عليه وسلم في قريّة يقال لها برزة . فمن صلى فيه أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . ويسأل الله ما شاء فإنه لا يرد خائباً . أخبرني تمام عن محمد حدثنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عمار عن الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول .
عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : ولد إبراهيم عليه السلام بغوطة دمشق في قريّة يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون .

حدثنا **محمد طلعت كتعة** فقال :
المكان جبل قاسيون قريّة برزة . الموقع مدخل جبل الورور ، (مقام سيدنا إبراهيم الخليل) عليه الصلاة والسلام . الزمان صيف عام ١٩٤٤ م . الموقف : دعي والدي المسمى عارف كتعة من أحد أقربائه المقيم في برزة ويدعى حسن شام

لحضور حفل كبير يوم الجمعة وكان هذا الحفل يدعى (الموقف) يجتمع فيه أكثر المشايخ من كل أقطار ومحافظات سوريّة وكل شيخ يحضر معه مريديه من حاملي (السنجق) رايّة كبيرة كتب عليها بعض الكلمات مثل (يا الله – يا هو) وهذه الرايّة تدل على هذا الشيخ ولمن ينتسب مثل – الرفاعيّة – القادريّة – الشاذليّة – حسب ما ينتسب إليه أصلا من الجماعات الدينيّة ولكل جماعة لها بعض الآلات مثل : الدف – الطبل – الصنجات النحاسيّة – ولها بعض الأناشيد الدينيّة الخاصة به . انطلقنا من دمشق إلى برزة باكراً لنأخذ لنا مكاناً من هذا الاجتماع الكبير والحفل الواسع نقلنا بعربة يجرها حصان . ووصلنا إلى حيث الموقع في برزة مقابل مدخل جبل الورور . وكان لقربينا طاحونة مائيّة مقابل المدخل فجلسنا على السطح لنرى مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام قبالتنا والذي فيه بعض الإشارات مثل قدم في الصخر وغيره ، وكان يوم صيف جميل . بدأت الجموع تصل ودبت في المنطقة الحياة ، وكأنها مدينة مشيدة منذ فترة طويلة . البائعون في كل مكان والناس من كل حدب وصوب والتجمعات تزداد ونسمع بين الفينة والأخرى أصوات الدف والرق والطبول والصناجات النحاسيّة . وأناشيد دينيّة ودعوات ربانيّة وهذا يدل على وصول شيخ من المشايخ ، وتدق النوبة وتعلو صيحات الاستغاثة بالله ، وتعلو أصوات النوبات ، وكل نوبة لها وقعها الخاص وأناشيدها الخاصة بهذا الشيخ ونسبه .. وكنا نرى من بعيد جدارا كبيرا فيه باب خشبي صغير لا يزيد إرتفاعه عن (٩٠ سم) وعرضه عن (٧٠ سم) وهناك ساحة قبل الباب وباقي الساحة بعد الباب وهي كبيرة ، فتح الباب بعد صلاة الظهر عندها ازداد قرع الطبول والدفوف وغيره ، وبدأ المشايخ يمتطون الخيول ، كل يُعرف قدرته على ما يجب عليه ، وهو دخول الشيخ والحصان من هذا الباب الصغير إلى الطرف الآخر من الساحة والذي يبدو للرائي مستحيلا .

كنت أنظر ولا أصدق ما أرى . كيف سيدخل الشيخ بفرسه من هذا الباب . وفعلا بدأ المشايخ يلفون ويدورون بأحصنتهم حول الساحة ، ويوجّهون الخيل إلى هذا

الباب ويدعون الله انّ يمكنها من دخول الباب . . وفعلا بدأ المشايخ يحمّون خيولهم للولوج بالباب ..

سبحان الله منها من كان بسهولة متناهيّة يدخل ويخرج من الجهة الأخرى . كما يخر النجم من السماء – والبعض كان يعيد الكرة مرة واثنتين دون انّ يستطيع الدخول حتّى ينادي بصوت عال ويستجير بالله ويوشوش حصانه ثم يجري ليدخل ويلحق بالمشايخ ممن سبقه ، وهكذا حتّى يمر كل من يجد في نفسه البراعة في دخول الباب ، وهكذا حتّى صلاة العصر . إلى انّ حضر شيخ شدّ لجام حصانه وعندما همّ بالدخول هو وحصانه (حرن) الحصان وأبى الدخول ثم أعاد الكرة مرات عديدة ولم يستطع فحضر مريدوه ودقت الطبول وتعال الصياح والنداء والاستغاثة بالله ودار الحصان على أربعة أركان وصال وجال ثم شد الشيخ الحصان ونادى بأعلى صوته (يا الله) ونادى (يا جداه) . وقرأ حسبه ونسبه وكان العَرق يتصبب منه حتّى ابتلت لحيته واشتدت ضربات الدفوف ونداء الاستغاثة ثم ضرب الشيخ بقدميه بطن الحصان ووشوشه وتوجه نحو الباب وبخفة وسرعة ونفذ عبر الباب وتعالت الصيحات بالشكر والامتنان لله . وهكذا بعد العصر يبدأ العقد بالانحسار وتبدأ النوبات بالمغادرة كل إلى المكان الذي حضرت منه ويعود الناس من حيث أتوا ويفرغ المكان . وعدنا نحن إلى دمشق حاملين معنا ذكريات بقيت في مخيلتنا .

هل كان هذا صحيحا ..؟ ربما لو لم أره بأم عيني لصعب عليّ تصديقه .

وقرية برزة شرقي جبل قاسيون يهرع الناس إليها لزيارة مقام الخليل عليه السلام الواقع أعلاها وذلك أيام نضج تينها فإنه لا يوجد إذ ذاك أحسن منه وقد أرسل صاحب إربل مالاً جزيلاً ليساق به الماء من قرية برزة إلى مسجد قاسيون فلم يمكن من ذلك الملك المعظم عيسى صاحب دمشق ولو أذن أن يجر قناة من برزة إل الصالحية لكان امتد عمرانها ولكانت الدور المشيدة بها بدلاً من أن تسقى من نهر يزيد بالقلل والقرب .

ومنها الخميسيات قبلي مغارة الجوع بالصالحية أيام وجود البلح وحب الآس وبما يختصر بعضهم فيجلس عند عين الكرش ويسمى ذلك المكان بالمقصبة .
ومن أعظم منتزهاتها الغوطة ، قال شهاب الدين الخفاجي في كتابه ريحانة الألباء في حقها قوله :ومن برزمن سيره رباها وبطن واديها وتغذى بنسيمها وتربى في حجر رياض نعيمها ، وقال : في ضلال أغصانها المتعانقة هوى ووداً ،تقطر بأنفاس شمائلها التي صارت للند ندا .وطعماً من مائها العذب ، وروى بذوب لؤلؤها الرطب .فحرها يطيب ومنظرها كبدر على قضيب . وغوطتها هي في جبهة الشام غرة ، وفي حدائقها النضرة زهرة ، وفي سماء كمالها الزاهية .وبها مرج الصفر ، ومرج راهق ومرج عذراء .

حي المهاجرين في الليل :

قاسيون يا جبلي أطلعت نوّارك تحت الدجى فملأت السفح أنوارك
أنت السماء على أرض ملونة ناغت كواكبها في الليل سمّارك
(مهاجرين) إلى السهرات لاهيّة والبدر بات على أشواقه جارك
أطللت منك على الجنات ماثلة في ربوة الوادي قد هفهفن أشعارك
وخلت راعي الهوى تنساب نغمته على الصّدى فيعيد الطيّف مزمارك
أرى ربيعك ملء العام مزدهر فكلّ أمسّيّة تهاج أزهارك

زكي المحاسني

عود لزيارة قاسيون :

قال الهروي : وبجبل قاسيون مغارة آدم عليه الصلاة والسلام سكن بها . وتعرف الآن بالكهف ، وبه مغارة الجوع قيل : مات بها أربعون نبيا بالقمل والجوع وكان لها حكايّة .

قال ابن طولون في (فتح الجليل فيما ورد في مقام الخليل) : وعن هشام بن خالد بن الوليد ، عن عروة ، عن أبيه قال : سمعت علياً – وقد سأله رجل عن الآثار بدمشق فقال : بها جبل يقال له قاسيون فيه قتل ابن آدم أخاه ، وآوى الله تعالى عيسى بن مريم وأمه فيه من اليهود ، فمن أتى ذلك الموضع فلا يعجز فيه عن الدعاء .

وقال ابن عساكر : قال ابن عباس رضي الله عنهما : مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، بغوطة دمشق ، في قريّة يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون . لما (جاء مغشياً) للوط عليهما الصلاة والسلام ، وأقام فيه وصلى .

وعن الأوزاعي أنّ الخليل صلى في هذا المقام في برزة واتخذه مسجدا .

وعن الزهري أنّ مسجد إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) في قريّة برزة . من صلى فيه أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . وأن الدعاء عند قبره مستجاب .وفي روايّة : يسأل الله ما شاء فإنه لا يرده خائباً .

قال البصروي في (فضائل الشّام) قال شيخنا البرهان الناجي : انّ القاضي أبا بكر ابن البصري الشافعي ، ذكره في كتابه (أخبار الأوائل) أنه شاهد صحة ذلك . واستدل له بما وقع للسبكي مع (تنكز) نائب الشّام : فإنه عزم على ضرب ولده القاضي الحسين ، فتوجه السبكي إلى المقام بقريّة برزة . فأقام به يسأل الله تعالى انّ يكفيه شره فما نزل حتّى أخذ الله تعالى (تنكز) ، وأجاب دعاه .

والمشهور انّ الدعاء لاشك فيه مستجاب .

مواضع في دمشق يجاب فيها الدعاء

وقال الحافظ ابن الحافظ سرور المقدسي في فضائله : ورد في الأخبار انّ المواضع التي يجاب فيها الدعاء في دمشق كثيرة منها :

– مغارة الدم في جبل قاسيون لأنها مأوى الأنبياء ومصلاهم ومستغاثهم .

– والمغارات التي في جبل النيرب كانت مأوى عيسى (بن مريم) وأمه عليهما الصلاة والسلام

– **ومسجد إبراهيم** عليه الصلاة والسلام الذي ببرزة ومسجد القدم في رأس ميدان الحصى يقال: انّ هناك قبر موسى(الكليم) عليه الصلاة والسلام .

وقال الهروي : النيرب ما قبل الربوة (منطقة كيوان من ناحيّة دمشق) قريّة بقاسيون بجامعها قبر موسى بن عمران . وتجاهها قبر أم مريم .

الصـــالحيّة

التي تبعد عن ملاصقة المدينة (دمشق) ومجدداتها مقدار ربع ساعة مشيا على الأقدام لجهة الشمال مرتفعة لسفح جبل قاسيون ، وطولها شرقا بغرب من قريّة برزة التي بها مقام إبراهيم الخليل جد الأنبياء صلى الله عليه وسلم إلى مطلة مُتَنَزّه وادي الربوة المشهور ، وعرضها مسافة ربع ساعة على مشي الأثقال ، ويشق هذا الموقع عل طوله نهر يزيد وفي عام (١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م) العمار والبناء على قدم وساق على طرفي طريق جادة الصّالحية . وتم اتصال المدينة بحي الصّالحية .

والصالحيّة كانت قريّة بسفح قاسيون قبل انّ يمتد إليها الاعمار ، وكانت تُعرف بقريّة النخل وبقريّة الجبل ، أما مصدر تسميتها فمختلف فيه ، وقيل لأنها بسفح قاسيون المعروف بجبل الصالحين وقيل لأن الذين أقاموها كانوا قبل ذلك في مسجد أبي صالح فنسبت إليه ، وقيل أيضاً نسبت إلى الصالحين لصلاح من أنشأها .

والصالحيّة اليوم حيّ من أحياء مدينة دمشق الشماليّة ، تمتد بين حيّ ركن الدين والمهاجرين وهي على قسمين :

الصالحيّة العتيقة : موضع من حيّ الصّالحية كان بجوار الميطور من جهة الغرب (حول منطقة جسر النحاس اليوم) .

الصالحيّة الجديدة : قسم جديد من الصّالحية ، غربي الزاوية العذراويّة ومسجد قيس (كان هذا المسجد شمال مسجد الطشتدار الحالي إلى الشمال من جامع الشيخ عبد الغني النابلسي .

ومما قاله العارف بالله العلامة الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي [١] مدحاً

---

[١] - هو الشيخ العلامة الكبير الشهير عبد الغني بن إسماعيل النابلسي أصلاً ونسبةً وشهرةً ، الدمشقي الصالحي الحنفي : ولد بدمشق سنة (١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م) ونشأ بها وأخذ العلم من كبار علمائها . وساد وأضحى أكبر علمائها ومتصوفتها في عصره ، عارفاً بكل المعارف ، وألف وصنف ، ومن مؤلفاته مصنف بخطه محفوظ في مكتبة بطركيّة الروم الارثذوكس في محلة الباب الشرقي يدعو فيها البطرك المعاصر له بالدخول في دين الإسلام ، ونظم ونثر ما راق من الشعر والخطب والأثر ، وكان ترجماناً لحل ألغاز الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ومعضلاته وفلسفته ، وكان أستاذا في العديد من المدارس ، ثم درّس بالسليميّة بعد الناصريّة والشاميّة توفي يوم الأحد (٢٥ شعبان سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣٠ م) وصلي عليه قبل ظهر غداة وفاته ودُفن في داره تحت قبة غرفة درسه رضي الله عنه . أنشأ ابنه جامعا لطيفا على ضريحه .

بالصالحيّة وقصورها :

والصـــالحيّة يـــا لهـــا مـــن منـــزلٍ فبهـــا قُبُـــور الصَّـــالحين أولـــي التُّقـــى
وبهـــا القصـــور العاليـــات تزخرفـــت مثـــل النجـــوم زهـــت بكـــل مـــن ارتقـــى
تســـمو علـــى أطـــراف جلّـــق بهجـــةً وطـــلاوةً فيهـــا الســـرور تحققـــا

يحكى عن ابن الصائغ الحنفي أنه لما قدم من القاهرة لدمشق المحروسة نزل في (الجسر الأبيض) عند الأمير مجير الدين بن تميم ، ونهر ثورا يمر بداره المأنوسة ، فأجلسه على جانب النهر لأجل برد الهواء ، فرأى شمس الدين ابن الصائغ ما يمّر من الفواكه على وجه الماء وصار يتناول ويأكل ما استطاب . ويضع قدّامه منه ما أعجبه ، ثم التفت لابن تميم وقال له : أنت يغنيك هذا النهر عن شراء الفاكهة بفيض فضله العميم ،فأنشده ابن تميم في الحال ارتجالا :

يقـــول وقـــد رأى ثـــورا خليلـــي يفـــيض بســـائر الثمـــرات فيضـــا
أيكفـــيكم فـــلا تشـــرون شـــيئا فقلـــت : نعـــم ونبيـــع أيضـــاً

فقال ابن الصائغ : وهذه الفاكهة أليس يرميها في النهر أرباب الغيطان ؟
قال له ابن تميم : إنما هذه من اشتباك الأشجار وانحنائها عليه ، فيلقيها النسيم عندما نشتبك الأغصان ، وأما البساتنة ، فإنهم يضعون فواكه مجموعة على أبواب البساتين . كالزكاة لمن يمّر بها ويحتاج إلى شيء فيأخذه من الفقراء والمساكين .

وأخبرت في القديم انّ بعض الفقراء يضع مكتله على رأسه ويسرح في طرق البساتين . فيعود وقد امتلأ مكتله مما يسقط من الأثمار من غير انّ يتناول بيده شيئا .وفي البساتين من يزرع أشجارا للفقراء يعرفونها بالتكرار ، وغالبا ما يزرع من ذلك على الطرقات ليقرب تناوله .

والصالحيّة [1] أجمل قسم من أقسام دمشق ، وأجود ناحيّة من نواحيها ، اتخذت أجمل شكل من أشكال المدينة ، واعتبرته محافظة دمشق في طليعة أقسام البلدة وقد أدرك سكان دمشق قيمة هذه المنطقة فأخذوا يتسللون إليها أفرادا وجماعات حتّى أصبحت سيدة مدينة دمشق بناء وتنظيما وقيمة .

في هذه المنطقة الممتازة ، وقبل ثمانمائة عام مضت . قامت فيها حضارة رائعة ، كتبها التاريخ بإكبار وإعجاب . إذ أنشئ في هذه الناحيّة عشرات من المعاهد والمدارس أخرجت فحولا من العلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين فكان للصالحيّة ذِكْرٌ وأي ذكر . فهناك المدارس العظيمة والمكتبات الفخمة ، والأبنيّة الرائعه ، والعلماء الكبار .

الصّالحية جنة والصالحون بها أقاموا
فعلى الديار وأهلها منّي التحيّة والسلام

وصف الصّالحية :

وفي الصّالحية العديد من المعالم التاريخيّة التي تختزل عصوراً وحقباً تاريخيّة ، فهي تحمل الطيف اللوني المتكرر من العصر الأيوبي فالمملوكي فالعثماني ...

واليوم بدأنا نفقد كثيرا من الآثار الثمينة ، وطبعا ليست الطبيعة وشح المياه والتصحر هي المتهم الأول ، وإنما يد الإنسان التي باتت تعبث بكل شيء جميل ،

[1] محاضرة ألقاها الأستاذ محمد أحمد دهمان في المجمع العلمي العربي بتاريخ ٧ شباط ١٩٤٧

وهي نفسها اليد التي قطعت أشجار الغوطة ، ولوثت مياه بردى وتمتد اليوم لتطال قاسيون وغيره ، فهل ننقذ ما تبقى منها ...

يرجع تاريخ الصّالحية إلى القرن السادس الهجري . حيث بدأت تنشأ في هذا الجانب من قاسيون ضاحيّة جديدة . والصالحيّة حيّ قديم على سفح جبل قاسيون عرف بهذا الاسم منذ أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب حيث ابتنى فيه قصرا ، وكان قبلا يُعرف بسفح قاسيون فقط . وهو من أوسع الأحياء دائرة ، وأبهاها منظرا ، يبتدئ من بوابة الصّالحية آخر حيّ سوق ساروجة أمام المستشفى العسكري على الطريق . الحديث القديم الذي هو في شكله وطراز بنائه لا يشبه الحديث ولا القديم ، جدران من تراب ، وسقوف من المساطيح [1] تؤلف دوراً اكتظت بعضها ببعض فلا هندسة ولا نظام ، ولا هواء ولا ماء ، وكل ما فيها باب ونافذتان تسخران من بانيها وتستغيثان بساكنيها . وبعد انّ كانت طوابقها السفلى من ذات البناء ، حولوها إلى حوانيت ، وجعلوها على شفا جرف هار .

إن للاقتصاديات أحكاماً ، وللضرورات إباحات ، ولكم ما دخل هذه في اعوجاج الطريق التي أنشئت حديثا ولا أسهل من جعلها مستقيمة . ثم في اكتظاظ البنايات . والأرض كانت أرخص من شروى نقير ، ثم في جعل السقوف في بعضها أوطأ من قامة الإنسان ، فلا يستطيع رائدها الوقوف منتصبا ، فجاءت وهي على هذه الحالة ظلمات بعضها فوق بعض .

ومن العجائب انّ تروج هذه البنايات على ما فيها من عوج ، ويهرع إليها الناس من كل صوب . والباعث على ذلك ضيق المدينة بالنسبة لتكاثر السكان الذين اختاروها أولاً بحكم الضرورة . ثم تبعهم غيرهم بسائق التقليد . وصار الغريب لا يرغب في سواها لأن بني قومه وعشيرته فيها . وهكذا غصّت بالسكان على اختلاف اللغات والجنسيات ، وليت البلديّة تميل إلى فحص هذه البنايات من حين لآخر كيلا ينهار جدار أو يسقط سقف على حين غرّة فتزهق تحته الأرواح لا قدّر الله .

---

[1] المساطيح جمع مسطيحة ، بمعنى الأعواد و وهي القنطرة مولدتان ومعروفتان منذ القديم

تمتد هذه الطريق إلى الجسر الأبيض . وهي ثلاثة أقسام : الشهداء . وعرنوس والجسر . تتألف من أزقة شرف والجاريّة ، والعيطة ، والنفسج ، والسبيل ، والتكريتي ، والشهداء ، والبندق ، والمعصراني ، ودك الباب ، والحلواني ، وعرنوس ، وأوزبك ، والرئيس ، والحيّات ، والقدّاح ، والحلالات ، والمؤيد .

ومن الجسر تتفرع الطريق إلى أربعة فروع : الأول ، وهو الأيمن ، شارع الشيخ الأكبر ، المتصل بحيّ الأكراد . والثاني شارع المقدم ، الموصل إلى سوق الشركسيّة [1] . والثالث شارع أبي تقالة النافذ إلى حيّ المهاجرين ، والرابع هو الأيسر ، طريق الدواسة ، المدعو اليوم شارع نوري باشا . أول بانٍ فيه .

وشارع الشيخ الأكبر يبتدئ من الجسر فوق أبي جرش . فزقاق الشيخ عبد الغني ، فزقاق الشعارة ، والترياقي ، والزياني ، والحنابلة ، والمسكي ، والنحاس ، والشياح والحلالات ، والميسات ، وينتهي عند جامع سعيد باشا في آخر حيّ الأكراد . وشارع المقدم فيه زقاق الرباط ، والشرباتي ، وعبد ربه ، وسنبل ، والنواعير . وشارع أبي تقالة يؤدي إلى سفح الجبل ، الذي كان أجردا ، خاليا من الزرع والضرع ، لوقوعه تحت أشعة الشمس المحرقة صيفا وشتاء .

وليس فيه ماء لترطيب حرارته [2] وكان عليه مقبرة قديمة اندرست مع الأيام فخصصته الحكومة لسكن المهاجرين الأتراك الذين هاجروا من بلاد الروم عقب

---

[1] - شارع الشركسيّة : شاده الأمير أبو المنصور فخر الدين جهاركس ابن عبد الله الناصري الصلاحي من أمراء الدولة الصلاحيّة المتوفى بدمشق سنة (٦٥٨ هـ) وجهاركس معناه (أربع رجال) دعي بذلك لقوته وبسالته . والأصل شركس وهو الاسم القبيلة التي أنجبته

[2] - من غرائب الصدف انّ بهاء الدين بك (مكتوبجي الولايّة السوريّة) أيام الوالي حمدي باشا عام (١٣٠٠هج) لاحظ الاستفادة من هذا السفح الذي كان مهملا لا يملكه أحد فاشتراه من الحكومة لنفسه بخمسين ريالا مجيديا . أي نحو عشرة دنانير فقط . وهي قيمة الجبل بحسب أسعار الأرض والأملاك في ذلك الوقت وأخذ به سند تمليك . (طابو) بحدوده من قرب دار سعد الدين باشا إلى قبة السيّار وهي مسافة خمسة كيلو مترات تقريبا وبعد مدة توفي الوالي واضطر بهاء بك للعودة إلى العاصمة . وكان له صحبة مع أولاد المرحوم مؤيد باشا العظم فعرضه عليهم بمئة دينار ليستعين بها على نفقة السفر وكان تكليفه للمرحومين عبد الله بك وشفيق بك اللذين استجابا لطلبه خجلا منه ، وعرضا ثلث الصفقة على أخيهما المرحوم عبد القادر بك فتركاها لان الجبل قاحل لا يصلح للزرع ، فأقاما مقامه الشيخ عبد الرحمن المراكشي . فقدما منها إلى الحكومة ما يكفي المهاجرين ليبدؤوا بعمارة الجبل وسكناه . واحتفظا بالباقي ، فباعا منه ما شاء الله وما زال بعضه في أيدي ورثتهما إلى الآن

حرب (١٢٩٣هج / ١٨٧٦م) . وملكتهم ما يحتاجون إليه من أرضه ، فأقام كل منهم سكنا لعائلته . ثم أنشأ الوالي ناظم باشا لنفسه داراً في أخر الحيّ ، وجرّ إليها ماء الفيجة ونور الكهرباء . وجعل حافلات الترام تروح وتغدو إليه في الليل والنهار . وأخذ الأطباء يوصون مرضاهم بسكنى الجبل لجفاف أرضه واعتدال هوائه . ولما زار الإمبرطور غليوم قيصر الألمان مدينة دمشق ، نُصب له سرادق فخم على سفح الجبل وفوق (دكة) مصطبة مطلة على الغوطة الغنّاء . فراقت له ولمن زاره تلك المناظر البديعة . واجتمعت كل هذه الدعايات وأشرقت في نفوس القوم فأسرعوا لشراء حصص أولئك المهاجرين الذين أخذوا بالرحيل عائدين إلى بلادهم . وكانت قيم تلك الحصص تختلف بحسب اختلاف الوقت وحالته الاقتصاديّة فقد بيعت القصبة أولا بدينار واحد ، ثم تصاعدت تدريجيا حتّى وصلت الأربعين دينارا في الشارع الأول . أما الآن فقد تنازلت تلك الأسعار تنازلا عظيما بسبب الأزمة الاقتصاديّة العامة .

يتألف سفح الجبل من سبعة شوارع مبنيّة على السطح المائل ، الواحد فوق الآخر . وسيمى الشارع الأول شارع ناظم باشا ، أو شارع الترام . ويسمى الشارع الثاني شارع جبار آغا . والثالث شارع الشمعة ، والرابع شارع الشيخ ظبيان ، والخامس شارع المكتوبجي ، ثم شارعان آخران . وكلها تمتد من الشرق إلى الغرب وتنتهي اليوم عند قهوة أكليل بك .

وهذه الشوارع تتخللها أزقة مسماة غالباً باسم من بنى فيها أول بنايّة كزقاق المهندسين . وزقاق الباشكاتب ، وزقاق الأفرم و وزقاق الخاتون الراغبيّة . والشمسيّة . والدرج ، والمصطبة . والفرن . والوادي وغيرها ...

ومن محاسن الشام الصالحية هي قصبة دون ميل ، يمشى فيها بين ترب ومدارس ببناء جميل استولى عليها المباشرون والنضّار ، فأزالوا منها العين ولم يبقى سوى الأثر ، وبعد أن ذكر كيف تلاعبت بها أيدي الطامعين فخربوها واستولو على أحباسها وأوقافها قال :فيا شوقاه لحسن الجركسية وخلاوة الركنية ويا لهفاه على جامع

الأفرم والناصرية ، لقد تغيرت تلك المعاهد ، وأغلقت أبواب تلك المساجد والمعابد . وفي الصالحية نهران يجريان وهما ثورى ويزيد ، وكم عليهما من غرفة جميلة وقصر مشيد .

نقل بعضهم أن الصالحية اشتهرت بقرية النخل ، وهي من أنزه المواضع في دمشق قيل في مدح قصورها :

قصور الصالحية كالعذارى لبسن حليهن ليوم عرس
مطلات على لطف المياه دبيب الماء طيبة كل غرس
تقنعها الريض بكل نور وتضحكهامطالع كل شمس
إذا برد الزمان على هواها تنفر نورها منكل نفس

متنزهات الصّالحية وجبل قاسيون

متزهات الصّالحية ومنها (متنزه جبل قاسيون) هذا المتنزه دُرس عام (١٩٦٠م) وأنشيء مكانه أبنيّة برجيّة سكنيّة يشغلها الحكام والتجار والأجانب من ممثلي السلك الدبلوماسي المعتمدين في دمشق ، وقد أحاطت بشارع الشهيد عنان المالكي ، وعُرِفت هذه المحلة بحي المالكي الراقي الذي يقع غربي شارع ومحلة الروضة المعروفة قديما بحي (أبو رمانة) وأحاط شمالاً بمحلة المالكي القصر الجمهوري القديم وقصر تشرين ، وحدائق تشرين التي تقع جنوبا من شرق ساحة الأمويين إلى متنزه الربوة واختناق وادي الشاذروان غرباً ، وهي من أجمل الحدائق وأنزهها في

العصر الحديث و يؤمها أهالي دمشق نهاراً وليلاً مجاناً ، وخاصة في فصلي الربيع والصيف ، وبها تقام معارض الزهور كل عام مرة ، وتعتبر من أوسع المتنفسات والحدائق العامة بدمشق ، وقد تخللت مروجها بالأزهار وأشجار الزينة المحليّة والأجنبيّة .

وكان هذا المتنزه قبل انّ يدرس به من الأنس والانشراح والمناظر البديعة الرائعة التي لا توجد على وجه الأرض مثلها ، وقد تجدّد بسفح هذا الجبل لجهة الشرق اعمار محلة المهاجرين الأكراد وهي بازدياد حيث امتدت شرقا حتي كادت تصل إلى قريّة برزة كما تجدد أيضاً غربي سفح جبل قاسيون قرب مطلة وادي الربوة محلّةٌ للمهاجرين الأتراك التي أصبحت بجسامة مساحة دمشق القديمة وقد تطرزت بأجمل الأبنيّة وأرفعها أناقةً وترتيباً .

متنزه مصطبة غليوم العاهل الألماني :

ولما قدم ملك ألمانيا إلى دمشق أُ نشئ له مُتَنَزّه بأعلى السفح ضمن مصطبة تشرف على مدينة دمشق وغوطتيها وضياعها بأبدع منظر ، ونصبت له على المصطبة خيمة عظيمة من الحرير . وهذه المصطبة باقيّة إلى يومنا هذا ، ويقصدها الناس من كل جهة ولا تخلو من ازدحام الناس وخاصة في فصل الصيف نهاراً وليلاً .

متنزه جنائن الآس وحب الآس :

والآس شجر يغرس على ضفاف نهري ثورا ويزيد في صالحيّة دمشق ، ذو خضرة دائمة بجميع فصول السنة ، وله ثمر غَضّ الملمس ذو لون أبيض مائل إلى الصفرة بحجم الحُمّص ، طعمه حُلو المذاق قابض مرّ . تستخدم أغصانه في تزيين

القبور في الترب عند زيارتهامن قبل الأهل والأقارب والأوفياء من الأصحاب والخاصة في المناسبات الدينيّة بعيدي الفطر والاضحى رمزاً وطلنا للرحمة والمغفرة لنزلائها من الله تعالى .

وهذا المتنزه بسفح قاسيون ، من جهة الغرب يشقها نهر يزيد ،فإن الفاصل بينه وبين جبل الربوة عقبة قرية دمر إحدى منتزهات الفيحاء التي تحد قبة السيار ، ولا يوجد نظير لترتيبها بأقطار المعمورة ، وتعلو هذه الجنائن حواكير الصبّارة واللـوّز والخرنوب والأراصيا والرمان وما أشبه ذلك .

فالقاصدين لهذه الجنائن في موسم نضوج ثمر (حبّ الأس) يقسمون متنزههم إلى ثلاثة اوقات : بكرة في حواكير الصبر وهو ثمر كان يزرع بحواكير في الجهة الغربيّة من حيّ الصّالحية وحتى ضاحيّة دمر والمزة وداريا ، وقد دُرست غالبيّة غراس هذه الفاكهة ، وأُنشئت مكانها أحياء سكنيّة طابقيّة حديثة وهي من أرقى أحياء دمشق موقعاً وأنزهها إطلالاً ، وبها قصر رئاسة الجمهوريّة القديم والجديد ومقرات غالبيّة أبنيّة السفارات العربيّة والأجنبيّة المعتمدة في دمشق ويقيم فيها الموسرون والأغنياء وأعضاء السفارات والقناصل المعتمدين بدمشق من عرب وأجانب .

يعلو جبل قاسيون عن سطح البحر الأبيض المتوسط (١٢٠٠) متراً ويحتضن دمشق من شمالها احتضان الأم لأبنائها .

وثاني الاوقات من الضحى للاصفرار في مقاصف جنائن الحبلاس والرمان على حافتي النهر ، وثالث الأوقات مساءً بعد اصفرار الشمس يصعدون إلى جبل قاسيون ، بعضهم إلى المصطبة المتقدم ذكرها والبعض الأخر إلى مراكز اخرى مُطلَّة على مدينة دمشق وبساتينها وجنائنها الرائعة البديعة والتي تكاد تشبه البساط السندسي بألوان أزهارها ونباتاتها واشجارها على مدى البصر والنظر قبلةً وشرقاً وغرباً فإن جودة وعذوبة الماء لا يوجد للذته مثيل ولا لطعمه شبيه في أمصار وبلدان العالم كافة فهو ماءٌ سلسبيل لذة للشاربين . وإن رقة الهواء ولطفه ونشاطه ، مما

اعترف به وتَنَسَمَه كل زائرو قاصد ومتنزه لمدينة دمشق ، وتركت الأثر الجميل في كل نفس ، وأصبحت دمشق مزاراً وقِبْلَةً لكل من زارها بالسرور والانشراح .

ومن متنزهات الصالحية أيضاًالنيرب ،قال صاحب القاموس :اسم محل منتزه بدمشق وربما قيل له النيربان ولم أدري ما السبب ، وهي قرية عدّت قديماً من المتنزهات المفرحة المقصودة ، بقي الأسم منها فقط .وهي على نصف فرسخ من المدينة وسط الرياض ،ويذهب بعض المحققين الى أن حي المهاجرين المعمور اليوم في الصالحية كان داخلاًفي النيرب .قال القرماني :في تاريخه إنها قرية في دمشق في وسط بساتينها من جهة الغرب ، وقال ابن بطوطة في رحلته إنها في أسفل الربوة والآن قد تكاثرت بساتينها وتكاثفت ظلالها وتدانت أشجارها فلا يضهر من بناءها إلا ما سما ارتفاعه ، وقال ياقوت :هي أنزه موضع رأيته وذكر البدري إن محلة النيربين تعلو منتزه البهنسية ومنتزه جسر بن شواش وإنها من أعضم المحلات وأخضرها وأنضرها .أقول وأما اليوم فإنها قريبة من الرجوع إلى مجدها الأول حيث تكاثر بها العمران إلى حدود مدخل الربوة .

الجـــوامـــع

وفي ذلك الحيّ ثلاثة جوامع : الأول جامع الشمسيّة الذي شاده السلطان عبد الحميد خان الثاني . وجامع نافذ بك . ثم جامع الأفرم القديم ، وفيه مدرسة ابتدائيّة للبنات وأخرى للبنين ومدارس أهليّة متعددة . ومعمل لنسيج الحرير للخواجة إبراهيم المزنر . ومن المهاجرين إلى جهة الشرق يمتد شارع السكة ، ثم شارع المدارس الدوارسي . ثم سوق الشركسيّة الذي يتصل بسوق أبي جرش المار ذكره . وهذه الشوارع تؤلف من أزقة الفواخير . والخيزران . والأولياء . والسقا ، والماوردي .

والمختار وبئر التوبة . وزقاق المحكمة . وعرودك . والرباط . والمعاصر. والشيخ قاسم . والشيخ قيمر . وزقاق جبران ، وزقاق الأسد .

والجوامع الباقيّة في الصّالحية هي جامع المارداني‌ّة على الجسر الأبيض وجامع الدلاميّة . والركنيّة . والجامع الجديد . وجامع أبي تقالة . وجامع الفاخورة . والاتابكيّة . والجامع الصغير ، وجامع ...*...، وهذا الجامع ضمنه بيمارستان (مستشفى) قديم لمؤسسة الأمير .....*.... كان في حالة خراب فأصلح أخيرا .

ثم جامع الشيخ الأكبر ، محي الدين بن عربي . وجامع التكريتي . وجامع الحنابلة[1] وجامع الشيخ عبد الغني . والعريّة . والعاجيّة . وأبي النور . وشمدين آغا ، وجامع جسر النحاس . والقبارة . والزينيّة . ثم جامع سعيد باشا .

ومن الجسر إلى بوابة الصّالحية مدخل سوق ساروجة يوجد . عدا جامع الجسر جامع دك الباب . وجامع الشنواني ، وجامع الشعلان . ثم جامع الشهداء القديم .. وعلى الطريق نزل بغداد . والمستشفى العسكري ومخفره . والحقل الزراعي ومحل سينما جناق قلعة الذي اتخذ مجلسا للنواب ودائرة النافعة . ودار المعلمات ومدرسة عرنوس للبنين . ومدرسة الشهداء للبنات . وفي الصّالحية أربع مدارس حكوميّة أخرى وهي مدرستا الجديد والصالحيّة للبنات . والعفيف والأكراد للبنين . ومن الزيارات ....*....(فراغ متروك في الأصل) .

والمقامات المباركة :

[1] - جامع الحنابلة أنشأته على سفح قاسيون ، ربيعة خاتون بنت أيوب ، أخت السلطان صلاح الدين ، المتوفاة سنة (٦٤٣) هـ

مقـام نبـي الله (ذو الكفـل) عليـه السـلام . ومقـام رجـال الكهـف . ومقـام الشـيخ الأكبـر . والشـيخ عبـد الغنـي النابلسـي . ورجـال الأربعـين ومقـام الشـيخ خالـد النقشـبندي . ثـم قبـور حرملـة بـن وائـل . وجـابر بـن مسـعود ، مـن شـهداء الفـتح الإسلامي .

ولغير المسلمين كنيسة للسريان الكاثوليك في زقاق الفواخير وكنيسة لإخوان المحبة (فريـر) باسـم القـديس انطونيـوس فـي زقـاق الجاريّـة أو شـارع البرلمـان . وديـر للفرنسيسكان . يحتوي مدرسـة للبنـات باسـم القديسـة جانـدارك . ثـم كنيسـة الطليـان ومدرستهم ومستشفاهم في زقاق الرئيس على الشارع .

وفيـه أيضـاً مدرسـة الترجمـة ، ودار البريـد الإفرنسـي . ودور البعثـة الإفرنسـي ، وخزينـة الجـيش الإفرنسـي ، ودائـرة (الميـرة) الإفرنسـي ودار الـدرك الإفرنسـي ، والمدرسـة العلمانيّـة الإفرنسيّة للبنين والبنـات . والمدرسـة الأمريكيّـة للبنـات ، ثـم دور قناصل عدة .

وفـي الصّـالحية حمـام الجسـر ، وحمـام العفيـف ، وحمـام المقـدم ، وحمـام الحاجـب ، وكلها فـي الأحيـاء القديمـة أمـا الأحيـاء الحديثـة . فليس فيها حمام عام . لأن أغلب دورها لها حمامات خاصة تغني عن الحمامات العامة .

المدارس

كانت في مدينة دمشق قديماً من آثار أهل البر والتقوى مدارس عدة ذات أوقاف واسعة ، يقصدها الطلاب من كل صوب ، فيتعلمون من الأساتذة المنقطعين فيها أنواع العلوم والفنون ، التي يرغبون فيها العيش والزاد مجانا لوجه الله تعالى .

ويروى أنه كان في الصّالحية وحدها ثلاث مئة وستون مدرسة مفتحة الأبواب لكل قاصد ، فإذا أمّها الطالب الغريب وبات كل ليلة في المدرسة يقضي عاماً كاملاً دون انّ يحتاج لنفقة ما ، ويتعلم العلم الذي يريده ،

وآثار معظم المدارس ما زالت قائمة إلى وقتنا هذا ، وفي الربوة بستان يُعرف ببستان(المادنة) . وقد أدركنا منارته التي كانت قائمة إلى وقت قريب ، والبستان لا تكون له منارة كما لا يخفى . وإنما – و يا للأسف إفراط التصلب – التصلب من بعض الفقهاء جعل الآثار المدرسيّة الخالدة كالمآذن والمحاريب وما شاكلها والتواريخ المنقوشة على تلك الأحجار الضخمة ، الموجودة في نفس البناء وعلى الأبواب والجدران التي يستحيل تقليدها اليوم لعدم وجود الأحجار على الأقل . كل هذه الآثار تعدّ غير كافيّة لإثبات حقيقة المحل مادام لا يشهد بذلك شاهدان أمام قاضي الوقت . وهيهات ذلك ، وهذا الاجتهاد المعول به إلى الآن أدى إلى انّ أصبح القسم الأعظم من تلك المدارس دوراً للسكن . والقسم الآخر تحول إلى حدائق وبساتين تفلح وتغرس بوجه التملك برغم وجود تلك الآثار الخالدة قائمة تسخر ممن كان سببا في تبديل معالمها وتغيير مراسمها . وقد جعل البعض إحدى تلك المدارس بستانا فلم يأبه له أحد حتّى انّ قباب المقابر جعلها بعضهم مربطاً للدواب ، وإن الكتابات المنقوشة على الأبواب ، لم تكن كافيّة لخجل المعتدي ، أو المثابر على الاعتداء قط . أما إدارة الأوقاف فإنها غاطة في سبات عميق يمنعها من رؤيّة ما هو جار أمامها وقيل : إنه توجد في خزانة الأوقاف أسماء وظائف لأناس يدّعون التدريس التي لم يبق لها وجود ،أو هي موجودة ولم يرها صاحب الوظيفة ولا مرة

واحدة في السنة ، ويقبضون رواتبها من دون انّ يقومون بعمل ما ، ويستحلون ذلك بدعوى انّ للعلماء حقا في بيت المال . وهذا التعليل لغوٌ في حدّ ذاته لأن خزانة الأوقاف غير بيت المال . وريع الوقف مشروط لوظائف عيّنها الواقفون رحمهم الله . وقد أجمع الأئمة على انّ نص الواقف كنص الشارع . فلا يجوز تأويله بأي صورة كانت . و إذا صرف ريع الوقف لغير الجهة المخصص لها . أو لشخص مكلف بوظيفة ولم يؤدها ، يكون صارفه خائناً يوجب الشرع عزله وتعزيره ، وعلى الرغم من كل ما ذكرناه يجدر بنا انّ نتساءل أين هو ذلك العالم الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيستحق قسطه من بيت المال . في هذا الزمن الذي أصبح فيه الاحتياج إلى العلماء العاملين أكثر منه في الأزمان الغابرة ، حيث اختلط الحابل بالنابل وأمسى القابض على دينه ، كالقابض على الجمر . أجارنا الله من سوء العاقبة .

ولم يبق في دمشق من تلك المدارس العديدة التي توزع العيش والحساء على الفقراء والمساكين مجانا سوى مدرستين : المدرسة السليميّة . التكيّة التي بناها السلطان سليم الأول في حيّ الصّالحية شمال جامعه المعروف بجامع الشيخ محي الدين .

والمدرسة السليمانيّة والتكيّة كانت معروفة لدى العامة باسم التكيّة السليمانيّة ، أو مطعم السلطان سليم العثماني على المرج الأخضر وهي من أوقاف السلطان سليمان بن السلطان سليم المشار إليه ، وقد تم بناؤها عام (٩٦٢ هجري) .

التكية السليمية في الصّالحية

بناها سليم الاول في الصّالحية شمالي جامعه المعروف بجامع الشيخ محي الدين . التكية كانت معروفة لدى العامة باسم التكية السليمانية أو مطعم السلطان سليمان . وكذلك لدى علماء الاثار الذين درسوا ابنية دمشق الاثرية كولزنجر الالماني وسوفاجه الفرنسي وغيرهما .

لقد لفت نظرنا للوهلة الاولى ، وجود اختلاف في الهندسة والطابع بين هذه التكية المنسوبة للسلطان سليمان وبين التكية السليمانية القائمة على ضفة بردى . وشككنا في انّ يكون بناؤها في عهد سليمان وبدأنا البحث عن الحقيقة .

سألنا المسنين من أهل حي الصّالحية عن اسم البناء ، فقيل لنا إنها تكية الشيخ محي الدين بن عربي ، وتلك التسمية ناجمة عن وجود قبر الشيخ محي الدين بن عربي في جوارها ، وقد غلب اسمه على الجامع السليمي ايضاً الذي شيّده سليم الاول إلى جوار ضريح الشيخ .

ورجعنا إلى المؤلفات التي وضعها علماء الاثار ، فقرأنافي كتاب (ولزنجر) الذي وضعه عن أبنية دمشق ما يلي : ومقابل الجامع يوجد بيت للفقراء الذي بناه السلطان سليمان بن سليم سنة (٩٦٠) بقبتين عظيمتين ، و لكنه احترق سنة (٩٦٢) ثم أعيد بناؤه أجمل مما كان .

وكذلك فعل (سوفاجه) في كتابه (أبنية دمشق الاثرية) حيث أطلق على البناء اسم (camtime) أي مطعم وقال إنه بني عام (١٥٥٢ م) (٩٦٠ هـ) من قبل السلطان سليمان حسب مخطط سنان ورمم عام (١٥٥٤ / – ٩٦٢ هـ) بسبب الحريق ، وهو البناء الوحيد من هذا الطراز في سوريا .

والواقع انّ هذا البناء شيد في أعقاب الفتح العثماني . وبدئ ببنائه مع الجامع السليمي قبل عودة السلطان الفاتح إلى بلاده، وخلال اقامته في دمشق التي استغرقت حوالي أربعة أشهر ، وهذه الفترة والسنوات التي تلتها تعتبر فترة انتقال من حيث تطور فن البناء الذي ساد في عهد دولتي الايوبيين والمماليك . إلى عهد سادت فيه قواعد العمارة العثمانية ، فبلاد الشّام غدت جزءاً من الامبرطورية

العثمانية المترامية الاطراف ، وأصبحت تابعة إلى العاصمة استانبول في كل شيء حتى في العمارة والفنون الاخرى .

وظهرت آثار المدرسة العثمانية بشكل واضح منذ النصف الثاني للقرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وطبعت بطابعها كل الابنية كالجوامع والتكايا والمدارس .

ومن الطبيعي انّ يكون فن البناء في فترة الانتقال التي أشرنا إليها ، فناً مخضرمً يتجلى في تكيتنا هذه التي بناها سليم الاول سنة (٩٢٤ هـ – ١٥١٨ م) فلا هي تشبه أبنية العهد المملوكي من حيث المخطط وشكل القباب والأبواب والأقواس والزخارف ولا هي تشبه ابنية العهد العثماني كالتكية والمدرسة السليمانيتين في دمشق اللتين بنيتا حسب المخطط بالاضافة إلى ما تختص به تكيتنا من تقشف وبساطة ناتجتين عن ظروف الفتح .

يتألف مبنى التكية السليمية من بهو واسع مستطيل أطواله (٨,٣٥ × ١٥,٧٠ م) مسقوف بقبتين تقسمانه إلى مربعين متساويين ، وهذا البهو يشبه (الصوفا) في الابنية الحديثة حيث تنفتح في جدرانه أبواب الغرف والقاعات الخاصة بمستودعات المؤن والمطبخ ، ويدخل إلى هذا البهو من الباب الرئيسي في الواجهة الجنوبية ، ويتألف الباب من فتحة واسعة ذات قوس مخموس ضمنها فتحة أصغر تعلوهاعتبة على شكل قوس مجزوء فارسي ، وتتناوب الحجارة السوداء والبيضاء المزية في كلا القوسين ، وعن شمال الباب نافذةتقع خلفها ضريح قديم ، احتفظ به عند بناء التكية ، وعن يمين الباب سبيل مفتوح في الواجهة ويليه فرن التكية .

بوابة الصّالحية

ساحة يوسف العظمة

تقع هذه الساحة بين بدايّة جادة الصّالحية ومدخل سوق ساروجا مكان البوابة التي تواجدت قديما في هذا الموضوع والتي نسبت التسميّة إليها ، وتصّب فيها الشوارع التاليّة :

١-شارع فؤاد الأول نسبة لملك مصر ويتجه نحو الجنوب وقد تبدلت التسميّة حاليا إلى شارع بور سعيد .

٢-جادة الصّالحية وتتجه نحو الشمال حتى الجسر الأبيض ، (ساحة الشهيد عمر الأبرش) وصارت تسميتها (شارع الصّالحية) .

٣-شارع (٢٩) أيار ويتجه نحو الشرق حتى ينتهي عند ساحة السبع بحرات .

٤-شارع يوسف العظمة باتجاه الجنوب حتى ساحة المرجة (ساحة الشهداء) عبر أحياء البحصة .

٥-شارع ميسلون وعنده فندق (الشّام) الحديث .

شارع (٢٩) أيار الممتد بين بوابة الصّالحية وساحة السبع بحرات في النصف الثاني من خمسينات القرن الماضي وجاءت تسميته نسبة إلى العدوان الإفرنسي على سوريا في (٢٩ أيار ١٩٤٥م) بعد انّ كانت (شارع بغداد) عند فتحه (١٩٢٥م) ثم شارع (فؤاد الأول) . أما قبل هذا التاريخ الأخير فلم يكن موجوداً وقد فكر والي دمشق العثماني (خلوصي بك) بفتح جادة في موضعه عبر بستان (الكركة) سنة (١٣٣٣هـ / ١٩١٤ م – ١٩١٥م) وإطلاق اسم (الجادة الخلوصيّة) عليها إلا انّ هذا المشروع بقي في حيز الفكرة ولم يتحقق إلا في عام (١٩٢٥م) عندما وضعته قوات الاحتلال الإفرنسي موضع التنفيذ . تواجد في الجانب الأيمن من هذا الشارع ، وفي موضع المركز الثقافي السوفياتي الحالي ، (مقهى وسينما اللونابارك) الذي كان يعمل كمقهى أثناء النهار وسينما صيفيّة

مكشوفة تظللها السماء في الليل ، وبقيت التسميّة على حالها حتى الجلاء سنة (١٩٤٦ م) حين توقفت السينما عن العمل وبقي المقهى الذي صار يُعرف (بمقهى الرشيد) إلى انّ هدم في مطلع الخمسينات أما في اليسار فتتعطف قضبان ترامي (المرجة – المهاجرين) و (المرجة – الشيخ محي الدين) عند (دوّار) بوابة الصّالحية متجهة إلى جادة الصّالحية لتتفرع في (الجسر الأبيض) إلى فرعين يذهب كل منهما نحو أحد هذين الحيين . وعند بدايّة هذه الجادة ومبدأ شارع (٢٩) أياريرتفع مبنى قديم مسقوف بالقرميد مؤلف من ثلاثة طوابق كانت تشغل الاخير منها (رابطة المحاربين القدماء) كما امتدت تحته باتجاه جادة الصالحية صيدلية (ألوف) ومكتبة محاسن والمصور كربيس وعند زاويته تواجد متجر لبيع الدخان والطوابع وامامه على الرصيف سبيل ماء (فيجة) والى جواره في شارع ٢٩ أيار كان مقهى (الفاروق) الصيفي والشتوي معاً وقد هدم هذا المبنى والمباني المجاورة في مطلع الثمانينات لترتفع مكانه عمارة إسمنتيّة عملاقة .

جادة الصالحيّة

عرفت هذه الجادة أيضاً بطريق الصّالحية ، وشارع الصّالحية مؤخراً ، وهي تمتد من بوابة الصّالحية (ميدان يوسف العظمة) حتّى الجسر الأبيض (ساحة الشهيد عمر الأبرش) ، وتنقسم إلى الجادات التاليّة من الجنوب ، إلى الشمال : جادة الصّالحية . جادة البرلمان ، جادة الشهداء . جادة عرنوس ، جادة الطلياني .

تم فتح جادة الصّالحية بين بستان (الخستة خانة) مكان المستشفى العسكري ، وبستان (الكركة) في الطرف المقابل في عهد الوالي (حسين ناظم باشا) سنة(١٣٢١ هج / ١٩٠٣ م) . وبدأ النشاط العمراني فيها بالنمو منذ سنة (١٩٢١م) حين سكنتها العائلات الثريّة الإفرنسيّة والإيطاليّة وشيدت فيها عديداً

من الدور والمباني مدمرة بذلك بساتين الغوطة التي كانت تفصل المدينة القديمة عن أحياء الصّالحية والمهاجرين . وفي عام (١٩٣٠م) توسعت الحركة العمرانيّة فأتت على ما تبقى من البساط السندسي الأخضر .بالاتجاهين الشرقي والغربي فنشأت نتيجة لذلك أحياء جديدة مازالت تتوسع وينشط فيها البناء بحركة مستمرة التسارع . كما كان للترام تأثير في هذا المجال إذ أوجد واسطة انتقال سهلة ورخيصة بين هذه الأحياء التي كان يمر فيها

من أهم المباني التي شيّدت في هذه الجادة من الجنوب إلى الشمال :

– المستشفى العسكري :

تواجد هذا المستشفى عند زاويّة بوابة الصّالحية حتى نادي الضباط القديم و ينسب بناؤه إلى (إبراهيم باشا المصري) الذي تواجد في دمشق محتلاً خلال الأعوام (١٨٣٢ – ١٨٤٠ م) كما تذكر بعض المراجع أنه شيّد عام (١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م) وهذا التاريخ يوافق ولايّة (أسعد مخلص باشا) بعد الرجوع إلى سالنامة ولايت سوريّة – وبهذا يبقى التاريخ الدقيق لبنائه معلقاً . كان طراز عمارة هذا المبنى أوروبيا بتأثيرات عثمانيّة خفيفة ويشبه مبنى (رئاسة الأركان الإفرنسيّة) . قبالة مبنى البرلمان من حيث التصميم وكأن مهندس المبنيين واحد . عرف هذا المستشفى في بدايّة عهده باسم (المستشفى العسكري العثماني أو الخستة خانة) حتّى الاحتلال الإفرنسي سنة (١٩٢٠م) حين صار (مستشفى هنري دوفير بيزييه العسكري) .عام (١٩٤٦) بعد الجلاء تحول إلى مستشفى(يوسف العظمة) حتى هدم سنة (١٩٤٩ م) وارتفعت مكانه سلسة متصلة من الأبنيّة الحديثة .

٢ – نادي الضباط الإفرنسي :

بجوار المستشفى العسكري إلى الشمال (نادي الضباط القديم حالياً) ، وكان في الأصل منزلاً (لصبحي بركات) الذي تولى رئاسة الوزراء السوريّة مرتين خلال الأعوام (١٩٢٢ – ١٩٢٥ م) [١]

٣- **المجلس النيابي (البرلمان)** :

إلى الشمال نادي الضباط وعلى نسقه عند زاويّة (طريق الجبخانة) التي عرفت فيما بعد بشارع البرلمان والتي كانت تمر عبر بستان (الخستة خانة) و(جنينة الكوت) [٢] ثم صارت شارع المجلس النيابي بعدها شارع مجلس الشعب .

بدأ تشييد هذا المبنى سنة (١٩٢٨ – ١٩٢٩ م) [٣] على طراز العمارة العربيّة الإسلاميّة في نفس الموضع الذي كانت تشغله أول صالة عرض سينمائي أقيمت في دمشق سنة (١٩١٦م) . من قبل الحكومة التركيّة التي سمتها (سينما جناق قلعة)[٤] خليدا لانتصارهم على الأسطول الإنكليزي في معركة مضيق جناق قلعة بين البحر الأبيض المتوسط وبحر مرمرة ، وقد افتتح هذه الدار (أحمد جمال باشا الكبير الملقب بالسفاح) . ولم تستمر في العمل أكثر من شهر واحد إذ في ليلة قمراء استفاق سكان دمشق على أصوات (فرقعة) عظيمة وشاهدوا هذه الدار كتلة من اللهب نتيجة احتراق (بكرة الفيلم) – وكانت الأفلام في تلك الحقبة سريعة الاشتعال – فتحول المبنى الذي كان مشيدا على الطراز الأندلسي ومصمما من داخله على نسق الأوبرا إلى ركام .

---

[١] - سجلات وزارة الخارجيّة : أيضاً (العرب من وراء اللهب) : وعبد الغني الأسطواني دار قتيبة دمشق (١٩٨٦ ص ٤٦٥) .

[٢] - استنادا لخارطة شرطة دمشق الموضوعة خلال الأعوام (١٩٢٢ – ١٩٢٤ م) .

[٣] - كتاب الحكومة السوريّة في ثلاث سنوات (١٩٢٨ – ١٩٣٠ م) ص ٣٨ .

[٤] - قصة السينما في سوريّة : رشيد جلال المجلس الأعلى لرعايّة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيّة دمشق (١٩٦٣ ص ٨) .

- رئاسة الأركان الإفرنسيّة :

كانت تُعرف (بالقيادة العامة لسوريّة الجنوبيّة – جيش الشرق [١]) . وشغلت منذ بدايّة الاحتلال سنة ١٩٢٠م المبنى المقابل للبرلمان ، و إلى الجنوب قليلا ، ومنه انطلقت شرارة العدوان الإفرنسي في (٢٩ أيار ١٩٤٥م) [٢] . حينما هاجمت قوات السنغال والمرتزقة حاميّة البرلمان من الدرك القلة فكانت المجزرة التي ذبح فيها أبطال هذه الحاميّة ذبح النعاج ، ثم مثّل بالجثث وأحرقت ، وأذكر أنني دخلت إلى قاعات هذا المبنى بعد توقف العدوان مباشرة برفقة الصديق (حسان) نجل
الرئيس شكري القوتلي في ذلك الوقت الذي كنا فيه أطفالا كبارا ومنذ ذلك التاريخ وصورة المأساة المروعة لا تغيب عن خاطري (هذا قول المؤلف الدكتور قتيبة الشهابي) . هدم بناء الأركان الفرنسيّة في الخمسينات وشيد مكانه مبنى (عبد الحميد دياب) الحالي .

٥ – مبنى المعهد العربي الإسلامي :

ويقع هذا المبنى عند زاويّة التقاء جادة الصّالحية بشارع العابد . وكانت ملكيتة تعود (لآل القباني) الذين شيدوه إلى انّ هدم في مطلع الثمانينات وارتفع مكانه (برج الصّالحية) العائد (لآل سكّر) .

٦- سينما الأمبير [١] :

كانت قبالة المستشفى العسكري و بجوار المصور (جورج درزي) الذي اعتبرت واجهة محله الزجاجيّة مرآة تعكس الوضع السياسي في البلد من خلال الشخصيّة

التي كان يعرض صورتها في هذه الواجهة والتي كانت تتبدّل وفق تبدل النفوذ . ودفعاً للالتباس أشير إلى انّ سينما (الأمير) الحاليّة شيّدت إلى الشمال المجاور لسينما (الأمبير) التي تبدلت تسمتيها إلى (فريال) حتّى هدمت منذ عهد قريب .

جادة الشهداء :

تمتد هذه الجادة ضمن طريق الصّالحية من ساحة البرلمان حتى ساحة عرنوس (ساحة ٨ آذار حاليا) ،ويتفرع منها إلى الشرق زقاق المعصراني (شارع الباكستان حاليا) الذي يخترق بستان (بندق) حتّى ينتهي في ساحة السبع بحرات ، و إلى الغرب زقاق السبكي وتغطي مدخله قنطرة ، لذلك عرف (بتحت القنطرة) [١] . كانت منطقة الشهداء ضمن قريّة قديمة منفصلة عن دمشق تدعى (أرزة) تمتد من سوق ساروجة حتّى منطقة الطلياني تقريبا ، وتعتبر من الأماكن المقدسة ، نزلها العرب منذ الفتح الإسلامي ثم اضمحل أمرها في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وفيها مسجد (الشهداء) الذي شيّده الشيخ (محمد بن قديدار) من أصحاب أبي بكر الموصلي فوق أضرحة ثلاثة أخوة من الصحابة استشهدوا عند فتح دمشق ، ويعود تاريخ بنائه إلى تلك الحقبة [٢] .
عاد العمران إلى هذه المنطقة بدايات الاحتلال الإفرنسي عندما سكنتها الجاليات الفرنسيّة والإيطاليّة والميسورين من المواطنين . فصارت وجادة عرنوس حيا للأوروبيين [٣] وسميت (الشهداء) نسبة إلى الأضرحة المذكورة ، كما جدد المسجد ولا زال قائما إلى اليوم عند زاويّة (زقاق الشهداء) المؤدي إلى شارع الحمراء (شارع الحريّة) حاليا . و إلى الشمال الغربي من المسجد وعلى نسقه ،

---

[١] استنادا لخارطة شرطة دمشق الموضوعة خلال الأعوام (١٩٢٢ – ١٩٢٤ م) .
[٢] القلائد الجوهريّة في تاريخ الصّالحية : محمد بن طولون تحقيق محمد أحمد دهمان دار الفكر دمشق ١٩٨٢الصفحة (٣١)
[٣] مدينة دمشق : صفوح خير وزارة الثقافة ١٩٨٢ ص٢٠٤

والجنوب الشرقي من زقاق السبكي (تحت القنطرة) تواجدت مكاتب إدارة ومحاسبات الجيش الإفرنسي (الانتندانس) وقبالتها مبنى الجمعيّة التعاونيّة للقوات الفرنسيّة (الكوبيرا تيف) [١] كما كانت (صيدليّة القنواتي) . بجوار (القنطرة) من جهة الجنوب . كما جاء في مذكرات خالد العظم ج ١ ص ١٦٥ : أنشئ (النادي السوري الفرنسي) في أحد الدور من محلة الشهداء عام (١٩٢٧م) وأشرف على تأثيثه وفق الطراز العربي المهندس الإفرنسي (إيكوشار) وألغي هذا النادي (١٩٢٩م) . كما أنشئت مدرسة (دوحة الأدب) [٢] قبالة مسجد الشهداء و إلى الشمال قليلا كردٍّ وطني دفاعي تجاه انتشار المدارس التبشيريّة الأجنبيّة خصوصا الإفرنسيّة منها كمعهدي (اللاييك : الحريّة – وجان دارك : دار السلام) ومدرسة (الفرير ماريست) وغيرها . وعند الطرف الشرقي لهذه الجادة بالقرب من ساحة البرلمان كانت سينما (رويال) [٣]الصيفيّة والشتويّة والتي ألغيت في الأربعينيات . (من القرن العشرين)

ومن المساجد التي تواجدت في الجانب الشرقي لجادت الشهداء عند التقائها بزقاق عرنوس . (جامع دك الباب) شيّده (أبو علي يوسف دك الباب) ، سنة (١٣١٥ هـج / ١٨٩٧ م) ودفن فيه سنة (١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م) [٤] وفي عام (١٩٦٥ م) احترق هذا الجامع [٥] وتشغل مكانه الآن ساحة فيها موقف للسيارات ومؤسسة استهلاكيّة .

---

[١] ذكريات د. قتيبة الشهابي . إذ عايش تلك الفترة وكان يقطن قريبا من هذا الموضع

[٢]) كان د. قتيبة الشهابي تلميذا في هذه المدرسة خلال (١٩٤٠ – ١٩٤٦)

[٣] مكان متجر (حلويات سميرا ميس) حاليا

[٤] استنادا للوحة المؤرخة لبنائه جانب بابه قبل انّ يحترق . أيضاً (ثمار المقاصد في ذكر المساجد) ابن عبد الهادي تحقيق محمد أسعد طلس مكتبة لبنان ١٩٧٥ م / ص ١٠٧ / .أيضاً (منتخبات التواريخ لدمشق) الحصني / ص ١٠٤٧ /

[٥] سجلات إطفاء دمشق (احترق بعيد حريق عرنوس الكبير بفترة قصيرة

جادة عرنوس

هي امتداد لجادة الشهداء شمالاً من ساحة عرنوس أو عرنوص (ساحة ٨ آذار) حتى جادة الطلياني بين بستان (حمص) وجنينة (الحيات) شرقا وبستان (الطاسات) غربا [١] . سميت عرنوس نسبة لضريح الولي (عرنوس) الذي تواجد في هذه المنطقة ودثر عند تنظيمها . وما زالت الأجيال تتناقل قصة سقوط ابنة أمير طرابلس الصليبي أسيرة في أيدي رجال (إسماعيل أبو السباع) المدفون في الصّالحية والذي أحسن معاملتها وتزوجها فعبرت له عن وفائها . وعندما أعربت عن رغبتها في زيارة أهلها سمح لها بالسفر لمقابلتهم . وما كادوا يرونها حتّى عادوا بها إلى روما حيث أنجبت طفلا من زوجها (إسماعيل) وأسمته (عرنوس) ، وبثته ذكريات أبيه ، وبعد ما كبر أعد للاشتراك في حملة صليبيّة جديدة . وجرت معركة انهزم فيها الابن الشاب أمام أبيه الشيخ الذي تمكن من التعرف عليه من أيقونة كان الأب إسماعيل قد أهداها لزوجته فكانت الدموع أبلغ من العبارات مما جعل الفتى ينضم إلى قوات العرب المسلمين وقد استيقظ ضميره الإنساني وأوحى له بالتقوى حتّى غدا بمثابة ولي دفن عند وفاته في هذه المنطقة[٢].

بدأت الحياة بالنمو في هذه المنطقة منذ عام (١٩٢١م) شأنها شأن بقيّة المناطق المجاورة ، وتوسعت عمرانيا (١٩٣١ م) بالاتجاهين الشرقي والغربي .

من الدوائر الرسميّة التي تواجدت في جادة عرنوس بالاستناد إلى (خارطة دمشق الموضوعة في باريز عام (١٩٣٩ م) :

١- قيادة الدرك الإفرنسي : شغلت البناء الأول من الجهة الشرقيّة للجادة عند زاويّة (زقاق عرنوس) .

---

[١] استنادا لخارطة شرطة دمشق (١٩٢٢- ١٩٢٤)

[٢] دمشق وأهميتها العمرانيّة والمعماريّة : بشير زهدي سلسلة محاضرات جمعيّة أصدقاء دمشق ١٩٨٢-ص٢٤

٢- قنصليّة الحجاز ونجد : تلي قيادة الدرك الإفرنسي باتجاه الطلياني تليه في العمق (قنصليّة أو معتمديّة الحجاز ونجد) التي أنشأها الملك عبد العزيز آل سعود بعد انّ وحّد الجزيرة (١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م)[١] . فكانت أول معتمديّة للملكة في دمشق وكان الشيخ (ياسين الرواف) أول معتمد لها[٢] .

وفي جهة اليسار (زقاق يزبك) ومن بعده (عمارة البسّام) المعروفة . التي كانت تشغل قسما منها (المدرسة الأمريكيّة للإناث) وكانت توجد لافتة معلقة على أسلاك الكهرباء وفيها عبارة (عند الطلب) وهي لافتة للترام يتوقف عندها إذا طلب أحد الركاب منه ذلك أو أشار إليه من يود الركوب وظلت هذه العبارة معتمدة إلى انّ تبدلت في حقبة لاحقة بعبارة (موقف اختياري)

وفي (٩ / ٥ / ١٩٦٥ م) شب حريق كبير باسم حريق عرنوس وذهب ضحيته ثلاثة شهداء من رجال الإطفاء أثناء تأديتهم للواجب الإنساني هم (يوسف القيسي ، ومحمد الحلواني ، وستريك جوليان) [٣] .
٣- مبنى (زيوار باشا)[٤] شيده زيوار باشا العظم دارا لسكناه سنة (١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م) إلا انّ المنيّة عاجلته قبل انّ يحقق ذلك . فشغلته مدرسة الطب التي عرفت باسم (مدرسة الحياة) منذ التاريخ المذكور حتّى سنة (١٩١٣ م) حين انتقلت إلى المبنى الذي شيد خلف وجنوب المستشفى الوطني (مستشفى الغرباء) فصار المبنى ثانويّة رسميّة للإناث وعرف (بدار المعلمات) طوال فترة الاحتلال

---

[١] - المنجد في اللغة والأعلام قسم الأعلام دار المشرق ببيروت ١٩٨٤ م ص ٤٥٠
[٢] - ذكريات ٣ : علي الطنطاوي ص ٥٥
[٣] - سجلات إطفاء دمشق .
[٤] - للتوثيق انظر بحث (الجامعة السوريّة – مدرسة الطب) وفي هذا المؤلف . أيضاً مدينة دمشق د. صفوح خير وزارة الثقافة ص ٢٠٤ . أيضاً دمشق دراسات تاريخيّة وأثريّة : مديريّة الآثار والمتاحف دمشق ١٩٨٠ ص١٩٥ . أيضاً دمشق في مطلع القرن العشرين : أحمد حلمي العلاف دار دمشق الطبعة ١٩٨٣ ص٤١٤

الإفرنسي . ثم تحول إلى (ثانويّة جول جمال) نسبة لشهيد البحريّة السوريّة الذي قدم حياته دفاعا عن مصر إبان العدوان الثلاثي سنة (١٩٥٦) إلى انّ كان مطلع عام (١٩٨٥) عندما هدم هذا المبنى .

المدرسة الأمريكيّة للإناث : قبالة قيادة الدرك الإفرنسي في الجهة الغربيّة للجادة عند التقائها (بزقاق يزبك) .

تبدلت معالم جادة عرنوس في الوقت الحاضر إثر هدم المباني القديمة منذ عام (١٩٨٥) وإنشاء ساحة (٨ آذار) وتنظيم شارع (الملك العادل) ، مكان زقاق عرنوس . وشارع (المهدي بن بركة وجلال البخاري) بدلاً من زقاق يزبك ، وتشيد عمارات حديثة لا تلتزم بطراز معين من أطرزة فن العمارة أكثر من التزامها بالكتل الإسمنتيّة المتراكمة (كعلب الكبريت) التي تخضع لرغبات (تاجر البناء) ومصلحته الماديّة على حساب القيم الجماليّة والتاريخيّة والتراثيّة ...

جادة الطلياني

نشأت هذه الجادة في نفس الحقبة الزمنيّة لنشوء طريق الصّالحية وتمتد من جادة عرنوس وساحة الجسر الأبيض مخترقة بستان (الرئيس) إلى الشرق ، منها وبستان (غنيم) في غربها . ومنها يمتد (زقاق الحياة [1] نسبة إلى مدرسة الحياة أو مدرسة الطب و يُعرف حاليا بجادة عمر المختار . الذي يتجه نحو الشرق حتّى يلتقي بشارع الشهبندر .

من المشيدات الهامة في جادة الطلياني :

[1] - استنادا لخارطة شرطة دمشق الموضوعة خلال الأعوام / ١٩٢٢_ ١٩٢٤ /

١- المستشفى الإيطالي: [١] في جهة الشرق من الجادة و إلى الشمال من نسق مبنى زيوار باشا وبينهما زقاق الحياة . شيدتها الجاليّة الإيطاليّة على طراز العمارة الأوربيّة بتأثيرات إيطاليّة تعكس أسلوب عصر النهضة ومنهج (الباروك) الفني بالتفاصيل الدقيقة والبذخ الجريء والكتل العنيفة الثوريّة . بدأ بناء هذا المستشفى (١٩١٣م) . إلا انّ ظروف الحرب العالميّة الأول حالت دون افتتاحها حتّى عام (١٩٢٥ م) حين بوشر العمل فيها ولا زال مستمرا إلى اليوم .

٢- المدرسة الإيطاليّة : تقع إلى الخلف من المستشفى الإيطالي تأسست سنة (١٩١٠م) [٢] وتضمنت قسمين الأول للإناث . وتديره راهبات إيطاليات . والثاني للذكور ، إضافة إلى دير وكنيسة . ولا زالت هذه المدرسة ، قائمة إلى اليوم تحت إشراف وزارة التربيّة .

٣- مدرسة الإخوة المريميين (الفرير) [٣] : افتتحت هذه المدرسة في العشرينات إلى الشمال من المستشفى إيطالي والجنوب من جادة بستان الرئيس واستمر في العمل حتّى الجلاء (١٩٤٦) ثم أعيد افتتاحها حديثا في شارع (أبو رمانة) تحت اسم (الأخوة)

٤- مبنى القنصليّة الإنكليزيّة [٤] قبالة المستشفى الإيطالي في الجانب الغربي لجادة الطلياني .

الجسر الأبيض

---

[١] - مدينة دمشق : د. صفوح خير وزارة الثقافة ١٩٨٢ ص ٢٠٤

[٢] - سجلات المدرسة واللوحة المؤرخة لها عند بابها .

[٣] - كان د. قتيبة الشهابي تلميذا فيها (١٩٣٩ – ١٩٤٠م) ، أيضاً (حديث دمشقي نجاة قصاب حسن .دار طلاس ١٩٨٨ ص ٢٩٠

[٤] - خارطة دمشق الفرنسيّة الموضوعة عام (١٩٣٩ م)

هي المنطقة التي تنتهي عندها جادة الصّالحية ، وتبدأ منها جادة العفيف باتجاه الشمال . كما يمتد منها نحو الشرق شارع (شفيق المؤيد) [١] ، وشارع (الشيخ محي الدين بن عربي) . ونحو الغرب شارع (الجسر الأبيض) الذي يتفرع إلى شارعين يحيطان بهر (ثورا) هما شارع مصر عند ضفته الشماليّة . وشارع الحجاز عند ضفته الجنوبيّة . حيث ينتهيان بشارع (أبو رمانة) أو شارع (بريطانيا) [٢] كما كان يسمى وتعرف هذه الساحة الآن بساحة (الشهيد عمر الأبرش) الذي استشهد في حرب (١٩٧٣ م) . كانت تسميات المناطق قديما تأتي من الأسماء التي تطلق على الضواحي أو (العلامات) المميزة في هذه البقعة أو تلك وعلى هذا الأساس كانت تسميّة الجسر الأبيض نسبة إلى جسر كان فوق نهر (ثورا)[٣] في هذا الموقع ويظهر أنه كان ذا لون ابيض . ولم أجد في أي من المراجع ما يثبت عكس ذلك .

بدأ نمو هذه المنطقة منذ عام (١٩٢١) أسوة بجاراتها من مناطق جادة الصّالحية والعفيف . وتواجد فيها العديد من الخوانق والمدارس والحمامات ولم يبق منها سوى (جامع المارداني‌ّة) أما تلك التي اندثرت فهي :

١- الخانقاه الباسطيّة : كانت في الجانب الغربي لجادة العفيف عند الجسر الأبيض أنشأها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش الإسلاميّة . الخوانق والكسوة الشريفة في العهد المملوكي بعيد عام (٨٠٠ هـ)[٤]

---

[١] - وجدت في منتصف الشارع ، لوحة رسميّة زرقاء اللون معلقة عند زاويّة إحدى الأبنيّة تحمل عبارة (شارع نسيب البكري) ويظهر أنها كانت التسميّة القديمة لهذا الشارع .

[٢] استنادا لدليل دمشق ١٩٤٩ : المدير العام للشرطة والأمن بدمشق مطابع ابن زيدون ص ٤١ و ١٥٥

[٣] - دور القرآن في دمشق : عبد القادر النعيمي تحقيق د. صلاح الدين المنجد . دار الكتاب الجديد بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٢ ص٣٨ .

[٤] - القلائد الجوهريّة في تاريخ الصّالحية : محمد بن طولون تحقيق أحمد دهمان القسم الأول مجمع اللغة العربيّة بدمشق الطبعة الثانيّة (١٩٨٠ ص ٢٧٤) أيضاً : انظر مخطط الصّالحية الذي وضعه محمد أحمد دهمان المرفق مع كتاب القلائد الجوهريّة هذا

ثم هدمت لتقوم مقامها دار (نوري باشا) وما في غربها في الجادة المعروفة بهذه التسميّة اليوم – أي جادة نوري باشا – وقد انتقلت هذه الدار إلى (آل القوتلي) في حقبة لاحقة [١] .

٢ – الخانقاه العزّيّة : وقعت إلى الجنوب من الخانقاه الباسطيّة وشمال نهر (ثورا) . أنشأها الأمير عز الدين أيدمر الظاهري نائب الشّام في العهد المملوكي حوالي عام (٦٩٠ هـ) [٢] . ذكر الدهمان في (ولاة دمشق في عهد المماليك ص ٦٥) : دثرت هذه الأبنيّة ولم يبق لها أثر . وقام مكانها المقهى الذي في محلة الجسر على يسار الذاهب إلى المهاجرين ، عند موقف الترام وقد دثر الآن المقهى ، وقامت في قسم من هذا المكان بنايّة ضخمة (لآل الأيوبي)[٣].

٣– المدرسة الأسعرديّة : مكانها عند زاويّة التقاء جادة العفيف بجادة ابن المقدم ، وكانت من مدارس الشافعيّة أنشأها التاجر الكبير برهان الدين إبراهيم بن مبارك شاه الأسعردي الدمشقي المتوفى سنة (٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م) في العهد المملوكي . وكانت غايّة في الجمال والأناقة . وفي أيام الملك فيصل (١٩١٨ – ١٩٢٠) هدمتها دائرة الأوقاف لتوسيع الطريق وشيدت مكانها بعد سنوات بنايّة من الحجر الأبيض والأسود ، متعددة الطوابق [٤]

٤– جامع الماردانيّة : كان في الأصل مدرسة للأحناف وأنشأتها عزيزة الدين أخشاخاتون ، زوجة الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبو بكر بن أيوب من العهد الأيوبي سنة (٦١٠ هـ) وفيها دفن الأمير سيف الدين أشنك من العهد المملوكي سنة (٨١٦ هـ) ويذكر كرد علي في (غوطة دمشق) ص ١٢٧ : انّ

---

[١] - دور القرآن في دمشق ص٣٩ .
[٢] - القلائد الجوهريّة ص٢٨١
[٣] - دور القرآن في دمشق ص٣٩
[٤] - دور القرآن في دمشق ط٣ (١٩٨٢ –ص ٣٨) وللتوسع انظر (القلائد الجوهريّة لابن طولون القسم الأول ١٩٨٠ ص ١٢٧ .

آل المؤيد اتخذوا من هذا الجامع مدفنا لهم (لذلك يُعرف أحيانا بجامع المؤيد) ومازال هذا الجامع الأثر الوحيد المتبقي إلى يومنا هذا [1]

٥ – حمام الجسر الأبيض : و يُعرف أيضاً بحمام (عبد الباسط)
كان موقعه عند زاويّة التقاء جادة الطلياني وشارع شفيق المؤيد .
ويعود بناؤه إلى سنة (٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م) من العهد المملوكي وهو حمام للرجال والنساء يفتح ليلا نهارا . وأجرة الدخول إليه تتراوح بين (٣– ٥) غروش سوريّة إبان فترة الاحتلال الإفرنسي .
هدم هذا الحمّام : سنة (١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) عند تنظيم المنطقة [2]

٦– دار الوالي (راشد ناشد باشا) : ذكر (فخري البارودي في مذكراته الجزء الأول الصفحة ١١٥) .: كانت في البنايات – ويقصد مكان البنايات الحاليّة –المجاورة لجسر الصّالحية (الجسر الأبيض) التي فتحوا فيها شارع الرئيس والشارع الجديد (وعلى هذا الأساس يكون موضعها بين جادة بستان الرئيس وشارع شفيق المؤيد) . وهذا الوالي تولى إيالة الشّام مرتين الأول كانت سنة (١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م) . وامتدت ثمانيّة أشهر ، والثانيّة سنة (١٣٠١ هـ / ١٨٨٣– ١٨٨٤ م) ودامت سنتين وخمسة أشهر ونصف الشهر . استنادا لكتاب (ولاة دمشق في العهد العثماني : د . صلاح الدين المنجّد ص ٩٣) وفي أيامه فتح سوق الحميديّة .

---

[1] - الآثار الإسلاميّة في مدينة دمشق : ولتسينجر تعريب قاسم طوير ٢٣٨ والتوثيق أسفل الصفحة . وللتوسع انظر (القلائد الجوهريّة) : محمد بن طولون تحقيق محمد أحمد دهمان القسم الأول (١٩٨٠ ص ١١١) . أيضاً العمارة العربيّة الإسلاميّة : د . عبد القادر الريحاوي وزارة الثقافة (١٩٧٩ ص ١٢٨ .
[2] - الآثار الإسلاميّة في دمشق : ولتسينجر تعريب قاسم طوبر (ص ٢٣٧) . وللتوسع انظر (الحمامات الدمشقيّة) لمنير كيال مطابع ابن زيدون دمشق(١٩٨٢ ص ٨٢)أيضا (حمامات دمشق) ميشيل ايكوشار وكلود لوكور ترجمة ممدوح الزركلي ونزيه كواكبي الجزء الأول ، نقابة المهندسين بدمشق (١٩٨٥) .

- التربة الحافظيّة :

تقع هذه التربة في حيّ المزرعة – شارع عمر بن الخطاب – قرب جامع العثمان من جهة الشمال وضمن حديقة حديثة يسميها الناس (جنينة ستي حفيظة)، ولم تكن التربة أصلا في هذا الموقع بل إلى الشرق منه بأمتار معدودة ، لكنها نقلت إليه إثر تنظيم المنطقة . وهي تنسب إلى السيدة (خاتون أرغون الملقبة بالحافظيّة) من العهد الأيوبي لأنها قامت بتربيّة الأمير الحافظ أرسلان ابن الملك العادل أبي بكر المتوفاة سنة (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) وكان في هذه التربة ضريح خشبي ثمين يعتقد بأنه نفس التابوت الموجود في المتحف الوطني الذي يحمل اسم (بختي خاتون ابنة السلطان قيصر شاه قليج أرسلان) . المتوفاة سنة (٦٤٨ هـ) أيضاً [١] .

ولا صحة لما يشاع حول نسبة هذه التربة التي يسميها الناس (ستي حفيظة) إلى (ستة من حفظة القرآن دفنوا فيها) ، ولا إلى غير ذلك من الأقاويل ، وتشغل المكان حاليا (الجمعيّة الجغرافيّة السوريّة) .

جادة العفيف

تمتد من الجسر الأبيض شمالاً حتّى السفوح الجنوبيّة لقاسيون مخترقة منتزه (السهم) [٢] بقسميه الأدنى والأعلى ضمن بساتين الغوطة الممتدة شرقا وغربا في هذا الموضع ، وتعتبر جادة العفيف امتدادا لحي الصّالحية نحو الجنوب، و إلى

---

[١] - العمارة العربيّة الإسلاميّة : د . عبد القادر الريحاوي وزارة الثقافة (١٩٧٩) ص (١٣١) رقم ٢٨ ، أيضاً الآثار الإسلاميّة في دمشق : ولتسنجر تعريب قاسم طوبر دمشق ١٩٨٤ ص ٢٩٧ .

[٢] - غوطة دمشق : محمد كرد علي دار الفكر دمشق ١٩٨٤ ص ٥٨ .

الشمال والغرب منها حيّ (الشركسيّة) الذي سمي نسبة إلى المهاجرين (الشراكسة) الذين استوطنوا فيه [١] و إلى الشرق منها منطقة (أبو جرش) وحيّ (ركن الدين) الذي سمي نسبة إلى (المدرسة الركنيّة) أو إلى منشئها (ركن الدين منكورس) أحد الأمراء الأيوبيين[٢] ، أما حيّ العفيف وجادته فقد أطلقت تسميتها نسبة إلى الشيخ محمد العفيفي[٣] يتفرع عن جادة العفيف عدد من الأزقة والشوارع . وفيها بعض المشيدات الهامة منها :

١- شارع عطا الأيوبي [٤] : يمتد باتجاه الغرب . وسمي نسبة إلى (عطا الأيوبي) الذي تولى رئاسة الدولة أواخر الانتداب (١٩٤٣ م) وقبلها رئاسة الوزراء (١٩٣٦ م) [٥] .

كانت التسميّة السابقة لهذا الشارع (شارع بونصو) . نسبة للمفوض السامي الإفرنسي في سوريّة (هنري بونصو) الذي تولى هذا المنصب خلال السنوات (١٩٢٦ – ١٩٣٣ م) [٦] وقد سمعت هذه التسميّة على ألسنة عدد كبير من الأشخاص الذين مازالوا يذكرونها دون انّ أتمكن من العثور على وثيقة تؤكد صحتها رغم رجوعي إلى كثير من المصادر والمراجع والخرائط .

٢- قصر عثمان باشا :

يقوم عند زاويّة التقاء شارع عطا الأيوبي بجادة العفيف ، وأكد هذه التسميّة الصديق الفيلسوف عزمي الموره لي الذي عاش طفولته ردحاً من الزمن في هذا القصر ، وهو القصر الذي تحدث عنه وصفي المالح في مذكراته (تاريخ المسرح السوري ص

---

[١] - مدينة دمشق : د . صفوح خير وزارة الثقافة دمشق ١٩٨٢ ص ٢٨٥

[٢] - العمارة العربيّة الإسلاميّة في أحياء دمشق الفيحاء : عبد القادر الريحاوي وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٩ ص ١٢٥

[٣] - مجاهل الأسماء في أحياء دمشق الفيحاء : د . عفيف البهنسي الحوليات الأثريّة المجلدان (٢٧ – ٢٨ / ١٩٧٧ – ١٩٧٨ ص ١٧)

[٤] - استنادا لخارطة (مخطط مدينة دمشق السياحي) الصادر عن إدارة المساحة العسكريّة عام ١٩٨٢

[٥] - معالم وأعلام أحمد قدامة دمشق ١٩٦٥ ص٩٣ .

[٦] - العرب وراء اللهب : عبد الغني الأسطواني دار قتيبة دمشق ١٩٨٦ ص٤٦٤

٥٩) وسماه (قصر نوري باشا) [1] . حيث أقام سمو الأمير فيصل (١٩١٨– ١٩٢٠ م) . وكان يستقبل الشخصيات السياسيّة في القاعة الكبيرة التي تطل على الشارع بنهايّة طلعة العفيف ، وينام في القسم الثاني من القصر ، ثم ينزل صباحاً إلى المقر الكائن بالجسر الأبيض حيث يقيم الوزارء وموظفوا الدائرة . وفي سبيل الوصل بين القصرين استؤجرت الأرض الداخليّة بين الجسر والعفيف وأنشئت فيها الحدائق الغناء . وزرع فيها الشجر المثمر والورد والياسمين . كما أقيمت فيها بحرات المياه وزينت بالمصابيح الكهربائيّة والنوافير . إلى هنا والكلام لوصفي المالح الذي شغل منصب (مدير المدخر الخاص لسمو الأمير فيصل) . وفي عام (١٩١٩ م) استقبل سموه في هذا القصر (لجنة كراين) الأمريكيّة . وفي (٨ آذار ١٩٢٠) توج الأمير ملكا على سوريّة باسم (فيصل الأول) فانتقل إلى الإقامة في قصر ناظم باشا بالمهاجرين ، وبقي قصر (عثمان باشا) مكاتب وإدارات حتّى الاحتلال الإفرنسي سنة(١٩٢٠م) حين صار مقرّا للمفوض السامي الإفرنسي . وعرف منذ ذلك الوقت باسم (المفوضيّة) حتّى كان الجلاء (١٩٤٦ م) . فشغلته السفارة الإفرنسيّة منذ ذلك الحين وما تزال .

٣– خزان ناظم باشا : إلى الغرب من قصر (عثمان باشا) وبجواره ، شيده الوالي (حسين ناظم باشا) إبان ولايته الأولى لدمشق بين الأعوام (١٨٩٥ – ١٩٠٧م) . لتخزين مياه الشرب الواردة من نبع الفيجة . نظيفة قبل توزيعها على

[1] -) جاء في ولاة دمشق في العهد العثماني : د. صلاح الدين المنجد ص ٩٤ انّ (عثمان نوري باشا) تولى دمشق مرتين . الأولى (١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ -١٨٩٠ م) والثانيّة سنة (١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ - ١٨٩٣ م) من هذا المنطلق يمكننا الافتراض انّ (قصر عثمان باشا أو (قصر نوري باشا) قد شيّد بين هذين التاريخين . ولعل هذا الوالي هو الذي شيّده . ولا نملك دليلا على ذلك غير التسميّة . أو لعل شخصا أخر يحمل اسم عثمان =باشا أو حتّى نوري باشا ولا علاقة له بالوالي . هو الذي أقام هذا البناء . وبذلك تبقى القضيّة معلقة حتّى يظهر الدليل التاريخي المثبت

الأحياء والدور [١] وقد صار هذا الخزان في مطلع الثمانينات مقرا لفرع دمشق لنقابة الفنون الجميلة ودعي (صالة الرواق العربي) .

٤- جامع العفيف : هو جامع حديث البناء شيد سنة (١٣٦٩هج / ١٩٥٠ م)[٢] ويقع قبالة قصر (عثمان باشا) في الطرف الشمالي من الجانب الشرقي لجادة العفيف .

٥ – حمام العفيف : كان إلى الجنوب من جامع العفيف ويعتقد انّ بناءه يرجع إلى ما قبل القرن الرابع عشر للميلاد . وقد نسبه البعض إلى الشيخ محمد العفيفي الذي سميت جادة العفيف نسبة إليه ، ويذكر منير كيال في كتابه (الحمامات الدمشقيّة) / ص٨٠ / أنه تداعى في الستينات ومكانه الآن مبنى حديث .

٦- شارع سبيرس : يمتد بين جادة العفيف قرب الجسر الأبيض وشارع المعري[٣] و يُعرف على ألسنة الناس باسم (جادة نوري باشا) ، وقد أطلقت تسميته نسبة إلى (الجنرال : إدوارد سبيرس) (١٨٨٦ – ١٩٧٤) [٤] الذي كان وزيرا مفوضا لبريطانيا في دمشق أوائل الأربعينات وكان معروفا بمناهضته للاحتلال الإفرنسي ونفوذه في سوريّة ولبنان [٥] وقد ألف بعد عودته لبلاده (١٩٤٤) عصبة تناصر العرب [٦]

---

١ - للتوسع انظر (مدينة دمشق) : د. صفوح خير وزارة الثقافة (١٩٨٢ / ص٥٠٦)
٢ - استنادا للوحة المؤرخة عند بابه .
٣ - انظر خارطة (مخطط مدينة دمشق السياحي) الصادر عن إدارة المساحة العسكريّة بدمشق عام ١٩٨٢
٤ - المنجد في اللغة والأعلام قسم الأعلام بيروت (١٩٨٤ / ص ٣٥٠)
٥ - مذكرات خالد العظم (ج ١ ص ٣٠٠)
٦ - مذكرات الأمير عادل أرسلان تحقيق : د. يوسف إيبش دار التقدميّة بيروت (١٩٨٣ ج٢ ص ٥٧٥)

سفوح جبل قاسيون

يطل جبل قاسيون [1] على مدينة دمشق من جهة الشمال ويرتبط معها بسلسة عمرانيّة متّصلة تؤلف أحياء سكنيّة وهي من الشرق إلى الغرب (حيّ الأكراد ، ركن الدين ، أبو جرش ، والصالحيّة ، الشركسيّة ثم المهاجرين) .

حيّ الصّالحية [2] :

أقدم الأحياء في سفوح قاسيون وكان في الأصل قريّة قديمة تدعى (النخل) حتّى أسسه الشيخ أحمد بن قدامة المقدسي كبير قريّة (جمّاعيل) في جبل نابلس من أعمال فلسطين عندما نزح وأصحابه إلى دمشق إبان الحروب الصليبيّة سنة (٥٥١ هـ / ١١٥٦ م) . في عهد السلطان نور الدين محمود بن زنكي ، وتتابعت إليه الهجرات بعد ذلك ، فكان انّ عمّر هذا الحيّ قرب نهر (يزيد) أحد فروع بردى . وعرف باسم (الصالحيّة) نسبة لسكانه الذين كانوا أناسا صالحين . وقد بنوا لأنفسهم دارا واسعة سمّيت (دار الحنابلة) . وكانوا أول من نشر المذهب الحنبلي في هذه الديار . ثم شيدوا مدرسة (العمريّة) وامتد البناء بعد ذلك باتجاه

---

[1] - يذكر عفيف البهنسي في مقالة (مجاهل الأسماء في أحياء دمشق الفيحاء) الحوليات الأثريّة المجلد (٢٧ - ٢٨) (١٩٧٧ – ١٩٧٨) مديريّة الآثار بدمشق / ص ١٩ / : انّ تسميّة هذا الجبل بقاسيون جاءت من القسوة لأنه قسا على الكفار فلم يقدروا انّ يتخذوا منه الأصنام ، أو لأنه لم تنبت فيه الأشجار أو لأن الأشجار فيه قليلة ، ولكن يقال إنه كان حافلا بالأرز والنخيل وكان فيه (١٢) ألف نخلة قطعها تيمورلنك عند غزوه لمدينة دمشق (٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م)

[2] - للتوسع في أحياء (جبل قاسيون) انظر : (مدينة دمشق) د . صفوح خير وزارة الثقافة (١٩٨٢ : ص / ١٨١، ٢٠١ ، ٢٨٥ /) أيضاً (في رحاب دمشق) محمد أحمد دهمان دار الفكر دمشق الطبعة الأولى / ١٩٨٢ ص ٣٥ / . أيضاً (القلائد الجوهريّة في تاريخ الصّالحية محمد بن طولون تحقيق محمد أحمد دهمان مجمع اللغة العربيّة بدمشق الطبعة الثانيّة (١٩٨٠ القسم الأول ص / ٣٧ /)

الجنوب على طريق (حمام المقدم) حتّى الجسر المقام فوق نهر (ثورا) أحد فروع نهر بردى ، أيضاً في محلة (الجسر الأبيض) حالياً ومن ثم تابع مخترقا البساتين التي كانت تؤلف شريطاً أخضر كثيفاً يفصل قاسيون عن المدينة القديمة ويمتد من الشرق إلى الغرب . وهكذا نشأت نتيجة هذا الزحف العمراني أحياء جديدة ، ربطت بين قاسيون ودمشق المدينة ، بنسيج عمراني متصل ، يخضع لتأثيرات الفن المصري من حيث تعامد وتقاطع الشوارع والأزقة والحارات . لم يكن يسكن حيّ الصّالحية حتّى الأعوام (١٩١٧ – ١٩١٨) إلا قلة قليلة من السكان وكان بمثابة بلدة صغيرة شبه معزولة عن المدينة القديمة حتّى تم ارتباطهما عمرانيا فيما بعد . واشتهر هذا الحي بالعديد من المساجد والمدارس والترب والخوانق والربط التي مازالت قائمة إلى اليوم إضافة للتكيّة السليميّة التي بناها السلطان (سليم الأول) مقابل جامع (محي الدين بن عربي) والسوق الواقع بينهما الذي كان فيه اللقاء كل يوم جمعة للبيع والشراء لذلك سمي (سوق الجمعة ولازال هذا السوق نشطاً كل أيام الأسبوع في يومنا هذا .

الميسات :

منطقة قبلي الصّالحية ، أبو جرش ، كانت هذه المنطقة في العهود الماضيّة (عهد المماليك والعثمانيين) بساتين خضراء على طريق عين الكرش . وفيها بعض الترب كالتربة البدريّة ، ويمر بأراضيها نهر ثورا ، ومن هذه البساتين (بستان جريف) و(بستان السنبوسكي) شرقي السهم الأدنى .

ومن غير المعروف متى سميت بالميسات على وجه التحديد ولكن مصدر الاسم انّ المنطقة كانت بها غيضة قرب النهر وفيها بضعة من شجر الميّس ، اشتهرت بهن بساتين دمشق الأخرى ، فصارت تسمّى (المَيْسَات)

والميس جنس أشجار حرجيّة من فصيلة البوقيصيات ، ثمارها عنبيّة صغيرة القدّ سوداء حلوة الطعم ، وأخشابه صلبة صناعيّة ، تستخرج من لحائها وجذورها مادة صباغيّة صفراء . والاسم الرسمي للساحة اليوم هو ساحة حطيّن[1] .

منتزهات الصّالحية :

كثيرة جدا أورد منها (منطقة السهم) التي بني حيّ العفيف مكانها وكان الناس يخرجون إليها للمتعة والنزهة .

حيّ الأكراد [2] :

يقع هذا الحي إلى الشرق من الصّالحية ويطل على دمشق من سفح جبل قاسيون وقد تشكل نتيجة استقرار اللاجئين التركمان والأكراد (النازحون من كرد ستان) فيه . واتصل مع حيّ الصّالحية غربا كما امتد إلى الشرق حتّى (القابون وبرزة) وفي أعلاه (مقام الأربعين) الذي فتحت الطريق الجبليّة إليه في عهد الوالي حسن رفيق باشا سنة (١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م) [3]

[1] - الحوادث اليوميّة لابن كنّان١١٤٦هـ . مخطط الصّالحية . خرائط دمشق السياحيّة

[2] - للتوسع انظر (مدينة دمشق) د. صفوح خير وزارة الثقافة ١٩٨٢ ص١٨١ و٢٠٩

[3]) ولاة دمشق في العهد العثماني : د . صلاح الدين المنجد ص ٩٤ والحاشيّة ٢

دير مران

قال أبو الفرج الأصبهاني :

ودير مرّان هو بناحيّة من دمشق على تلة مشرفة على مزارع ورياض نَزِهة بَهِجة نزل بها هارون الرشيد .

وحكى إسحاق الموصلي عن أبيه قال :

مر الرشيد بدير مران فاستحسنه وأعجبه إشرافه على بساتين حسنة ، ورياض مونقة بهجة ، فنزله وأمر انّ يؤتى بطعام خفيف . فأكل وشرب ودعى بالندماء والمغنين . وخرج إليه صاحب الدير ، وكان شيخاً كبيراً هرماً فوقف بين يديه ودعا له واستأذنه انّ يأتيه بطعام الدير ، فأذن له في ذلك فأتاه بأطعمة لطيفة مختصرة في أنيّة نظيفة ، فكان ذلك في نهايّة الحُسن والطيب . فأكل منها كثيراً واستطابها ، وأمر الشيخ بالجلوس فجلس بين يديه ، فأقبل عليه الرشيد بوجهه وسأله فحدثّه واستظرف حديثة . ثم قال : هل نزل بك في هذا الدير أحد [من] بني أميّة ؟ قال : نعم أصلح الله مولاي أمير المؤمنين ، قد نزل بي ها هنا الوليد بن يزيد ومعه أخوه الغَمْر ، فجلسا في هذا الموضع الذي جلس فيه مولاي أمير المؤمنين ، فقدّمت إليهما طعاماً فأكلا وشربا وغنّيا وطربا ... فلما أخذ الشراب منهما وثب الوليد إلى ذلك الحوض ، وكان مملوءاً شراباً ، فكرع فيّة ، وفعل مثل ذلك أخوه الغُمْر حتى سكرا وناما مكانهما . فلما أفاق الوليد من سكره أمربالحوض فمُلئ لي دراهمَ ، ثم انصرفوا .

فنظر إليه الرشيد ، أعني إلى الكأس ، فإذا هولا يقدر انّ يشرب ملأه ، فقال : أبى بنو أميّة إلا انّ يسبقونا إلى اللذات سبقاً لا يجاوزهم أحد ! ثُم أمر برفع الشراب وركب من وقته وانصرف ، وأمر للديراني بجائزة سنيّة .

حدثني الصُولي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثنا عمرو بن بانه قال :

خرجنا مع المعتصم إلى الشّام لمّا غزا ، فنزلنا في طريقنا بدير مرّان ، وهو دير على تلعة مشرفة عاليّة تحتها مروج ومياه حسنة ، فنزل فيه المعتصم فأكل ونشط للشرب ودعا بنا . فلمّا شربنا أقداحاً قال لحسين بن الضحّاك : أين هذا المكان من ظهر بغداد ! قال : لا أين يا أمير المؤمنين ! .. والله لبَعض الغياض والآجان هناك أحسن من هنا ! قال : صدقت والله .. وعلى ذلك فقل أبياتاً يغني فيها عمرو . فقال : أما انّ أقول شيئاً في وصف هذه الناحيّة بخير فلا أحسب لساني ينطق به ، ولكنّي أقول متشوقا إلى بغداد . فضحك وقال : قل ما شئت فقال :

يا دير مديان لا عُرّيتَ من سَكَنٍ ... هيجت لي سقماً يا دير ميانا
هل عند قسك من علم فيخبرنا ... أم كيف يسعف وجه الصبر من بانا
حثّ المدام فإن الكأس مترعةٌ ... مما يهيج دواعي الشوق أحيانا
سقياً ورعياً لكرخايا وساكنها ... وللجنينة بالروحاء من كانا

فاستحسنها المعتصم ، وأمرني ومخارقاً فغنينا فيها ، وشرب على ذلك حتى سكر وأمر للجماعة بجوائز[1].

كان دير مران فيما مضى محلة عامرة بالسكان ومحلها في السفح الواقع أسفل قبة السيار وأعلى بستان الدواسة ، ويطل منها الإنسان على الربوة وحدائقها ذات البهجة التي كان يزرع فيها قديما الزعفران .

وقد عرفت بهذا الاسم لوجود دير فيها ذكره أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني فقال انه دير على تلة مشرفة عاليّة تحتها مروج ومياه حسنة ووصفه ابن فضل الله العمري في (مسالك الأمصار) فقال هو تل في سفح قاسيون وبناؤه بالجص الأبيض وأكثر فرشه بالبلاط الملون ...

[1] الديارات للأصبهاني في ١٥٣- ١٥٧

وقال ياقوت مثل ذلك ، وذكره الطبري وابن عساكر وقد اختاره العباسيون مقرا لهم إذ لم يطمئنوا إلى سكنى دمشق المدينة فاصطنعوه مكانا لإقامتهم لحصانته وجمال موقعه وطيب هوائه ، ونزل فيه هرون الرشيد وجعله المأمون مقره وأجرى إليه الماء بقناة من قريّة منين . وفي عصر المأمون أقيم فيه مرصد فلكي ، ومما قاله فيه احد الشعراء القدامى الملقب (بالببغاء)

يـــا صـــباحا بـــدير مُـــرّان راقـــا هجـــت منـــا القـــلوب والأحداقـــا
ومشـــــت نسمـــــة تـــــؤمك حتـــّى رفعـــت بالعبيـــر فيـــك رواقـــا
وأتينـــا إليـــك نـــقطع أرضـــا مـــلأتنا إلـــى اللقـــا أشواقـــا
وســـمعنا الطيـــور تصـــدح زهـــوا حيـــث ســـكران طيبهـــا مـــا أفاقـــا
وصبـــا قاســـيون تنـــفح فينـــا ســـكبت مـــن هبوبهـــا رقراقـــا
فجلـــسنا فـــي مجلـــس مســـتطاب فيـــه كـــأس الســـرور كـــان دهاقـــا
ونظرنـــا مـــن ربـــوة الشّـــام مـــرأى قـــلبنا لـــم يـــزل لـــه مشتاقـــا

الربوة (و أذكريني دائما) :

وصف ابن بطوطة الربوة قائلا هي من أجمل مناظر الدنيا ومنتزهاتها . وهي واد مرتفع (لذلك سميت بالربوة) عن سطح . وآخره فيه صخرة عاليّة إلى أيسر القادم إلى دمشق اسمها المنشار لأنها تشبه المنشار . مسلك صخري يصل بين الربوة والمهاجرين ، هو درج طويل فوق الربوة في جبلها الشرقي المعروف بجبل (الجنك) ، فتبدو درجاته الناتئة الكثيرة كأسنان المنشار . علماً أنه كان مرقى طبيعياً على شكل درج وليس منحوتاً
اطلقت تسميّة المنشار على الصخرة أيضاً لأنها تجاور الدرج الحجري المذكور والذي كان ممتداً بين طريق بيروت وقمة الجبل ، ويشبه أسنان المنشار في شكله ،

وعند الصخرة نقش كتابي بالخط الكوفي يحمل اسم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي وتاريخ (٤٤٤هـ) ، مما يؤكد ما ذكره المؤرخون من انّ الربوة كانت عامرة في أيام الفاطميين [١]

وصارت لها منذ نحو أربعين سنة في ذهن الناس صورة عاطفيّة رومانسيّة فالداخل إلى دمشق يرى قبل دخوله إليها تصافح عينيه في أعلى مدخل الربوة إلى اليسار . وقد كتبت بأحرف كبيرة ودهان لا يزول وكلما غسله المطر يتجدد لمعانه . وهذه الكتابة من جملتين أولهما (اذكريني دائما والثانيّة (لا أنساك) .

نسجت أساطير حول كاتب هذه الكلمات ، واجتمعت كلها على أنها من صنع عاشق مجهول فشل في حبه وقيل انتحر . وبعد التحريات تبين أنه عاشق فعلا ، ومن أبناء تلك المنطقة وأحب فتاة فلسطينيّة لم يزوجه أهلها إياها ، ففي ليلة قرانها كتب الكلمتين الأوليين ، وفي ليلة زفافها بعثت إليه بأنها لن تنساه فكتب العبارة الجوابيّة ، ولكنه لم ينتحر ومن يعرفونه يتكتمون حول اسمه وهذا أفضل لتبقى القضيّة خيالا حلوا .

الكلمات سطرت منذ نحو أربعين عاما ، وقد يكون كاتبها قد جاوز السبعين الآن ، وقاربتها تلك المعشوقة الأسطوريّة التي ألهمت عاشقها انّ يخاطر ويصعد إلى هذا المكان العالي ويخط هذه الكلمات .

على كل حال ومع انّ كلا العاشقين مجهول ، فإن هذه الجملة توحي بالكثير من الرقة والحنين .

[١] دمشق تاريخ وصور للشهابي ط٢ ٢٠٠٤ – حديث دمشقي لقصاب حسن ٤٣

منتزهات الربوة

والربوة لغة هي المكان العالي ، ولكن الاسم يطلق الآن على الوادي . وقد أقيمت فيها منتزهات بين الأنهر فعلى نهر (تورا) الربوة العاليّة تحتها تمتد جسور أو(تخوت) من خشب يجلس فوقها الرواد . ومن (يزيد) فوقها تأتي المياه إليها شلالات تنثر الماء والرطوبة ، وكذلك الشأن في الضفة الأخرى من الربوة بين الديراني والمزاوي . ويأتيها الزوار من مدينة دمشق ومعهم مآكلهم أو يشترون منها المآكل الشاميّة المعروفة .

والذين يقصدون الربوة من أجل النزهة و(السيران) كثيرون وفي كل يوم . فإن فيها شيئا من وصف الجنة التي تجري من تحتها الأنهار .

وقديما قيل إنه كان فيها أفران وأسواق ومقاصف وحمامات ومنازل وأماكن لاصطياف الأغنياء وأخرى مجانيّة للفقراء . ويقول الأثريون أيضاً انّ في أعلاها من ناحيّة الجبل كتابة تدل على قدم العهد وكثرة الأبنيّة أما في ارض الربوة فكانت هناك قريّة اسمها النيرب وفيها مساجد ومزارات لبعض الصالحين وقبران يسمى أحدهما العاشق والآخر المعشوق كانا في بستان المادنة ، كما كانت لها أوقاف كثيرة ينفق منها على الزائرين والقاصدين وتقام فيها مواسم يأتيها عدد الزائرين ، الحكواتيّة والمشعوذون والكركوزاتيّة وليس هذا مستغرباً بالنسبة لموقعها الجميل .

وقد قرأت كتابا للرحلات ألفه من يدعى بشيخ الربوة وهو من منشورات وزارة الثقافة . وهذا دليل على انّ هذا المكان الجميل أقام فيه العلماء كسواهم وله منزلة تاريخيّة مثلما له منزلة في أيامنا كمكان للاصطياف والنزهات .

شيخ الربوة الدمشقي :

محمد بن أبي طالب الأنصاري .توفي ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي . ، من علماء القرنين السابع والثامن للهجرة . ولد بدمشق عام (٦٥٤ هـ) وأمضى معظم حياته بمسقط رأسه دمشق إماماً بمسجد الربوة غربي دمشق ومن هنا غلب عليه لقب (شيخ الربوة) كما عُرف بالصوفي لميوله الصوفيّة ويبدو انّ هذه الميول هي التي أدت إلى اعتزاله العالم في أواخر حياته وتوفي بصفد عام ٧٢٧هـ

وكان شيخ الربوة ذكياً فطناً حلو الحديث متقشفاً صبوراً على الفقر والوحدة ، ينظم الشعر ويُصنّف العلوم لفرط ذكائه . وترك عدة مؤلفات من أشهرها كتاب (السياسة في علم الفراسة) اشتهر في حينه ، على انّ اسم شيخ الربوة ارتبط بكتابه الكوزموغرافي الشهير : (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) وهو من أثمن الكتب وأغزرها مادة . وهو على كل حال يضم معلومات غير قليلة نفتقدها في المؤلفات الأخرى . ووصف دمشق وضواحيها وأنهارها ومسجدها يحتل أهميّة خاصّة بين ما كتب من المدينة في عصر شيخ الربوة ، وبخاصة وصفه الدقيق لصناعة تقطير الورد عند الدماشقة

نهر يزيد والسباحة

ومن صخرة (اذكريني) التي تحدثت عنها آنفا إلى الشمال ، توجد على نهر يزيد موقع كان مقصد أبناء حيّ المهاجرين وسواهم أحيانا ليمارسوا فيها السباحة ومنها الحلالات والمشرح والعريض ، وكانت مسابح مجانيّة للشباب ومجالات للتريض .

قبة السيار

ومنذ انّ يفتح الدمشقي عينيه على ما يحيط به . أينما كان حيه ، إذا نظر إلى أقصى جبل قاسيون مما يحاذي الربوة ، وفوق صخرة المنشار ، يلمح قبة على أعمدة معروفة لدى الدمشقيين بان اسمها (قبة السيار) هذه القبة حيرت المؤرخين ولكنهم لم يجزموا فيما يبدو في تاريخها ، بعضهم نسبها إلى (نصر بن سيار) أحد القادة القدامى وبعضهم حسب أنها هي القبة التي أقام فيها المأمون مرصده الفلكي .

وقال الشيخ محمد أحمد دهمان أنها على الأرجح من العصر المملوكي وهوأشبه بـ (مخفر) يقيم فيه العسس ورجال الحكومة ليراقبوا الطريق . ذلك انّ الطريق إلى لبنان كان يمر قديما من الجبل من جانبها ، وفي الأيام المتأخرة عن ذلك صارت محطة لاستراحة المسافرين إلى لبنان .

كرسي الدايّة :

وكان في المكان الذي توجد فيه محطة البث التلفزيوني اليوم في أعلى قاسيون بناء مهدم لا نعرف تاريخه ولكنه كان يظهر للناظر من الأسفل من طرف المدينة كما لو كان سرجاً على متن الجبل الذي يوضع على ظهر الخيل ، وكان الناس يسمونه (كرسي الدايّة) تشبيها له بالكرسي الذي تستعمله القابلات ثم اندثر الآن .

التبديل في شكل المنطقة :

إلا انّ الشيء الذي يجدر ذكره هو انّ الآلات الجبارة الحديثة استطاعت انّ تشق إلى جانب قبة السيار طريقا واسعة (اوتو ستراد) قصمت ظهر الجبل وأكلت منه حتى أحدثت واديا في أعلاه لمرور السيارات كما استطاعت هذه الآلات انّ تفتح شوارع في قاسيون وبدأ تشجيره في محلة ضخمة توشك انّ تغير معالم دمشق فلو عاد إليها من سافر قبل عشرين سنة أو أكثر لأوشك انّ يفرك عينيه من الدهشة .

كما انّ الآلة وتصميم الإنسان وعزيمته فتحتا خلف قاسيون طريقا واسعة هي (الطريق المحلقة) التي تدور حول دمشق من اجل ألا تدخلها السيارات الكبيرة الآتيّة من الشمال إلى الغرب أو بالعكس ومثل ذلك فعلت في الجبل المقابل حيث يقام (قصر الشعب) وهو قصر بالغ الفخامة كآبدة من أوابد الماضي ، وحيث شقت طرقات وشجرت مناطق وعرة ، ولكن مقابل ذلك . وكله رائع وعظيم ، وأتلفت أشجار وبساتين وقطعت انهار وغطى وجه دمشق الغبار وكاد بردى انّ يموت وزرعت في قاسيون المقاهي والمطاعم . فيكون الثمن غاليا إلا إذا تداركنا الأمر بالجهد وفق البرامج الموضوعة فيعود لدمشق ، حبيبتي وجهها المشرق وزنارها الأخضر . ومن حبي لدمشق تلك التي أسميتها (حبيبتي ذات الزنار الأخضر) .

في دمشق هذه ولدت وقضيت طفولتي وشبابي وعمري كله إلا فترات قليلة مما يعرض للإنسان من سفر أو هجرة مؤقتة وبلا فخار ولا تواضع كاذب ، أقول إنني تعلمت كثيرا وفاتني كثير . واغطبت كثيرا وأسفت على كثير وعلمت كثيرا وأهملت الكثير . ولا يضير الحقيقة انّ تنقص قليلا وغيري يكملها ، ولكن يضيرها انّ تحرف .

ساحة الجريد :

وهي ارض واسعة جدا لا بناء فيها ولا تحيط بها إلا أشجار الصبار ، وكانت تسمى ساحة الجريد . ذلك انّ الفرسان كانوا يأتون إليها في مواكب من دمشق على خيل مطهمة تلبس أجمل السروج والمراشح وعلى كل لجام منها أنواع من الودع وسواه وكل رسن فيه ألوان عديدة من ألوان الصوف بحيث يكون كل حصان زينة . أما الفرسان فكانوا يلبسون الثياب العربيّة الجميلة ويسيرون في موكب فخور عبر طريق الصّالحية فالمهاجرين حتى يصلوا . وتبدأ هناك مباراة الفروسيّة الأسبوعيّة التي تنعقد في الأصيل من كل يوم جمعة ويقذف خلالها الفرسان برماح من الخشب تسمى الجريد (والواحدة جريدة) ويكون النصر لمن يسبق ومن يغلب ومن يصيب .

وكان يجتمع حول ساحة الجريد في كل يوم جمعة خلق كثير جدا من أهالي دمشق ولاسيما من أهالي المهاجرين . فقد كانت الفرجة تجمع الآلاف منهم ، وكثيرون يأتون هناك في وقت مبكر حاملين مأكل (السيران) فينتشرون في بساتين الربوة ولا سيما البساتين المشهورة باسم (اللوان) ، و (المادنة) ، نهارا وفي الأصيل يكملون اليوم السعيد برؤيّة مباراة الفروسيّة . على انّ ألطف المشاهد في موكب الفرسان كان طفلا بدأنا نراه وهو ابن خمس سنوات أو نحوها يركب حصانا وهو لابس الملابس العربيّة الجميلة . يشارك في الموكب وكنا نعرف جميعا أنه من عائلة (الكلاوي) المشتهرة بالفروسيّة .

إن ساحة الجريد هذه منذ الخمسينات بدأت تخلو من فرسانها وتقاليدهم . واليوم فتحت فيها شوارع جديدة تصل المهاجرين بالربوة ، ولم يكن بين هذا الحي والربوة قبل ذلك إلا بساتين فيها جسور صغيرة على نهري يزيد وتورا . وإذا نظر المشاهد الآن رأى قصرا ضخما جدا للضيافة يبنى في هذا الموقع على أجمل طراز عربي ، وهكذا حل العمران مكان الأرض الفارغة التي كانت ملعب الخيل . وانتقلت الفروسيّة إلى نواد خاصة بها يمارس فيها الفرسان من الضباط والشباب الهواة هذه الرياضة الجميلة ولكن في أماكن أخرى من الغوطة وعلى الأسلوب الغربي باجتياز الحواجز ، لا على الأسلوب العربي التقليدي القائم على المبارزة بالجريد ، ويا ليت تقاليد الفروسيّة القديمة تعود إلى الحياة من جديد .

المهاجرين

عقب فقد الدولة العثمانيّة بعض أرضيها في أوربا كالبلقاق ، هاجرت أعداد كبيرة من العائلات المسلمة التي كانت تقطن فيها إلى البلاد الإسلاميّة ، ولذا كلف السلطان

العثماني عبد الحميد خان الثاني والي دمشق حسين ناظم باشا بإيواء بعضهم ، فاختار منطقة على سفوح جبل قاسيون كانت تدعى الردّادين لإقامة هؤلاء المهاجرين الذين وصلوا دمشق قادمين من (الروملي) سنة (١٨٩٠ و ١٨٩٦م) .

وفي عام (١٩٠٠م) وصل فوج جديد من اللاجئين من (جزيرة كريت) إثر مذابح عام (١٨٩٧). فأنشأ لهم حسين ناظم باشا حيّاً آخر على بعد ٢٠٠ م إلى الغرب من المنطقة الأولى . وسميت المحلة بأكملها (المهاجرين) نسبة إليهم . ومازالت تقطن دمشق عائلة منهم وتعرف بـ (الكرتلي)وحُرف الاسم إلى (الكردلي) .

لكن حيّ المهاجرين لم يكن المنطقة الوحيدة التي نزلها الكريتيون .ففي وثيقة شرعيّة مؤرخة بدمشق سنة(١٣١٨ هـ) وجدنا : (خان علي أغا البيرقدار – بسوق ساروجا ، سوق الخيل تجاه ادارة (الريجي) بالقرب من جامع يلبغا – فيه غرف كان يسيكنها مهاجرون كريد) .

وفي عام (١٩٠٥ م) بدأ تطور حيّ المهاجرين نحو الغرب ، وزاد نموه بسرعة عام (١٩١٣ م) إثر إيصال الترام إليه ، كما زاد تسارعه منذ عام (١٩٢٠ م) والطريف انّ هذا الحي أطلق عليه تندراً اسم حيّ المتقاعدين[١] .

حيّ المهاجرين والترامواي

وأول الأحياء على سفح جبل قاسيون مما يلي الربوة هو حيّ المهاجرين وكان في هذا الحي خط للترام منذ العشرينات من القرن العشرين، عند أول ساحة الجريد ، عند القصور المعروفة التي كان أحدها مقرا للملك فيصل ، والثاني قصراً جمهورياً ،

[١] - القلائد الجوهريّة لآبن طولون ٢ / ٣٦٣، ٣٧٣ . دمشق للطنطاوي ١١٣ . دمشق تاريخ وصور للشهابي ٣٩٧ . دمشق دراسات تاريخيّة وأثريّة ١٩٦

وكان إلى وقت قريب يستعمل من اجل استقبال السفراء المعتمدين لدى الجمهوريّة العربيّة السوريّة .ومن يذكر حيّ المهاجرين لا يمكن إلا انّ يذكر الترامواي ، فإن بعد هذا الحي عن مركز المدينة وكونه مكان للنزهة وسكن عدد كبير من الناس فيه كل ذلك يستدعي مواصلات منتظمة ولم يكن منها في العشرينات سوى الترامواي الكهربائي وعربات الخيل ثم دخلت أعداد قليلة جدا من السيارات ولم يتجاوز بضع عشرات حتى عام (١٩٤٠) وهي في عام (١٩٨٣) تزيد عن ثلاثين ألفا في دمشق وحدها حتى لم يعد للمارة مكان يسيرون فيه ، فكيف الحال في هذا العام (٢٠٠٨) مع ازدياد عدد السيارات بأعداد كبيرة .

ففي عام (١٩٠٤) منح امتياز شركة الجر والتنوير وفي عام (١٩٠٦) بدأ الترام يخطين أحدهما للميدان والثاني للجسر الأبيض ثم توالت الخطوط على مسافات زمنيّة متباعدة وآخرها خط دوما عام (١٩٣٥) وكانت شبكة الترام تبدأ من ساحة الشهداء (المرجة) قرب سرايا الحكومة . فالخط الأول ورقمه (١) يذهب إلى الميدان والخط الثاني ورقمه (٢) يذهب إلى الجسر الأبيض ويعود . والخط الثالث وهو برقم (٣) يذهب إلى حيّ الشيخ محي الدين ، والخط الرابع يذهب إلى المهاجرين وآخر الخطوط (الخامس) ويذهب إلى باب توما والقصاع ، ثم استحدث خط يذهب إلى دوما ماراً بجوبر وعربين وزملكا وحرستا ، فكان خط نزهات منقطع النظير في مردوده الجمالي فضلا عن خدمته لأعداد كبيرة من المواطنين ، هذا ومن اجل انّ يميز المواطنون الذين لا يعرفون القراءة والكتابة بين ترامواي خط وترامواي آخر ، كانت لافتة المهاجرين حمراء ،ولافتة الجسر بيضاء ، والشيخ محي الدين صفراء ، والميدان خضراء ، والقصاع وباب توما زرقاء . وقد ذهب الترامواي مع الأسف بلا مناقشة وبلا قرار سياسي ولا نعرف من أوقفه . في حين كان ينبغي حفظه والتوسع فيه لأنه الوسيلة الوحيدة للانتقال التي لا تحدث تلويثاً في الجو واخطارها أقل من سواها . وذكرياتنا عن الترامواي فيها كثير من الطرائف . إذ كان الأولاد يتبارون في القفز إليه ومنه وهو سائر وكان بعضهم

يعابث سائقه فيرخون (السنكة) التي تمده بالكهرباء بأن يشدوا حبلها فتخرج عن التماس بالسلك ، أو كانوا ينتظرون لحظة وصوله إلى آخر الخط حتى يعاونوا في إدارة السنكة من جهة إلى جهة لتبدأ رحلة العودة . ومع انّ أجرة الركوب فيه كانت بخسة جدا ، ولا تتجاوز القرش أو القرشين في تلك الأيام فقد كانت تدور حولها معارك إذا رفعت بمقدار نصف قرش لأن الشركة أجنبيّة واسمها شركة الجر والتنوير (بلجيكيّة فرنسيّة) أي ملعونة الوالدين ، ولذلك قد تقوم المظاهرات ضدها ويكسر زجاج الحافلات وتكون زيادتها غالبا بدايّة لارتفاع المد في الثورة الشعبيّة المستمرة على الأجنبي وامتيازاته وحكمه .

وقبل انّ نغادر ساحة الجريد إلى المهاجرين اذكر انّ هذه المنطقة ولا سيما إلى الشرق من الساحة المذكورة كانت ملأى بحواكير الصبار وحب الآس (الحبلاس) ولذلك سميت المنطقة بالحواكير . والصبارة كانت موجودة أيضاً في المزة وكانت حلوة جدا ، وشجر الآس تستخدم أغصانه في تزيين القبور في المناسبات والأعياد ، وثمره ابيض مائل إلى الصفرة حلو ومتقبض قليلا ، ويكاد انّ يكون انقرض الآن .

جادات حيّ المهاجرين

وكان حيّ المهاجرين يمتد إلي السفح من طريق سكة الترام إلى الأعلى أما إلى الأسفل منه فكان هناك صف واحد من البيوت ثم البساتين وكانت جادات حيّ المهاجرين ، أي الشوارع المتوازيّة التي تتخلل البيوت على السفح أربع جادات أو خمساً فقط تبعاً للموقع في العشرينات ، ثم بنيت السادسة بعد ذلك بزمان . أما الآن فلا أستطيع انّ أعد الجادات إذ صارت البيوت تعلو وتعلو عشوائيا نتيجة لتكاثر السكان والهجرة إلى دمشق وضرورة السكن حتى أشبهها بالمعزاة المتسلقة ، وحتى بلغت الكهف (الكاف) والمسمى (الأربعين)

وفي المهاجرين هذه وقف الامبرطور غليوم الألماني حين زار دمشق في عام (١٨٩٨) وسويت له مصطبة ما تزال حتى الآن تسمى (مصطبة الامبرطور)[١] ومكانها معروف والناس اختصروا الاسم حتى أصبح المصطبة فقط ، وأبناء المهاجرين يعرفون موقف المصطبة . وقد سكن حيّ المهاجرين أتراك وشركس وبخاريون وكريتيون وسواهم ممن قدموا إليها بهجرات مختلفة الأسباب [٢] منها الاضطهاد الذي وقع على الشراكس في بلادهم أيام القياصرة وقيام الحركات الوطنيّة فيها بقيادة شامل وحاجي مراد ، ومن الأسباب أيضاً الرغبة في السكنى في دمشق مجاورة لأماكنها المقدسة إذ كان الأتراك وسواهم يتبركون بها ويسمونها (الشّام شريف) ، كما انّ عائلات تركيّة لا تحصى بقيت في سوريّة بعد رحيل الحكم التركي عام (١٩١٩) وقيام الحكومة العربيّة الفيصليّة لأن مؤسسيها وعائلاتها كانوا من الموظفين الأتراك الذين استوطنوا ، وأكثر هؤلاء يقيمون في المهاجرين ويسبغون عليها طابعا مميزا ، وكذلك في سوق ساروجة التي كانت بسكانها وطراز بيوتها ورقييها تسمى استانبول الصغيرة . وقد نقل المهاجرون إلى (المهاجرين) بعضا من طراز الأبنيّة التي ألفوها في بلادهم ومنها منازل سقوفها من القرميد .

إذن فاسم المهاجرين جاء من هؤلاء الذين هاجروا إليها واستوطنوا هذه القطعة من الجبل ، ثم جاء مهاجرون من الألبان (الأرناؤوط) فاستوطنوا فيها وفي بستان الديوانيّة في المنطقة المجاورة لمنطقة العدوي الآن ، وقد اشتهروا بالتدين القوي والتعفف والقوة البدنيّة والروحيّة ، كما جاء المهاجرون من شمال إفريقيا فسكنوا حيّ المغاربة المعروف في السويقة وسكن الأمير عبد القادر الجزائري وأسرته في حيّ العمارة ، أما الأكراد فأقدم بكثير وحيهم معروف يحمل اسمهم .

---

[١] - المسطبة والمصطبة مكان ممهد مرتفع قليلا ويقعد عليه

[٢] - أول المهاجرين وصلوا من البلقان عام ١٨٩٠ ثم الرمللي ١٨٩٦ ومن كريت ١٩٠٠

الفواخير والسكة والمدارس

بعد المهاجرين يبدأ حيّ الفواخير[1] ويسمى كذلك لأن صناع الفخار متركزون فيه لقرب الغضار منهم ، ولما أقمنا في هذا الحي بين (١٩٣٧ – ١٩٣٨) كانت فرصة لي لأقف طويلا أمام صناع الفخار وهم يديرون أقراص الخشب بأرجلهم ويضعون عليها قطعة طين غضاريّة لا تلبث تحت أصابعهم وأدواتهم البسيطة انّ تتحول إلى جرة أو قصعة أو آنيّة للزهور ، وعرفت كذلك لماذا يقول المثل عن فلان أنه مثل الفاخوري يركب أذن الجرة حيث يريد .

بعد الفواخير يأتي حيّ السكة ، ثم يأتي حيّ كان يسكن فيه (المتاولة) وهم فرقة من فرق الشيعة ، وقد سكنوا في هذه المنطقة وما يزالون فسميت باسمهم . ويمتد من العفيف حتى الجبل وبعده يأتي حيّ المدارس واشتهر بهذا الاسم لأن فيه مئات المدارس التي أوقفها أصحابها على أهل العلم فيما مضى لتكون أماكن لطلبة العلم . وقد بلغ عددها ثلاثمائة وستين مدرسة فيما ذكرت بعض المصادر التي قرأتها قديما .

وبالمناسبة فان رساميا الزيتيين تمرنوا كلهم في بداياتهم على رسم قبابها وجدرانها . وبعد السكة ولا نزال على سفح الجبل نصل إلى الشركسيّة (ولا بد انّ اسمها أخذ من المقيمين فيها من الشركس قديما) ثم إلى الشيخ محي الدين وقد اخذ هذا الاسم من الشيخ محي الدين بن عربي المفكر الإسلامي الفذ وصاحب كتب عديدة في التصوف بينها (الفتوحات المكيّة) فقد دفن في مقام في هذا الحي يحمل اسمه ، وصار الحي كله يحمل هذا الاسم .

---

[1] ـ يستدل من كتابات المؤرخ ابن طولون الصالحي أنه انشئ حيّ للفاخوريين في الصّالحية في العهد العثماني ولا زال هذا الاسم دارجاً إلى اليوم

سوق الجمعة – أوقاف عجيبة

وأمام جامع الشيخ محي الدين سوق كبير يسمى سوق الجمعة لا يزال حتى الآن يمتلئ خاصة في أيام الجمعة بالباعة من كل صنف ولا سيما باعة الزيتون والخضار والفواكه . وكان هناك بناء يوزع فيه كل يوم جمعة (شوربا) أي حساء مصنوع من القمح واللحم من أطيب ما يمكن انّ يذاق ، وهذا التوزيع مجاني ويقدم من جهة الوقف أو ممن ينذرون النذور ، وقد شهدت توزيع هذا الحساء بالسطول على من يتبركون به وعلى الفقراء مرات كثيرة ، والأوقاف المماثلة في دمشق كثيرة ولا أستطيع انّ أجاوز الوصف الجمالي إلى ما هو أكثر ، ولكن أقول فقط انّ منها ما يطعم ومنها ما ينفق على سكن الناس وعلى إعاشة طلبة العلم ، واغرب وقفين سمعت بهما (وقف القطاط) الذي تطعم من ريعه القطط الشاردة وهي تاتيه بالمئات ومكانه في القيمريّة ، ووقف (الزبادي) الذي يعطى من ريعه ثمن ما يكسره الأولاد والخدم من آنيّة رغما عنهم إذا ذهبوا للشراء بها فينقذهم بذلك من عقوبة الآباء أو الأسياد . ولعل من أوقف هذا الوقف كان (أكل قتلة) لم ينسها في صغره لسبب مماثل فآل عل نفسه انّ ينقذ أمثاله ولما أيسر نظم هذا الوقف وأجرى له موارده [1] .

وهناك وقف لا يزال أثره موجودا في الصّالحية حيث بني جرنان ، جرن للحبوب وآخر للحليب . فيأتي الفلاحون والبساتنة بزكاة حنطتهم وحليبهم إلى هذين الجرنين ويأتي المحتاجون فيأخذون منها مجانا ، وتعرف المنطقة الآن باسم جرن الشاويش .

[1] - ذكره العلامة محمد كرد علي في بحثه عن الأوقاف في الجزء الرابع الطبعة الأولى من كتابه الرائع (خطط الشّام)

جامع الحنابلة

يقع في حيّ الصّالحية بدمشق ويعد من أهم المساجد الأيوبيّة ، وقد دعا لبناء هذا الجامع الشيخ أبو عمر بن قدامة المقدسي أحد أئمة المقادسة في القرن السادس الهجري ، وتولى الإنفاق عليه أبو داوود محاسن الفامي عام (٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م) لكن أمواله لم تعد كافيّة فأخبرالأمير مظفر الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين صاحب إربل بوضع بناء الجامع ، وكان زوجة للصاحبة خاتون أخت صلاح الدين الذي أرسل ثلاثة آلاف دينار أتابكيّة لإتمام العمارة ، وما يتبقى تشتري به الأوقاف وتوقف عليه .

عرف الجامع بعدة أسماء أهمها :

الجامع المظفري : نسبة لبانيه مظفر الدين كوكبوري .

جامع الجبل : سمي بهذا الاسم لأنه في مصاعد جبل قاسيون .

جامع الحنابلة : لأنه مختص بالحنابلة في الوقف ، ولأن المقادسة الذين أسسوا بناءه كانوا على مذهب الإمام أحمد بن حنبل .

جامع الصالحين : نسبة لصلاح المقادسة مؤسسيه الذي سميت بهم أيضاً الصّالحية .

وقد قصد بمسقط جامع الحنابلة وتخطيطه محاكاة مسقط الجامع الأموي بدمشق وأهم ما يمتاز به الجامع محرابه الرائع الذي يعد من أندر المحاريب في نقوشه وجماله الحجري الرائع الصنع ليس له شبيه في المحاريب الأخرى ، ويشتهر بمنبره الخشبي الغني بالنقوش والزخارف ، ويعد من روائع منابر الشّام وقد صنع عام (٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م) حسبما تشير إلى ذلك كتابة تاريخيّة فوق باب المنبر .وقد كان للجامع مئذنتان لم يبق منهما حاليا سوى واحدة تقع في آخر الرواق الشمالي ، و على عتبة مدخل المئذنة كتابة أثريّة تنص على أنها عمرت عام

(٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) بأمر مظفر الدين كوكبوري في عهد الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

ثم بعد الشيخ محي الدين تأتي منطقة الحنابلة المستمد اسمها من أتباع المذهب الحنبلي ، وقد قرأت في كتاب أخبار الصحابة لابن طولون انّ الصوالحة كانوا جماعة من الفلسطينيين من قريّة جماعيل قرب القدس يعتنقون المذهب الحنبلي اضطهدوا من الصليبيين (ومن يستعرض تاريخ دمشق على ضوء ما جرى فيها ، يجد أنها مجتمع تراكمي من أقوام حلّت بهم المصائب ، وما سبق ذكره عن المهاجرين يؤكد ذلك . وما جرى ويجري بعد ذلك من تراكم المضطهدين والمطرودين والمهجرين من بلادهم حتى السنوات في مدينة دمشق قد زاد في هذا الطابع زيادة مشهودة وأدى إلى تعديل جوهري في تكوينها البشري (الديموغرافي) فهاجروا إلى دمشق يتقدمهم شيخ من آل قدامة وسكنوا أول الأمر في (بيت لاهيا) في شرقي دمشق المعروفة الآن باسم القصاع ، ثم انتقلوا إلى الجبل وسميت المنطقة بالصالحيّة على اسمهم لأنهم كانوا قوما صالحين ، وقد بنى الصوالحة هذا البناء الكبير الذي عرف باسم (الحنابلة) وفيه جامع الحنابلة الذي له على بابه (سقاطة) تقرع بابه وتدقها من كانت عاقراً وتهتف على ما سمعنا في صغرنا : يا حنبلي (حبلني) .

ثم بعد الحنابلة – لا أتكلم بدقة جغرافيّة إذ هناك مناطق وسيطة – يبدأ حيّ الأكراد الذي يصل إلى المشارف التي فيها اليوم مشفى ابن النفيس . وسمي كذلك لأن أكثريّة سكانه من الأكراد المستوطنين قديما جدا ومن مئات السنين . وتمتاز بيوتهم باتساع كبير في ساحاتها بينما القسم المسقوف والمسكون صغير نسبيا .

وقد امتد البناء الجديد في غرب سفح جبل قاسيون حتى اتصل بمحلة الصّالحية والشهداء ، وتقدر مساحة ما تجدد من المساكن في هذه المنطقة بثلث مساحة المدينة القديمة ، ومصور الأحياء الجديدة والصالحيّة يشبه طيارة مطاردة ’ جناحها

الأيمن حيي الأكراد والصالحيّة ، وجناحها الأيسر حيّ المهاجرين ومؤخرتها محلة عرنوس والشهداء ، وهذه الأقسام خاليّة من كل اثر قديم ، أما محلة الأكراد والصالحيّة فغنيّة بالأبنية الأثريّة واشهرها المدرسة العمريّة والتربة الخاتونيّة والبدريّة والمدرسة الأتابكيّة والجامع المظفري والمدرسة الجهاركسيّة والركنيّة والصاحبة والبيمارستان القيمري وتربة السيدة حفيظة والخاتونيّة والمدرسة المرشديّة والتربة القيمريّة والتكريتيّة وجامع محي الدين بن عربي ومعظم هذه الأبنيّة من العهد الأيوبي .

اشتهرت دمشق بأديارها قبل الإسلام ، ومن أعظمها دير مُرّان في السفح الغربي من قاسيون . كان مطلا على مزارع الزعفران ، وقد ظل عامرا إلى القرن السابع ، وقال فيه الشعراء من القصائد والمقاطيع كل مرقص ، وكان مقصد الخلفاء والأمراء وأرباب اللهو والقصف وعشاق الطبيعة . وكان بالسفح في محلة الصّالحية أكثر من دير تطل كلها على المدينة وغوطتها وفيها أشجار السرو ، ولا نعلم في أي قرن دثرت .

وجبل قاسيون هذا الحارس الأمين لدمشق منذ آلاف السنين يرد الأذى عنها ويمنحها الشموخ والعظمة ويقولون سمي قاسيون لطبيعته الجيولوجيّة القاسيّة وخاصة قمته حيث من الصعوبة انّ تنبت فيها الأشجار ، ويقال انّ هذا الجبل كان يضم أكثر من عشرة آلاف شجرة نخيل قطعها القائد المغولي تيمورلنك حين غزا دمشق .

كم يقال انّ تسمته بقاسيون تعود إلى انه قسا على الغزاة والمعتدين وكان حصنا منيعا لدمشق في وجههم .

انه جبل قاسيون من أقدم الجبال على وجه الأرض ذلك الحارس الأمين الذي تنام دمشق عند أقدامه ويحتضنها هانئة مستقرة قريرة العين .

هذا هو الوصف الإجمالي للأحياء التي على جبل قاسيون كما كانت حواليها قرى وأماكن مسكونة منها الربوة والنيرب ودير مران التي سبق ذكرها .

البساتين تتراجع أمام كتل الاسمنت

فإذا نزلنا هبوطا من حيّ الأكراد فان البساتين تمتد حتى الغوطة أي إلى القابون وجوبر وفي هذه المنطقة قامت الآن أحياء ركن الدين وشمالي المزرعة والعدوي التي تضم آلاف البنايات ومئات ألوف الأشخاص ، وكلها كانت بساتين فيما مضى وأول بيت فيها هو في شارع بغداد إلى جانب معهد الحريّة (اللاييك) الذي كان أول بيت سكنته كل وزارة الدفاع بعد الجلاء ويتألف من خمس غرف ، وهذا كل شيء .
وكذلك من ناحيّة الشيخ محي الدين فإلى شرقه البساتين وكانت هناك طاحون تسمى الطاحونة الحمراء هي آخر العمران .
ومن ناحيّة الشركسيّة والسكة ننزل بطريق طلعة المقدم (حيث يوجد حمام المقدم) أو طريق العفيف المتوازيين وفي كليهما شريط ضيق من الأبنيّة يجاور طرفي طريق الصّالحية ولكن من بعد بضع عشرات الأمتار تبدأ البساتين من الشمال والجنوب .
أي انّ أطراف طريق الصّالحية المباشرة كانت عامرة من الجسر الأبيض حتى عرنوس فالشهداء فبوابة الصّالحية . أما بعدها فكانت من الجنوب بساتين تمتد حتى الربوة . ومن الشمال بساتين تمتد حتى برزة والقابون . فمن الجنوب حلت محل هذه البساتين أحياء الروضة وأبو رمانة والمالكي وغربي المالكي والجاحظ ، فاتصلت المهاجرين بسائر المدينة بعد انّ كانت معلقة وحدها وتحتها البساتين ، ومن الشمال حلت محل البساتين أحياء الرئيس والمزرعة وركن الدين والميسات حتى اتصل العمران بقريّة برزة التي صارت حيا من أحياء دمشق وبالقابون حتى صارت كذلك .

خمسون عاما قلبت صورة المدينة قلبا كبيرا . ومثل ذلك جرى إلى الشمال من سوق ساروجة فقد كان آخر العمران مكان يسمى (قفا الدور) والآن صار كله عمراناً ، حتى صارت المدينة وقراها المحيطة بها من قدسيا غرباً حتى جرمانا وجوبر وعربين وزملكا وغيرها شرقا كتلة إسمنتيّة واحدة وقد ربحنا من جهة وخسرنا من جهة لكننا لسنا الآن في مجال التقييم وإنما في مجال الوصف للتبدل الحاصل في دمشق من خمسين عاما تحت تأثير عوامل كثيرة ، منها تكاثر السكان العادي ومنها زحف القريّة على المدينة ومنها القرب من الجبهة ومنها العدوان الإسرائيلي المتكرر على وطننا الذي قذف بمئات الألوف من الفلسطينيين وأبناء الجولان إلى المدينة المضيافة صاحبة القلب المفتوح وكدمشقي قديم عتيق أقول : أهلا بهم وسحقا لأعدائنا الذين سببوا هذا النمو غير العادي ولا المنظم ولا المتكافئ مع الإمكانيات الطبيعيّة المتوفرة لإسكان صحيح ومنظم . على انّ هذا حديث آخر .

وقد ترك كل هذا أثرا ليس في عدد السكان فقط ، وإنما في توزيعهم وفي المناخ ، فمن حيث المناخ صارت مدينة دمشق فاقدة طراوتها القديمة الآتيّة من البساتين والخضار والمياه . وجفت أكثر الأنهار أو حلولت ، وما بقي منها تحول إلى مجار للمياه المالحة وصارت دمشق كما ذكرت آنفا مدينة الجفاف وقاتّت في شوارعها الأشجار حتى كادت تنعدم ، وما يُقطع منها أو ينكسر تحت صدمات السيارات أو توسيع الطرقات لا يزرع مكانها .

ومن حيث التوزع خرج سكان الأحياء الأصليون من أحيائهم وصاروا في أحياء مختلطة لا يكاد يُعرف فيها الجار جاره ولا يوجد فيها كبير ولا تدبير ، مما ألقى كاهل الإدارة بجوانبها الأخلاقيّة والحقوقيّة ، وغيرها على عاتق الموظفين الذين لا تربطهم صلات مباشرة بمن يخدمون مصالحهم ، وهذا يفقد العلاقات الإنسانية صفتها الحميمة القديمة .

حيّ المهاجرين :

ويطلق عليه على سبيل الدعابة اسم (حي المتقاعدين)[1] لما كان فيه من هدوء وطبيعة خلابة وهواء نقيّ . وهو يمتد في الجانب الغربي لسفوح قاسيون الجبل حتّى (قبة السيّار) .

يقول الدكتور صفوح خير [2] : ويدين حيّ المهاجرين بوجوده إلى أسباب تاريخيّة أكثر منها جغرافيّة . ففي عام (١٨٩٥ م) لم يكن في هذه المنطقة سوى بيت واحد . إذ كان آخر بيت إلى جهة الغرب من دمشق هو بيت (الداغستاني) في المكان المعروف اليوم (بطلعة الباش كاتب) – وهي حاليا جادة عبد الحميد الكاتب – حيث كانت تمر منه الطريق البريّة الواصلة بين دمشق وبيروت والتي كانت تخترق منطقة المهاجرين حتى تصل إلى (قبة السيّار)

ويحدثني الأستاذ عدنان قريش (الداغستاني) مؤكداً انّ بيت الداغستاني المذكور هو بيت (نجيب أفندي الداغستاني) والد عبد الوهاب و الدكتور كاظم الداغستاني صاحب كتاب (حكايّة البيت الشامي الكبير) وموقعه أمام مدخل زقاق الفواخير بجانب خط (الترمواي) المار ضمن حديقته جنبا إلى جنب مع نهر (يزيد) الذي تواجدت فوقه (ناعورة) وقد شيد البيت ضمن قطعة بستان (بهران) الشمالي الذي كان بملكيّة (آل الصباغ) . ويمتد حتّى جادة (نوري باشا) في الجسر الأبيض . كما تواجدت قبالة هذا المنزل دار (هاشم بك) مدير المعارف أواخر الحكم العثماني حتّى اشتراها من بعده الدكتور (رضا سعيد) مؤسس الجامعة السوريّة (جامعة دمشق حاليا) .

بدأ نشوء هذا الحي منذ الولايّة الأولى (لحسين ناظم باشا) سنة (١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ م) ، وسمي (بالمهاجرين) نسبة إلى المهاجرين النازحين من

---

[1] - مدينة دمشق : د . صفوح خير وزارة الثقافة ١٩٨٢ / ص ٢٠٨

[2] - المصدر السابق ص ٢٠٦

(الروملي) سنة (١٨٩٦م) أولا ثم القادمين من (جزيرة كريت) الذين عرفوا بالكريتيين ومنهم عائلة (الكرتل) القاطنة بدمشق منذ تلك الهجرة سنة (١٩٠٠م حيث اختير له هذا الموقع للسكن والاستقرار .

في عام (١٨٩٨ م) زار الإمبرطور (غليوم الثاني) ملك ألمانيا دمشق فاحتفل به بإقامة (مصطبة) حجريّة في حيّ المهاجرين وقف عليها ناظرا إلى المدينة القديمة ، والغوطة الممتدة بينهما ، فأبدى إعجابه بهذا الموقع . كما قدّم نصيحة بأن يبني الناس بيوتهم فيه. وهكذا ولد (حيّ المصطبة) . وفي عام (١٩٠٥ م) بدأ تطور حيّ المهاجرين نحو الغرب . وزاد نموه سرعة عام (١٩١٣ م) إثر إيصال الترام إليه كما زاد التسارع منذ عام (١٩٢٠ م) [١] .

يتألف حيّ المهاجرين من سبعة شوارع فوق بعضها تمتد من الشرق إلى الغرب لتنتهي عند مقهى (اكليل بك) وهي :

شارع الترام أو شارع ناظم باشا (لا زالت التسميّة إلى اليوم) وفوقه شارع جبّار آغا (حالياً جادة ابن عياد) وفوقه شارع الشمعة (حاليا جادة ابن العميد) وفوقه شارع الشيخ ظبيان (حاليا جادة الفرزدق)

وفوقه شارع المكتوبجي (حاليا جادة الأصمعي) وفوقه شارعان آخران (هما حالياً جادة يحيى اليافي وتعلوه جادة باقي [٢] وقد اعتاد الناس على تسميّة هذه الجادات بالأرقام فالجادة الأولى هي شارع الترام أو السكة والجادة الثانيّة ثم الثالثة وهكذا .

قصر ناظم باشا :

---

[١] - المصدر السابق ص ٢٠٧ – ٢٠٨

[٢] - مرآة الشّام : عبد العزيز العظمة : تحقيق نجدة فتحي صفوة . دار رياض الريس للكتب والنشر لندن (١٩٨٧ ص٥٣) أما تسميات الجادات الحاليّة فمأخوذة عن (مخطط دمشق السياحيّة) إنتاج إدارة المساحة العسكريّة بدمشق ١٩٨٢

عندما تولى (حسين ناظم باشا) إيالة سوريّة للمرة الأولى عام (١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ م) نزل في دار البارودي ردحاً من الزمن – هي دار والد فخري البارودي في حيّ القنوات – ثم باع داره في اسطنبول وطلب من (شفيق بك المؤيد العظم) انّ يشتري قطعة من أرضه في (المهاجرين) لأنه أعجب بمناخ تلك المنطقة من دمشق ، ونقاء هوائها وإطلالتها الجميلة ، فعرضها هذا عليه هديّة فلم يقبل ، وأصر على دفع ثمنها (٥٠) ليرة عثمانيّة ذهبيّة ، رغم انّ الخبراء كانوا قدروا قيمتها ب (١٠) ليرات فقط [١] . ثم أقام علها قصره المعروف (بقصر ناظم باشا) وهو القصر الجمهوري القديم الحالي المشيد على طراز العمارة الأوربيّة المحضة . والقريب من ساحة (آخر الخط) ، أو (ساحة ذي قار) اليوم كما سميت الطريق الرئيسيّة التي تخترق حيّ المهاجرين بكامله (شارع ناظم باشا) وعرفت على ألسنة الناس باسم (طريق السكة) نسبة لسكة الترام (القضبان التي يسير عليها الترامواي) . والتي امتدت عبرها عام (١٩١٣ م) كما سبق انّ ذكرت في بحث (شارع المتنبي) وفي عام (١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م) انتهت فترة الولايّة الأولى ونقل حسين ناظم باشا إلى اسطنبول فاضطر إلى بيع القصر وحدائقه إلى مهندسه الأصلي (خورشيد المصري) [٢] . وتمسك بشرف كلمة البيع رغم الثمن المرتفع الذي عرضه (بشارة يوسف الأصفر) زيادة عما دفعه المهندس (خورشيد [٣]) ولما تم ذلك صار يُعرف (بقصر خورشيد) .

---

[١] - دمشق صورة من جمالها وعبر من نضالها : علي الطنطاوي دار الفكر (١٩٥٩ م) دمشق ص (١٥٧) كما ورد في نفس المصدر (ص ١٦٢) تعديل أورده ناظم المؤيد العظم يصحح ما ذكره الطنطاوي حول ملكيّة الأرض المباعة للوالي ويؤكد انّ هذه الأرض بملكيّة والده (عبد الله المؤيد العظم) وانه قدم قطعة منها هديّة لحسين باشا فقبلها وبنى فوقها القصر

[٢] - سوريّة والعهد العثماني : يوسف الحكيم دار النهار للنشر ببيروت ١٩٦٦ ص ٥٦

[٣] - اختلفت الآراء حول تسميّة مهندس ذلك القصر . فبينما يوردها يوسف الحكيم في (سوريّة والعهد العثماني ص٥٦) : (خورشيد المصري) يذكر الطنطاوي في (دمشق عبر من جمالها :ص١٥٨) : انّ التسميّة كانت (وهبة أفندي خورشيد) ثم يصححها في الصفحة ١٦٢ إلى (خورشيد وهبة المصري) وهي التسميّة الصحيحة

وفـي بدايّـة الحـرب العالميّـة الأولـى (١٩١٤) اسـتأجرت الحكومـة العثمانيّـة هـذا القصـر وصـيرته (مقـراً رسـميا) للسـفاح جمـال باشـا ، وعنـدما تـولى جمـال باشـا المرسـيني (الملقـب بالصـغير) قيـادة الجـيش الرابـع العثمـاني خلفـا للسـفاح أواخـر سنوات الحرب (١٩١٨ م) حول القصر إلى (مستشفى عسكري) حتّى خروج الأتراك في نفس السنة المذكورة .

وفي عام (١٩٢٠ م) أقيم احتفال بسيط في قصر خورشيد ضمن إحدى غرفه التي قـام الفنـان (أبـو سـليمان الخيـاط) بزخرفتهـا علـى عجـل بكتابـات عربيّـة ونقـوش مرسومة بـألوان مشـابهة للفسيفسـاء . تمّ فيـه تتويج الأمير فيصـل بـن الحسين ملكـا علـى سوريّة – قبيل حفلـة التتويج التـي أقيمت فـي قصـر البلديّة بساحة المرجـة يوم (٨ آذار ١٩٢٠ م) فأصبح هذا القصر حينئذ مقرا لإقامـة الملك . ومـا انّ استلم (حقـي العظـم) رئاسـة الحكومـة فـي (٥ / ٢ / ١٩٢٠ م) فـي بـدايات الاحـتلال الإفرنسـي حتّى اتخذ القصر مقرا لحكومته . واستمر على هذه الحال إلى (٢٤ / ٨ / ١٩٣٢ م) حين أعيد إلـى مالكـه الأصـلي بـالميراث (د. حمـدي الإدلبـي) الذي أقام فيه وعائلته إلى (١٩٣٩ م) عندما استأجرته المفوضيّة العراقيّة منه وفي عـام (١٩٤٣) تـولى الـرئيس (شكري القوتلي) رئاسـة الجمهوريّـة فقامـت الدولـة بالاتفاق مع المفوضيّة المذكورة على تبادل مقراتهما – إذ كانت الدولة تشغل قصر (مصطفى باشا العابد) القريب من قصر خورشيد إلى جهة الغرب بجوار ساحة خورشيد وهكذا تمت العمليّة وتبادل الطرفان القصرين . ولا زال قصر (ناظم باشا) ثم قصر (خورشيد) وحاليا (القصر الجمهوري القديم) مستعملا إلى يومنا هذا للمراسم والاستقبال وما شابه . وقد تمّ مؤخرا وضع إشارة استملاك الدولة له [١] .

ساحة آخر الخط :

[١] - المعلومات حول المراحل التي مرت بالقصر مستقاة من الكاتبة الكبيرة السيدة (إلفت عمر باشا الإدلبي) زوجة الدكتور حمدي الإدلبي وريث القصر والتي أقامت فيه عبر السنوات (١٩٣٢ – ١٩٣٩)

هي الساحة التي كان خط ترام المهاجرين ينتهي عندها وهي تسميّة على ألسنة الناس كما كانت تسميها أيضاً ، (ساحة خورشيد) نسبة لقصر خورشيد (قصر ناظم باشا) . وعليها يشرف آخر مبنى (قصر العابد) الذي هدم في الخمسينات . وفيها (مقهيان) الأول إلى يمين الذاهب للساحة ، والثاني أول الطريق الصاعدة إلى (قبة السيّار) وهي المقاهي التي تغنى بها نزار قباني :

(لمقاهينا التي ترتاح في أعلى الجبل) .

وإلى الجنوب من الساحة المشرفة على النيربين الأخضرين وتحتها مباشرة تمتد منطقة (الحواكير) الغنيّة بثمار (الصبّارة) و إلى الغرب من هذه الحواكير أرض ساحة (الجريد) التي تقام فيها سباقات الخيل على المستوى الشعبي ، إلى جانب لعبة الجريد التي كان الفرسان يتبارون فيها فيمسك الواحد منهم جريدا بيده (وهو الخيزرانة القصيرة) . ثم يعدو بفرسه ويلحقه فارس آخر معه مثل هذه الجريدة (الخيزرانة). فإذا مسه بها غلبه . وكان لهذه اللعبة أصول متبعة [1] وفي عام (١٩١٨ م) نصب الجنود الإنكليز خيامهم في ساحة الجريد بعد دخولهم دمشق مع قوات الأمير فيصل . وبقوا حوالي (٣- ٤) أشهر كانوا يتسلون خلالها بلعبة (الفوتبول) [2] أو كرة القدم التي صارت تلفظ على ألسنة الناس بعد انتشارها (فَطْبُول) .

التربة (العادليّة البرانيّة) :

[1] - ذكريات : علي الطنطاوي ج٣ ص٢٧٠ ، بينما يروي الأستاذ نجاة قصاب حسن في (حديث دمشقي) دار طلاس (١٩٨٨ ص ٥٠) : انّ الجريد هو رمح خشبي يقذفه الفرسان ويكون النصر لمن يغلب ومن يصيب

[2] - مازال الأستاذ عدنان قريش يذكر هذه اللعبة جيدا عندما شاهد لأول مرة الجنود الإنكليز يلعبون بها في ساحة الجريد

من الغرب إلى الشرق ضمن منطقة الحواكير [1] الغنيّة بنبات (الصبّار) ذي الثمر الطيب المعروف في أيامنا باسم (الصبّارة) التي ينتشر بائعوها ليالي الصيف الدمشقي الحار في الساحات الرئيسيّة حتّى ساعة متأخرة من الليل ، وينامون ما تبقّى منه عند (فرش الصبّارة) المضاء بنور (اللوكس) والمحاط بأنواع مختلفة من أصائص الورد والنباتات ، كما كانت منطقة الحواكير متنزها يخرج إليه الناس أيام نضج فاكهة (القراصيا) الحامضة التي لم يعد لها وجود الآن . ويظهر أنها كانت فاخرة الطعم الأمر الذي كان يدعو ولاة دمشق إلى إرسالها للسلطان في القسطنطينيّة معلبة على ظهور البغال .

قبة السيّار :

من أشهر معالم دمشق ، تربض على جبل (الجنك) وهو الجزء الغربي من قاسيون .

ذكر ابن عساكر انّ القبة بناها المأمون وصيّرها موقدا توفد النار في أعلاه لكي ينظر إلى ما في عسكره في الليل ، وقيل إنها كانت مرصداً للفلك .

هذا وقد شاعت في العهد المملوكي أسطورة شعبيّة تقول بأن رجلين هما سيّار وبشار كانا يتعبدان على رأس جبلي قاسيون والمزة ، وكانا من أصحاب الخطوات ، فإذا أراد أحدهما الاجتماع بالآخر يضع قدمه على جانب الجبل والأخرى عند صاحبه فكأنهما يمشيان في الهواء . فبنوا لهما قبتين على هذين الجبلين . فقبة السيّار فوق مضيق الربوة ، وقبة بشّار التي تناوحهاعلى جبل المعّازة غربي المزة .

الرابطة فوق جبل (الجنك) من قاسيون ، المشرفة على خانق الربوة . في حقبة الثلاثينيات من القرن العشرين من الجنوب إلى الشمال ، و إلى الخلف منها امتداد

---

[1] - كانت تسميّة (الحواكير) تطلق على البساتين الواقعة على ضفاف (نهر يزيد) الشماليّة وتزرع بشجر (الأس) وثماره (الحبلاس) وضفافه الجنوبيّة حيث الأشجار المثمرة كالمشمش والخوخ والتوت وتحتها جميعا الخضراوات الصيفيّة كالبندورة والباذنجان والكوسا . والشتويّة كالسبانخ والفول والبازلاء ، وكانت هذه الخضار والفواكه من أجود ما ينتج في دمشق. .

قاسيون ، قبل انّ تخترقها الطريق الحديثة الواصلة بين حيّ المهاجرين وضاحيّة دمر.

وإلى الشرق من هذه القبة وتحتها قليلا تواجدت بقايا أطلال يظن أنها (دير مُرّان) الذي يعلو بستان (الدواسة)

اختلف المؤرخون حول بناء قبة السيّار . فمنهم من ينسبها إلى الأمير (سيّار الشجاعي) من العهد المملوكي . رغم انّ طراز عمارتها أيوبي . ويعتقد (ولتسينجر) أنها تعود للقرن السادس أو السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد . وهو أكثر مصداقيّة وأقرب واقعيّة نتيجة ملاحظته لبقايا المحفورة في داخلها وحول قبتها ، كما يروح البعض الآخر إلى الاعتقاد بأنها (قبة المرصد) التي نسبها (ابن عساكر) في تاريخه إلى الخليفة العباسي (المأمون) .

كان بناء القبة في بدايات القرن العشرين مطليا (بالجصّ) الأمر الذي يجعلها تسطع نورا يلمسه الناظر إليها من مسافات بعيدة ، وهي بدورها تطل على مدينة دمشق وغوطتها . وعلى قاسيون الجبل ، ووادي بردى . وفي العمق البعيد على سهول حوران جبل حرمون (جبل الشيخ) وتعتبر من الأماكن المحببة لنزهة الدمشقيين[1] .

شارع أبو رمانة :

كان نمو حيّ المهاجرين باتجاه الجنوب . وامتداد العمران في طريق الصّالحية نحو الغرب أثر كبير على فتح شارع (أبو رمانة) الممتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، أواخر الحرب العالميّة الثانيّة عام (١٩٤٥ م) وقد أطلقت هذه التسميّة على ألسنة الناس نسبة إلى (وليّ) [2] كان مدفونا مكان (جامع العَدَ

[1] - للتوسع انظر العمارة الإسلاميّة د . عبد القادر الريحاوي وزارة الثقافة (١٩٧٩ ص ١٣٤) . وأيضاً : الآثار الإسلاميّة في مدينة دمشق ، ولتسينجر تعريب قاسم طوبر (ص ٢٤٩) . وأيضاً في رحاب دمشق محمد أحمد دهمان دار الفكر دمشق ١٩٨٢ ص ١٦ .

[2] - مدينة دمشق : د . صفوح خير وزارة الثقافة ١٩٨٢ ص ٢٠٥

س) المتواجد حاليا في جادة (عمر صفر) عند البدايّة الشرقيّة لشارع (ناظم باشا) الكائن في المهاجرين وهو جامع حديث لم أجد لوحة مؤرخة لبنائه سوى تلك التي تحمل اسمه فقط . ولكنني علمت انّ هذا الموضع كان (حاكورة أو جنينة يزرع فيها العدس) وفيها قبر هذا (الوليّ المجهول) [١] الذي كانت تظلله (شجرة رمّان) وأطلق الناس عليه تسميّة (سيدي أبو رمانة) وكانوا يتباركون برماناتها عندما تثمر . ومع الزمن دثر القبر وشيد في موضعه جامع العدس وبقيت التسمية[٢] .

وينتهي الطرف الجنوبي الشرقي لشارع أبي رمانة عند (قصر الضيافة) وكانت طريق (الجبخانة) القديمة تمر من هذا الطرف حتّى شارع بيروت . وبجوارها (المقبرة العسكريّة الإفرنسيّة) و (الجبخانة) وهي مستودع الذخيرة في العهد العثماني ، وترتفع في موضعها حاليا أبنيّة (الاتحاد العام لنقابات العمّال وفندق (المريديان) والمشيدات المجاورة له من جهة الغرب) .

أطلقت على الشارع بعد شقه تسميّة (شارع بريطانيا) [٣] ، إثر تدخل الجيش البريطاني لوقف العدوان الإفرنسي على دمشق وبقيت هذه التسميّة ، لفترة قصيرة بدّلت بعدها إلى (شارع الجلاء) [٤] وما تزال تخليدا لجلاء القوات الأجنبية عن سوريّة ، بينما احتفظ الناس بالتسميّة الشعبيّة (أبو رمانة) ومازالوا .

ومنذ مطلع الخمسينات (من القرن العشرين) نشطت الحركة العمرانيّة في هذا الشارع وامتدت نحو الغرب لتشكل أحياء (المالكي و غرب المالكي) في حقبة لاحقة[٥]

---

[١] - لقاء مع الأستاذ عدنان قريش

[٢]) مجاهل الأسماء في أحياء دمشق الفيحاء : د . عفيف البهنسي مجلة الحوليات الأثريّة مجلدان (٢٧ – ٢٨) لعامي (١٩٧٧ – ١٩٧٨) ص ١٧ .

[٣] - دليل دمشق ١٩٤٩ : المدير العام للشرطة والأمن . مطابع ابن زيدون دمشق (٤١ ، ١٥٥)

[٤] - خارطة (مخطط مدينة دمشق السياحي) إدارة المساحة العسكريّة دمشق ١٩٨٢

[٥] - مدينة دمشق د. صفوح خير وزارة الثقافة (١٩٨٢ ص ٢٠٥ – ٢٠٦) .

سبب تسميتها بالصالحيّة :

لما احتل الصليبيون البلاد الفلسطينيّة بقي مسلمو هذه البلاد تحت سلطتهم وقسمت تلك البلاد عدة إمارات وإقطاعات ولذلك كانت مختلفة في إدارتها و قوانينها ، وكانت معاملة الصليبين للمسلمين تختلف باختلاف هذه الإمارات والإقطاعات . ففي المقاطعات التي على الساحل كانت معاملة المسلمين حسنة . وقد مّر على هذه المقاطعات الرحالة ابن جبير فشاهد القرى الإسلاميّة . وقال : انّ أصحابها كانوا ممَن مع الفرنج في حالةٍ ترفيّة .

أما داخل فلسطين فكانت معاملة الفرنج للمسلمين سيئة جدا . وكان جبل نابلس يحكمه أمير إقطاعي يدعى الكونت (باليان بن بارزان الإفرنسي) فكان يعامل المسلمين أشد معاملة وأقساها ، ونحن نرجع إلى العرب المسلمين الذين كانوا في جبل نابلس ليقصوا ، علينا كيف كانت معاملة هذا الكونت الفرنسي .

يقول الحافظ الضياء المقدسي – وكان أهله ممن هاجروا من جبل نابلس إلى دمشق – سمعت غير واحد من أصحابنا يقول : انّ المسلمين صاروا تحت أيدي الفرنج بأرض بيت المقدس ونواحيها يعملون لهم بالأرض . وكانوا يؤذونهم ويحبسونهم ويأخذون منهم شيئا كالجزيّة . وكان أكثر الفرنج أهون من ابن بارزان . وكان تحت يده (جمَّاعيل)– قريّة أصحابنا – ومردا ، وياسوف وغير ذلك .

وكان إذا أخذ الفرنج من كل واحد ممن تحت أيديهم من المسلمين دينارا أخذ هو من كل واحد منهم أربعة دنانير ، وكان يقطع أرجل المسلمين ولم يكن في الكفار أعتى منه ولا أكثر تجبرا .

وكان جدي الشيخ أحمد ابن محمد بن قدامة رحمه الله قد سافر واشتغل بالعلم ورجع إلى جماعيل وأقام بها وانتفع الناس بإقرائه العلم والقرآن فكان يخطب أيام الجمع ،

وتجتمع الناس إليه من القرى ويقرأ لهم الأحاديث . فقيل لابن بارزان انّ هذا الرجل الفقيه يشغل الفلاحين عن العمل ويجتمعون عنده . فتحدث في قتله .
وكان في الصلبيين رجل يقال له ابن تسير كان موظفا كبيرا عند بادوين ملك القدس ثم صار من عمال باليان بن بارزان حاكم نابلس وكان ابنَ تسير يعتقد في مشايخ المسلمين ويحسن إليهم . فنصح للشيخ أحمد بن قدامة بمغادرة جماعيل ، وأخبره بأن ابن بارزان يريد السوء به فكان الشيخ أحمد هذا أول من هاجر من تحت أيدي الفرنج من جبل نابلس لخوفه على نفسه وعجزه عن إظهار دينه .

جماعيل : أما جماعيل فهي موطن بني قدامة الذين هاجروا إلى دمشق وأسسوا الصّالحية ولا تزال حتّى اليوم ويسميها الفلسطينيون جماعين بالنون .
وقد قال عنها ياقوت : جماعيل قريّة من جبل نابلس من أرض فلسطين منها الحافظ عبد الغني المقدسي ، انتسب إلى بيت المقدس لقرب جماعيل منها ولأن نابلس وأعمالها جميعاً من مضافات القدس .

أحمد بن قدامة يهاجر إلى دمشق :

قلنا انّ الشيخ أحمد بن قدامة كان يعلم الناس (في جماعيل) أمور دينهم ويصلي بهم الجمعة ويجتمع إليه أهل القرى ، وإن حاكم مقاطعتهم أراد قتله . ولذلك صمم على الهجرة إلى دمشق فسافر سراً مع أربعة من أقاربه . ولما وصلوا نزلوا بمسجد أبي صالح . وهذا المسجد اليوم شرقي بستان الجذماء ولصيقه ، يمر من تحته نهر عقربا وهو خارج باب توما والباب الشرقي بينهما ، ولم يبق من هذا المسجد شيء غير قبر يزوره أصحاب البساتين وينذرون له .
ولما استقر ابن قدامة في دمشق أرسل إلى أقاربه وأهله وجماعته في جماعيل يعلمهم بوصوله إلى دمشق ، ويطلب منهم انّ يهاجروا إليها . ومما كتب لهم : فمن

تبعني فإنه مني . ومن عصاني فإنك غفور رحيم . لحق به بعد ذلك بقيّة أهله وأولاده . ثم أخذت الهجرة تتابع لدمشق من جماعيل ومن القرى الأخرى المحيطة بها كمردا وياسوف ، وقيره ، وجيت وغيرها . وكلهم ينزل بمسجد أبي صالح وقد أصبح عددهم نحوا من مئتي إنسان .ذكوراً وإناثاً وأطفالاً وكباراً .

إن هذا المسجد الذي نزلوه كان غير صالح لسكن هذا العدد الكبير . وموقعه من أردأ المواقع هواءً ومناخاً يمر من تحته (نهر عقربا) وعلى بُعد مئتي متر منه يقوم مستنقع للماء من أفظع المستنقعات ، وهو خندق مدينة دمشق المملوء بالماء الآسن ، وهو بؤرة صالحة لبيض البعوض ، المنتشر بكثرة في ذلك المكان .

وساءت حالة هؤلاء المهاجرين الصحيّة ، فمات منهم نحو أربعين شخصا في شهر واحد ، وضاق صدر الشيخ أحمد بن قدامة لموت العدد الكبير من جماعته ، ثم لمضايقة بني الحنبلي ، النظار على مسجد أبي صالح فقد خافوا على أوقافه انّ تذهب من أيديهم فقاموا يضايقون هؤلاء المهاجرين ، ويؤذونهم ليخرجوا منه ، ووصل الحال ببني الحنبلي انّ رفعوا شكواهم للسلطان . نور الدين على بني قدامة .

وكان حاضراً في المجلس القاضي ابن أبي عصرون فتكلم في شأن بني قدامة وأنهم مهاجرون تجب مساعدتهم ، ومدّ يدِ المعونة لهم ، ووصفهم بالخير والصلاح والعلم .

فأمر نور الدين بنزع المسجد وأوقافه من بني الحنبلي وأن يسلم لبني قدامة فاستلموه ، ولكن كبيرهم الشيخ أحمد لم يرض بهذا العمل وقال : إنني لم أهاجر لأنافس الناس على دنياهم وأنا لا يمكنني انّ أقيم في هذا المسجد أبداً ، وطلب من جماعته انّ يرتادوا لهم مكانا آخر غير هذا المكان .

وكان بعض أهل دمشق يترددون عليهم ، ويقضون حوائجهم ، ويساعدونهم بما يستطيعون .

وكان ممن يتردد عليهم شخص يقال له الشيخ أحمد الكهفي له دير في سفح جبل قاسيون وأراضٍ واسعة فيه . فرأى الشيخ أحمد وهو متأفف من مقامه في مسجد أبي

صالح ، انّ يبحث عن مكان آخر يذهب إليه ، فقال له : انّ لي في سفح الجبل مكانا انّ أعجبك وأردت انّ تبني فيه فافعل .
ذهب معه الشيخ قدامة إلى سفح جبل قاسيون ، فأعجبه المكان ونزل إلى نهر يزيد فتوضأ وجعل حجرا جهة القبلة وصلى فيه ، وقال : ما هذا إلا موضع مبارك ، ثم شرع في بناء دار واسعة عرفت بعد ذلك بدير الحنابلة .

يقول الحافظ ضياء الدين ، سمعت خالي أبا عمر يقول : بنينا الدير في سنتين ، أول سنة بنينا ثلاث أبيات وفي السنة الثانيّة أتممناه عشرة أبيات ثم انتقلنا إليه .
أخذت الدور والبيوت بعد ذلك تبنى إلى جانب هذا الدير ، وأخذت شهرة بني قدامة تتسع ، ويقول الضياء المقدسي سمعت والدتي تقول : لم يكن الناس يعرفون والدي (أي أحمد بن قدامة) إلا بعد خروجه إلى الجبل فكان الناس يأتونه ويزورونه . ويهدون إليه . وكان السلطان نور الدين يأتي إلى زيارته ، وما كنا نعرف شراء الفاكهة والبطيخ والفحم من كثرة ما كان يهدى إلينا .

من هذا الوقت سطع نجم سفح جبل قاسيون وأصبح يسمى بالصالحيّة . فيقول الشيخ أبو عمر باني المدرسة العمريّة وابن الشيخ أحمد بن قدامة : هاجر أبي بي وبأخي موفق الدين وأهلينا إلى دمشق سنة (إحدى وخمسين وخمسمائة) فنزلنا بمسجد أبي صالح ظاهر الباب الشرقي ، فأقمنا به نحو سنتين ، ثم انتقلنا إلى الجبل فقال : الناس : الصّالحية ينسبوننا إلى مسجد أبي صالح لأننا صالحون ، وقد قال المؤرخون : انّ هذا كان تواضعا وتوريّة من الشيخ أبي عمر . لأن الصّالحية سميت بهم لصلاحهم .

الصالحيّة :

لم يمض على نزول بني قدامة الصالحين في سفح قاسيون ثلاثون عاماً ، حتّى أصبح هذا السفح مدينة عظيمة ، تعج بالسكان ، وتكتظ بالمباني الفخمة الرائعة من مدارس وجوامع ومعاهد وحتّى غدت مدينة العلم ، والمدارس والقباب والمآذن . فالرحالة ابن بطوطة يقول عنها : هي مدينة عظيمة لها سوق لا نظير لحسنه وفيها مسجد جامع ، ومارستان . وأهل الصّالحية كلهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل .

ويقول القلقشندي : مدينة الصّالحية ، مدينة ممتدة في سفح الجبل ، تشرف على دمشق وضواحيها ، ذات بيوت ومدارس وربط وأسواق وبيوت جليلة ، ولكل من دمشق والصالحيّة ، البساتين الأنيقة بتسلسل جداولها ، وتغنى دوحاتها ، والجواسقُ العليّة ، والبركُ العميقة ، والبحيراتُ الممتدة ، تتقابل بها الأواوين ، والمجالس ، وتحفّ بها الغراس ، والنصوبُ المطرزة ، بالسرو الملتف ، والحور الممشوق القد ، والرياحين المتأرجة الطيب ، والفواكه الجنيّة ، والثمرات الشهيّة ، والأشياء البديعة التي تغني شهرتها عن الوصف ، ويقوم الإيجاز فيها مقام الإطناب .

هذا ما قاله الرحالة ابن بطوطة والعلامة القلقشندي .

وإن المرء ليعجب كل العجب حين تغدو الصّالحية مدينة عظيمة بنحو ثلث قرن .

وهذا يرجع إلى أمرين :

– الأول : رقي الجماعة المهاجرة .

– والثاني : رقي الحكومة التي كانت في ذلك العصر .

فقد شهدنا في عصرنا هذا عدة هجرات إلى دمشق ، لم تؤثر فيها أي أثر يستحق الذكر فكانت هجرة الأكراد ، والكريديين ، إلى الصّالحية ، والألبان ، والشركس والأرمن ، والحجازيين أهل المدينة ، وكل هؤلاء لم يؤثروا أي أثرٌ في تاريخ دمشق أو عمرانها أو اجتماعياتها ، أما بنو قدامة فقد كان لهجرتهم إلى دمشق أثرٌ مدنيٌّ عظيم ، أسسوا مدينة كبيرة إلى جانب مدينة دمشق ما تزال تحتفظ باسم مؤسسيها الصالحين – الصّالحية – ثم نشروا مذهب الإمام أحمد بن حنبل و كان قلة ً في

الشّام ، فانتشرت مدارس هذا المذهب لا في الصّالحية فقط بل في مدينة دمشق أيضاً ، وكثر أتباعه لا في دمشق بل في ضواحيها كدوما والرحيبة وضمير وبعلبك . وأثرت هجرتهم هذه في مذهب الإمام أحمد أيضاً فقد استطاعوا بدراساتهم وتأليفهم الفقهيّة ، وامتزاجهم بأصحاب المذاهب الفقهيّة ، انّ يُخرجوا مذهب الإمام أحمد من عداد المذاهب الحديثيّة إلى عداد المذاهب الفقهيّة ، فقد كانت المذاهب الفقهيّة الشهيرة إلى أواخر القرن الخامس الهجري تعد ثلاثة وهي : مذهب الإمام أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي .

أما مذهب الإمام أحمد فكان يعد من مذاهب الحديث لا الفقه ، لكن بوساطة العناصر والاتجاهات الجديدة التي أدخلها بنو قدامة على هذا المذهب أصبح مذهبا فقهيا رابعا .

ولذلك عد المقدسي في أحسن التقاسيم مذهب الإمام أحمد في مذاهب الحديث .

وابن عبد البر الأندلسي ، المتوفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، ألّف كتابه الانتقاء ، في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : مالك ، والشافعي ، وأبي حنيفة ، ولم يذكر الإمام أحمد لأنه اعتبره في عداد مذاهب المحدثين . وأثر بنو قدامة أيضاً في علم الحديث – فقد كانوا في عصرهم يعدون في طليعة فطاحل المحدثين فانتشرت دور الحديث في الصّالحية ودمشق . وأدخلوا على هذا العلم اتجاهات جديدة كان لها أثرٌ كبيرٌ في تنسيق علوم الحديث وتصنيف أبحاثه المتعددة .

وأثروا أيضاً في نهضة المرأة العلميّة ، فقد أحضروها حلقات العلم ، ومجالس الحديث فنشأ في الصّالحية ثم دمشق حركة نسائيّة ثقافيّة جلّ العالمات فيها كنّ من بني قدامة والحنابلة .

وحسبكم انّ شيخ الإسلام ابن تيميّة يروي أربعين حديثا نبويا عن أربعين شيخة من النساء .

استأثر العلماء في ذلك العصر بألقاب (الدين) ، كزين الدين ، وتاج الدين ، وصلاح الدين ، استأثرت العالمات بالسيادة المطلقة فلقبن وأسمين ، ست الناس ،

ست العرب ، ست الكل ، ست الأهل ، واستأثرن بسيادة العلماء أيضاً كست الفقهاء ، وست العلماء ، وست القضاة ، وست العمائم .

وأثر بنو قدامة أيضاً في الثقافة العامة العربيّة بوساطة المكتبات التي أنشؤوها فمكتبات أوروبا اليوم تحتوي عددا كبيرا ً منها ، ولا تزال المكتبة الظاهريّة في دمشق مدينة إلى مكتبات مدارس بني قدامة ، فالكتب المحفوظة القيمة التي فيها ، جلّها من أوقاف بني قدامة .

وتولى كثير منهم الوظائف الكبيرة كالقضاء ، وقاضي القضاة ، وتدخلوا في الحكم وسافروا إلى مصر لمقابلة السلاطين ، وموضوعنا الآن يضيق عن أعمالهم الثقافيّة ، والاجتماعيّة ، والسياسيّة .

كما انّ الوقت يضيق عن تفصيل ما كان في الصّالحية ، من المعاهد والمنشآت والأبنيّة الفنيّة الرائعة لذلك نقدم إليكم إحصاء إجماليا لهذه المعاهد العلميّة والأبنيّة الفنيّة التي كانت فيها :

المكاتب المختصة بالتعليم الابتدائي	– ثلاثون
المياتم لتعليم الأيتام والإنفاق عليهم	– عشرون
المساجد	– خمسة وسبعون
الجوامع التي تقام فيها الجمعة	– اثنا عشر
المدارس العاليّة	– ثلاثون
الزوايا	– ثلاثون
الخوانق	– خمسة
الربط وهي ملاجئ للنساء والأرامل والعجائز والمنقطعات	– ستة عشر
الترب	– مئة وزيادة
الحمامات	– عشرون

فمجموع هذه المعاهد والأبنيّة العامة خمسون وثلاثمائة بنايّة تقريبا ، وإن جميع ما ذكرناه من هذه الأنواع عدا الحمامات والخانات ، ما هي إلا معاهد علميّة وإن اختلفت أسماؤها ونعوتها فكانت تحتوي على مكتبات جليلة وتلقى فيها الدروس سواء كانت مساجد أم جوامع أم زوايا أم خوانق . وإليكم أيها السادة صورة عن أول مدرسة أنشئت في الصّالحية وأعظم مدرسة كانت في بلاد الشّام وهي المدرسة العمريّة الشيخة .

المدرسة العمريّة :

تقع في الصّالحية ، جنوب جامع الحنابلة ، تنسب إلى منشئها الشيخ المجاهد أبي عمر أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، بناها بعد انتهائه من بناء جامع الحنابلة ،.

بدأ بإنشائها عام (٦٠٣ هـ / ١٣٠٦ م)، وتوفي عام (٦٠٧ هـ / ١٣١٠ م) . وأوقفت المدرسة في البدايّة على علوم القرآن . وقد طرأ على المدرسة تجديدات وزيادات وترميمات في عهود مختلفة فقد أضاف إليها القاضي جمال الدين المرادي ، والامير ناصر الدين محمد بن منجك أجزاء عديدة عام (٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م) كما زاد فيها عدد من المحسنين حتى أصبح فيها (٣٦٠) غرفة تضم (٥٠٠) طالب من طلاب العلم ، يدرس فيها جميع العلوم الدينيّة والدنيويّة . وكان فيها قسم لتعليم العميان . وآخر لتعليم الأطفال .

كانت للمدرسة اوقاف عديدة ، لكن أيدي العابثين والمستهترين ، امتدت إلى المدرسة ، وجرى التصرف بأوقافها ، والسطو على مكتبتها ، يقول بدران في منادمة الأطلال (وقد كان بها خزانة كتب لانظير لها ، فلعبت بها أيدي المختلسين إلى انّ اتى بعض الطلبة النجديين فسرق منها خمسة أحمال جمل من الكتب وفروا بها ، ثم نقل ما بقي وهو لاشيء يذكر بالنسبة لما كان في خزنة الكتب وفي قبة الملك

الظـاهر (المكتبـة الظاهريّـة بدمشـق) وقـد انتهـت المدرسـة نتيجـة ضـياع أوقافهـا وإهمالها ، إلى خراب أجزاء كثيرة منها وفقدان الكثير من مبانيها .

وفي الوقت الحاضر وضعت وزارة الأوقاف مشروعاً لعادة بناء وترميم المدرسة نظراً لأهميتها القوميّة والتاريخيّة والدينيّة .

لم يمض على استقرار أحمد بن قدامة خمسُ سنينَ في الصّالحية حتّى توفي سنة (ثمان وخمسين وخمسمائة) . وقد بث الروح العلميّة فيمن كان معه من الشباب ممن هاجر ، وأخذوا في تلقي العلم عن علماء دمشق ، ثم رحلوا إلى غيرها من البلدان في طلب العلم ، ثم رجعوا إلى الصّالحية التي أصبحت وطنهم ، فأثروا فيها الأثر العظيم ، في حياتها العلميّة والاجتماعيّة ، وساعدهم الملوك الأيوبيون وأمراؤهم ببناء المدارس وإشادة المعاهد ، وحبس العقارات والأوقاف العظيمة عليها . وكان للشيخ أحمد ابن قدامة المذكور ، ولدان عالمان حصلا في العلم شهرة واسعة تزيد على شهرة أبيهما ، أحدهما : موفق الدين المقدسي ، مؤلف كتاب المغني ، الذي يعد من أمهات الفقه الإسلامي ، ولد بجماعيل سنة (إحدى وأربعين وخمسمائة) ، وكان عمره عشر سنين حين هاجر به أبوه . وتوفي بدمشق سنة (عشرين وستمائة) ، ودفن بالصالحيّة . والابن الثاني : وهو الأكبر الشيخ أبو عمر أخو موفق الدين . ولد بجماعيل سنة (ثمان وعشرين وخمسمائة) ، وكان عمره لما هاجر به أبوه ثلاثا وعشرين سنة ، تلقى العلم عن والده وعن غيره من علماء دمشق ، ورحل إلى مصر ، فسمع بها من أبي المفاخر سعيد بن الحسن بن المأموني ، وأبي محمد بن بري النحوي ، وممن أخذ عنه العلم ولده شمس الدين بن عبد الرحمن قاضي القضاة في مصر ، وابن أخته ضياء الدين المقدسي منشئ المدرسة الضيائيّة ، ومؤلف كتاب (المختارة) الذي رجحه العلماء على كتاب المستدرك للحاكم .

وأخذ عنه محدث البلاد المصريّة الحافظ المنذي . وتوفي الشيخ أبو عمر سنة (سبع وستمائة) ، وكان للشيخ أبي عمر أثر كبير في بث العلم والعمران في

الصّالحية ، فقد كان سريع الكتابة ، يكتب كل يوم كراسين من كتب العلم ، يقدمها إلى الطلاب مجاناً بلا مقابل ، وبذلك كان يهيئ للطلاب أعظم سبب من أسباب العلم وهو الكتاب ، في وقت لم تكن الطباعة موجودة ، والكتب نادرة لا يحصل عليها إلا الأغنياء ، والأمراء . أما من جهة العمران ، فقد أنشأ في الصّالحية أعظم وأبرز بناء فيه ، وهو المدرسة العمريّة ، والجامع المظفري الشهير بجامع الحنابلة .

موقع المدرسة العمريّة :

تقع هذه المدرسة وقت بنائها في أعظم الأماكن النزهة في دمشق ، فتقوم في سفح قاسيون على نهر يزيد ، الذي يمر في طرفها القبلي ، ويطل الجالس فيها على مدينة دمشق وقببها ومناراتها الجميلة وما يحيط بها من قصور وحدائق وبساتين .
ولا تزال هذه المدرسة موجودة إلى الآن بين مسجدي الشيخ محي الدين والشيخ عبد الغني النابلسي .

بنــاؤها :

كان بناء المدرسة صغيرا متواضعا ، لأن الشيخ أبا عمر بنى أولا مصنعا كبيرا على حافة نهر يزيد لحفظ الماء أثناء انقطاعه ، ثم بنى عقدا متينا فوق هذا المصنع وما يحاذيه من النهر ، ثم بنى مسجد المدرسة ، فوق عقد النهر ، وبنى في جهتي المدرسة الغربيّة والشماليّة ، عشر حجرات لطلبة العلم الحنابلة ، وجعل سقف الحجرات من عقد ، وجعل لكل حجرة كوة صغيرة على هيئة الكوى في بلاده .

وتنحصر مدرسة الشيخ أبي عمر من الجدار الغربي للمدرسة إلى ابتداء البوائك ، هذا هو الأساس الأول في مدرسة الشيخ أبي عمر ، ولكن الله تعالى أراد انّ يخلد ذكره – لإخلاصه في خدمة الإنسانية – فقيَض لهذه المدرسة من زاد فيها ووسعها حتّى انتهى عدد حجراتها إلى ستين وثلاثمائة فيما قيل .

ثم انّ قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن محمد المرداوي الحنبلي بنى في سنة (٧٦٩) مدرسة حذاء مدرسة الشيخ أبي عمر ولصيقها من جهة الشرق على هيئتها في الطراز ، وأراد إضافتها إلى المدرسة فمانعه في ذلك أحفاد الشيخ ، ولكنه عمد إلى عدد كبير من العمال وهدم الجدار الذي بين المدرستين ليلا ، ورفع الأتربة وبلط الأرض ، فلم يصبح الصباح إلا والمدرستان مدرسة واحدة . وحدود زيادة المرداوي من أول البوائك إلى آخرها وما يحاذي ذلك من جهة الشرق والشمال وتقدر مساحتها بمثل مساحة مدرسة الشيخ أبي عمر تقريبا .

وبنى شهاب الدين أحمد بن عبد الرزاق الحنبلي سنة (٨٤٧) مدرسة ثالثة لصيق مدرسة قاضي القضاة المرداوي من جهة الشرق وفتح بابا بينها وبين المدرسة العمريّة في الجهة التي أضافها لها جمال الدين المرداوي ، فصارت هي والعمريّة والمرداويّة مدرسة واحدة .

وبنى ولد الشيخ أبي عمر مراحيض خارج المدرسة ، من جهة القبلة يفصل بينهما الطريق الآخذ إلى مسجد الشيخ عبد الغني النابلسي ، وبنى ساباطاً فوق الطريق ، وغرفاً فوق الساباط والمراحيض ، وبنى الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك عدة غرف في الجهة الشرقيّة ، وأوقف أوقافاً جليلة على المدرسة .

وبنى الأمير يلبغا ساباطا فوق الطريق وغربي المدرسة ، وجعل فوقه غرفا ، وكان بناء المدرسة مؤلفا من ثلاث طبقات في جميع جهاتها أما الساباطان فالأغلب أنه كان مؤلفا من طابقين ، وهذا ما جعلها تتسع لنحو ستين وثلاث مئة غرفة وحجرة تقريبا .

ولم نعثر إلى الآن على نظامها الداخلي ،لأن ذلك مسجل في حجج الوقفيات وشروط الواقفين .

ورغماً عن كثرة حججها ، وكثرة الواقفين لها ، حتّى قيل إنه كان في كل عام يوقف لها وقف جديد . فصار لها من كل أنواع البر والخير، ولا شك انّ هذا كله مشروط على أنواع من الدراسات في مختلف العلوم والفنون على طريقة يعينها الواقف فقد فقدتْ تلك الحجج والوقفيات ، وأخفاها ، بل أعدمها نظارها والمتولون على شؤونها ، حتّى تسنى لهم اختلاس تلك العقارات ، واغتصابها . وآخر ما علمناه من اختلاس أوقافها انّ لها قطعة أرض في بيروت استملكتها دائرة بلديتها بمبلغ قدره خمسة آلاف ليرة عثمانيّة ذهبا ، قبضها أحد كبار موظفي الأوقاف باسم (دائرة أوقاف دمشق) في سنة (١٣٤٥) تقريبا ، وابتلع المبلغ رغم ضخامته ورغم وجود مدير لأوقاف دمشق وأعضاءٍ للدائرة !... وإليك صورة المرسوم المكتوب على البوائك وهي توضح لنا شيئا من نظام المدرسة الداخلي :

[بسم الله الرحمن الرحيم : بتاريخ جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وثمان مائة ، حكم مولانا قاضي القضاة ، نجم الدين أبو حفص عمر بن حجّي الشافعي ، الناظر في الأحكام الشرعيّة الشاميّة أعز الله أحكامه ، وأدام أيامه ، بإبطال ما أحدث من الوظائف والمعاليم على أوقاف مدرسة شيخ الإسلام أبي عمر– تغمده الله برحمته – بعد وفاة المرحوم قاضي القضاة شمس الدين بن التقي الحنبلي ، وهي : مشارفة الديوان ، ومشارفة الرتب ، وكتابة الغيبة ، على المشايخ القراء والمصدرين ، ونقابة الفقراء ، وعمالة وقف القرماني ، وجبايّة وقف كفر بطنا ، والزيادة المحدثة في معلوم الأمانة ، والمحدث في تصدير علم الدين بن نوح [1] ، والتصدير المحدث باسم فخر الدين عثمان الجحيني ، وإبقاء ما تجدد بإشارته الكريمة في أيام مباشرة خادم الفقراء عبد الرحمن بن داوود من زيادة الحلوى في نصف شعبان ، وزيادة اللحم في شهر

[1] - في تنبيه الطالب : المدرسة الرواحيّة شمس الدين بن نوح تفقه على ابن الصلاح وأخذ عنه النووي توفي سنه ٦٥٤ هـ وله ولد توفي سنة ٦٨٣ هـ وترجمته في شذرات الذهب ، والبدايّة والنهايّة ١٣ / ١٩٥ .

رمضان ، وزيادة الأضحيّة من الأغنام والأبقار السمان ، وتأبيد هذه الحسنة ، واستمرار جرايّة الخير في جميع السنة ، وزيادة البسط والتنوير ، وذلك كله بعد عمارة المدرسة المذكورة وتتمة أوقافها المبرورة .

وأنفذ الحكم المذكور مولانا قاضي القضاة شهاب الدين بن الحبال الحنبلي الحاكم بالشام المحروس ، وأذنا في نقش ذلك بالمدرسة المذكورة .

ثم وقف قاضي القضاة نجم الدين المشار إليه وقفا على ختان من لم يكن مختونا بالمدرسة ، وعلى زبيب وقضامة ، تفرق بها لمن يحضر قراءة السبع ، في ليالي الجمع ، تقبل الله عمله وبلغه ثواب أمله .

(فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين [يبد] لونه ، انّ الله سميع عليم). فمن غيّر ذلك أو سعى أو نقض شيئا منه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وذلك في شهر جمادى الآخر سنة خمس وعشرين وثما[ن] مايّة ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

وهذه الكتابة ترينا أشياء مهمة عن نظام المدرسة العمريّة :

١- تبين لنا أهميّة المدرسة ، وأنه كان لها ديوان خاص لإدارة شؤونها وأوقافها ، وكان لهذا الديوان مشارف يناظره ويدير شؤونه .

٢- تفيدنا أيضاً بأنه كان للمدرسة مشارف للرتب ، فهو يقدر أنواع الأعمال للموظفين ويصنفهم ويقدر مراتبهم ، كما يفعل ذلك أيضاً بالطلبة الساكنين فيها .

٣- كتابة الغيبة . وهو موظف في المدرسة يراقب من تخلف عن الحضور إلى المدرسة من الأساتذة والطلاب ، فيكتب أسماءهم ويقدمها إلى الإدارة لمجازاة المتأخرين بما يستحقون ، ولكتابة الغيبة أهميّة عظمى عند إعطاء الإجازة (الشهادة) ، فإذا أعطى الأستاذ تلامذته إجازة بكتاب ، يكتب الأستاذ في إجازة المتخلف عن الدرس : وفاته من باب كذا وكذا .

٤- تبين لنا أيضاً انّ المدرسة المذكورة ، لم تكن قاصرة على الدراسة العلميّة فقط . بل كانت تقوم بمساعدة الفقراء والمعوزين ، وأنه كان لهم نقيب يمثلهم في ديوان المدرسة .

٥- عُمالة وقف القرماني - والعمالة بضم العين أجرة العامل ورزقه - وهي تفيد أناسا كانوا يعملون في وقف القرماني ويتقاضون أجرتهم من ديوان المدرسة ولم نطلع على نوع هذا الوقف وما هو عمل العمال فيه .

٦- تفيد وجود جباة خاصين بالمدرسة ومنهم جباة وقف كفر بطنا .

٧- وجود وظيفة باسم (الأمانة) ، ويكون صاحبها مسؤولا عن جميع حوائج المدرسة وقائما على أمانة مخزنها .

٨- يعطينا أسماء بعض المعلمين : كعلم الدين بن نوح ، وفخر الدين عثمان الحجيني ، وسمّي تدريسهم تصديرا ، لأن الأستاذ يجلس في الصدر ويجلس المتعلمون دونه .

٩- كان للمدرسة وقف مخصص لختان الأولاد في المدرسة .

١٠- تفيدنا شيئاً عن أنواع المساعدات التي تقدم إلى الطلاب مثل الحلوى في نصف شعبان ، وزيادة اللحم في شهر رمضان ، وزيادة الأضحيّة من الأغنام والأبقار السمان ، وزيادة التنوير في المدرسة وزيادة البسط والمفروشات ، لها أيضاً وتفريق قضامة وزبيب في المدرسة .

١١- وجود سُبع في المدرسة - والسبع قراءة القرآن العظيم في سبعة أيام - أي ختم القرآن في كل أسبوع ، وهذا النوع كثير مشهور في أكثر المساجد ، توقف له الأوقاف الخاصة به يتقاضاها من يقوم بهذه الوظيفة .

هذا ما يستفاد من المرسوم الذي أصدره قاضي القضاة في عصره ، نجم الدين بن حجي ، ونقشه على الحجر في أعلى القناطر، وهي تفيدنا أشياء هامة كثيرة عن نظام هذه المدرسة الداخلي . ونحن نضيف إليها ما استطعنا البحث عنه في كتب التاريخ تتميما للبحث .

كانت هذه المدرسة للحنابلة ، ولا يجوّزون الاستفادة الماديّة منها لغيرهم ، ولكن في نحو أوائل القرن التاسع الهجري أدخل إليها بقيّة المذاهب الأربعة وصار لكل منتسب لمذهب حق في سكناها والاستفادة منها .

ويذكر المؤرخون بأن القاضي بهاء الدين بن حجّي عيّن أول مدرس شافعي فيها بمبلغ قدره (١٥٠) درهما في الشهر ، ولكن إدارة المدرسة امتنعت عن دفع هذا المبلغ ، ثم انزل إلى التسعين درهما ، ومن هذا نستفيد معرفة المقدار المعين للمدرس ، ثم رُتب للحنفيّة دروسا ، ثم للمالكيّة ، وكان في هذه المدرسة عشرة مشايخ لإقراء القرآن وشيخ لتعليم الأطفال ، وعدة أسباع ، منها سبع يقرأ في الإيوان القبلي ، وسبع بعد المغرب .

وكان للمدرسة حرمة ومكانة في نظر الناس والحكومة ، فإذا دخلها لاجئ لا يجرؤ أحد على إخراجه منها ، حتّى ولا حاكم دمشق ، ويذكر محمد بن طولون في ترجمة نفسه بأنه توظف فيها بوظيفة القراءة بالسبع ، وقف ابن الشيخ حسن وبخدمة كتب الحنفيّة فيها ، ويؤخذ منه أنه كان بها أربع مكتبات ، وكل مكتبة تخص طلاب مذهب من المذاهب الأربعة ، وأن البقيّة الباقيّة من كتب هذه المدرسة ، الباقي بعضها في المكتبة الظاهريّة في دمشق ، والمبعثر بعضها الآخر في أقطار الأرض ، والتي لا تخلو منها مكتبة مهمة في أوروبا ، تعطينا صورة جليّة عن الخدمات العظمى التي قام بها هذا المعهد الجليل من الدراسات والبحوث في جميع العلوم والفنون الأدبيّة والشرعيّة من علوم القرآن والحديث والفقه والقراءات والأدب والتاريخ وما إلى ذلك ، فإن كل مجلد من مكتبة هذه المدرسة الفخمة لا يخلو أوله و آخره من عدة أوراق في الإجازات والسماعات المتعددة التي يذكر فيها أسماء الطلبة ممن حضروا سماعها ودراستها ، وشاركوا في تحقيقها من رجال ونساء وعلماء وعالمات وفضلاء وفضليات ، أو ممن قصدوا هذا المعهد الزاهر من الأقطار البعيدة والبلدان النائيّة .

وإليك شيئاً مما كان يوزع فيها على طلبة العلم من المأكولات والحوائج استطعنا جمعه من كتب التاريخ : ستة آلاف درهم ثمن غنم في شهر رمضان وأنواع الطعام فيها : قمحيّة ، حب رمان ، لبنيّة ، عدس ، هريسة ، رز حلو، طعام حامض ، أضاحي أيام العيد ، حلوى في رجب ، حلوى في نصف شعبان ، حلوى دهنيّة في كل شهر ، زبيب وقضامة في كل أسبوع ، زبيب كل سنة ، كعك ، كنافة ، مشبك بالعسل ، لحم يفرق في رمضان ، دشيشة في الشتاء ، خمسمئة رغيف كبير من الخبز كل يوم .

أنواع الحوائج :

دراهم تفرق على عامة الطلاب ، قمصان ، سراويل ، بشت (فروة) ، أطباق غسيل ، صابون ، دسوت للطبخ ، دسوت للطعام العام ، أباريق للوضوء ، سخانة لتسخين الماء .

مكتبتها :

تعد المكتبة العمريّة من أهم مكتبات دمشق وغيرها من مكتبات البلاد الإسلاميّة ، فقد اجتمع فيها أهم الكتب الإسلاميّة ، وكان كثير ممن يدرس أو يتعلم أو يؤلف كتابا فيها ، يوقفه في هذه المدرسة حتّى اجتمعت فيها ألوف الكتب ، التي قلما يخلو كتاب منها من إجازات ، وسماعات بخطوط العلماء ، مما يجعل لها قيمة علميّة

وأثريّة ، وزاد في أهميتها انّ المدرسة الضيائيّة ، التي أنشأها ضياء الدين المقدسي ، مؤلف (المختارة) ، كان لها مكتبة هي أعظم وأهم مكتبة في دمشق ، فقد جاب الضياء المقدسي أقطار العراق وبلاد العجم والقطر المصري ، وانتقى أحاسن الكتب وأجودها ، فكان إذا رأى ما أعجبه لم يفلته من يده ويبذل كل جهده للحصول عليه سواء أكان بالاستهداء أم بالشراء ، أو بالنسخ ، حتّى اجتمع له ما لم يجتمع لغيره ، وأوقف هذه الكتب على مدرسته التي أنشأها في سفح قاسيون فكان مما فيها أوراق بخطوط الأئمة الأربعة : أبي حنيفة ، ومالك، والشافعي ، وأحمد . وكان فيها توراة وإنجيل قديمان بالخط العبري والسرياني ، الأسطر إنجيلي على ورق غزال . ولا تزال بعض أوراق منهما محفوظة في دار الكتب الظاهريّة في دمشق .

وقد أصاب هذه المدرسة ومكتبتها ، ما أصاب غيرها من مدارس دمشق ، من الانحلال والاختلال ، فأضيفت مكتبتها إلى مكتبة المدرسة الظاهريّة . ولا نعلم الزمن الذي أضيفت فيه ، والمرجح أنه كان قبل انحلال المدرسة العمريّة بنحو أربعين أو خمسين سنة .

على أنه لم يمض وقت طويل على انحلال المدرسة الضيائيّة ، حتّى تسرب ذلك إلى المدرسة العمريّة ، وغيرها من مدارس الشّام ، وأخذ كل متول وناظر على مدرسة يتصرف فيها وفي كتبها وعقاراتها ما شاء له الهوى . وقد روي انّ جماعة من النجديين جاؤوا إلى دمشق ، ورشوا ناظر المدرسة العمريّة ببعض المال ، فمكنهم من سرقة أربعة أحمال جمال من الكتب ، وذهبوا بها من المدرسة ليلاً إلى دار أحد الحنابلة في دمشق ، الذي اختلس نصفها ، وذهب النجديون بالباقي إلى نجد ، ولا تزال حتّى اليوم ، ترى في نجد بعض الكتب الخطيّة ، وقد كتب عليها (وقف المدرسة العمريّة) . وأعقب هذه الحادثة عدة حوادث مثلها ، أثارت ضجة في دمشق ، فألف حينئذ والي دمشق ، المرحوم أحمد مدحت باشا ، لجنة مؤلفة من مفتي دمشق : محمود أفندي حمزة ، ومن الأعضاء : الشيخ علاء الدين عابدين ، والشيخ سليم العطار ، والشيخ محمد المنيني ، والشيخ أحمد مسلم الكزبري . وسماها

(جمعيّة المكتبة العموميّة) . وقد جمعت ما تمكنت من جمعه من مكاتب دمشق وهذه صورة القرار الذي صدر وقتئذ في هذا الموضوع :

((لما كانت الكتب الموقوفة ، والمشروطة لاستفادة العموم ، وقد حصرت بأيدي المتولين ، وحرمت الناس من مطالعتها ، صدر الأمر الجليل من ملجأ الولايّة ، وأعطي قرار من طرف مجلس الإدارة ، توفيقا للتقرير المتقدم من هؤلاء العاجزين المؤرخ في (١٥ شباط ١٢٩٥)[١] ، على أنه يجري جمع الكتب والرسائل الموقوفة ، الكائنة تحت أيدي المتولين ، ووضعها بخزانة مخصوصة عمرت وأنشئت بتربة الملك الظاهر ، في المحل المخصوص المعمر لأجل ذلك في جوار تربة السلطان صلاح الدين ، لأجل انّ تصير المنفعة عموميّة ، ولا يحرم أحد من الاستفادة والمطالعة التي هي أجل مقاصد الوقف بل لأجلها وقف ويتأسس بذلك مكتبة عموميّة)) .

وكان كل ذلك بسعي الشيخ طاهر الجزائري ، ولما صدر القرار بجمع الكتب من المدارس ، عمد ناظر المدرسة العمريّة إلى مكتبتها فانتقى أحاسنها وأخذها إلى داره وأغلق أبواب المدرسة ، وأبعد جميع الحمالين من جهة الصّالحية ، فقدمت لجنة جمع الكتب ، تصحبها قوة الضابطة ، فلم يتمكنوا من إيجاد أحد يحمل لهم الكتب ، وأخيرا مرت دواب بعض الزبالين فأخذوها ، وحملوا الكتب عليها إلى مقرها الأخير ، في المكتبة الظاهريّة ، وكان مجموعها نحواً من (٦١٤) مجلدا خطيا عدا الدشت (وهي من خير كتب الظاهريّة) .

أما حالة المدرسة الحاضرة فيمثلها قول القائل :

معاهد آيات خلت من تلاوة ومنزل علم مقفر العرصات

الزاويّة الداوديّة :

---

[١] - مثل هذا الخلط بين التقويم الهجري والميلادي مستعمل في العهد العثماني .

أنشأها الشيخ أبو بكر بن داود الصوفي الصالحي الحنبلي ، في حدود الثمانمائة ولم يتمّمها ، فأتمها ولده الشيخ عبد الرحمن ، وجعل لها الأوقاف والمرتبات السلطانيّة ، فإنه كان المملكة ، يسعى إلى خدمته القضاة والأمراء والنواب والسلاطين ولا تردّ له كلمة ، جعل لها مدارا للماء وصهريجا ، ولها حملا ثلجٍ

كل يوم ، أيام الصيف ، وجعل بها رواقاً جيداً ، وإيواناً جيداً ، ومسجداً جيداً، وخلاوي كثيرة للفقراء ، وميضأة ، وبيتاً للكتب الموقوفة بها ، ومساكن للنساء ، وقرر فيها إماماً ، ومؤذناً ، وقيماً ، وواعظاً ، يقام بها الذكر كل ليلة ثلاثاء ، ويقصدونها الناس من كل جهة ، ويجعل لهم ألوان الأطعمة ، وهذه الزاوية اليوم دائرة ومكانها معلوم فوق جامع الحنابلة .

هذه صورة عن الزوايا ، والزوايا في الإسلام ، كالأديرة في المسيحيّة ، كما يقول السبكي .

وإليكم صورة عن مستشفى الصّالحية (البيمارستان القيمري) :

هذا المستشفى هو المشهور اليوم بالمارستان ، إلى جانب جامع الشيخ محي الدين ، لا يزال يحتفظ برونقه ، بعد انّ رممته مديريّة الآثار ، أنشأه الأمير سيف الدين يوسف القيمري ، سنة ست وخمسين وستمائة ، قال ابن عبد الهادي عنه : هو من أحاسن الدنيا ، فإن فيه هذا الإيوان المعظم ، والقاعتين المعظمتين القبليتين ، بهذه الشبابيك المشرفة على دمشق ، وتحت شبابيك هذا الحوض النارنج ، لاسيما في أيام زهرة ، تفوح منه هذه الرائحة الزكيّة فتنعش النفوس وتزكي الأرواح ، يقال : انّ تمرلنك ، لما أخذ الشّام نزل (دواداره) فيه وقال : [درت جميع دمشق فما وجدت أحسن منه ولا أشرح ولا أقضى] . وبه قاعتان لصيق القاعتين المذكورتين للمرضى المسهولين إحداهما للرجال والأخرى للنساء ، ولصيقهما حاصلان : شرقي معد للشرابات والمعاجين والأشياف والأقراص (الأشياف : هي الأدويّة الخاصة

بالعين) وحاصل غربي معد لتفرقة ذلك في كل يوم اثنين وخميس للخارجين عنه ، وقد رأينا ذلك ، وفي زماننا صار لا يفرّق ذلك فيه إلا يوم الخميس فقط .
ويفرق فيه كل يوم للمرضى به من نساء ورجال ، وفي شرقيه مطبخ للمزوّرات والفراريج وغير ذلك (المزوّرات مرقة يطعمها المريض خاليّة من الدهن) وهي ما تسمى في عهدنا بشوربة الخضار ، ولصيقه ميضأة ، وفي غربيه قاعة للمجانين ، ولصيقها حاصل للمُغل ، وفي دهليز بابه الشمالي بيت البواب ، وبوسطه بركة معظمة ، يأتي إليها الماء بناعورة مركبة على نهر يزيد دائما . وفيه خدم للرجال والنساء ، وكحال وطبيب وشراباتي (أي صيدلي) وعامل ، ومشارف (أي ناظر) وغير ذلك من التراتيب الجيدة ، وبه محفة لحمل الضعفاء ، يحصل لهم بها في الصّالحية نفع عظيم .
وإليكم صورة عن مكتبات الصّالحية : كان بكل مدرسة مكتبة خاصة بها ، وكان هناك مكتبات في غير المدارس ، كجامع الحنابلة ، وكالزاويّة الداوديّة ، وكالتربة البزوريّة . ونذكر الآن وصفا لمكتبة المدرسة الضيائيّة التي كانت من أعظم مكتبات الصّالحية .

المدرسة الضيائيّة :

أصبحت اليوم داراً شرقي باب جامع الحنابلة الشرقي ، أنشأها المحدث الحافظ الشيخ ضياء الدين المقدسي ، جده من جهة أمه الشيخ أحمد بن قدامة مؤسس الصّالحية ، وخالاه الشيخ أبو عمر ، والشيخ موفق الدين المقدسي مؤلف المغني ، ولد ضياء الدين بدير الحنابلة سنة سبع وستين وخمسمائة ، وأخذ عن علماء الصّالحية ودمشق ثم رحل سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، رحلة علميّة إلى مصر والعراق ، فدخل بغداد والموصل ، وهمدان وأصبهان ومرو ونيسابور ، وحلب وحران ومكة ، ورجع بعد خمس سنين إلى دمشق بعلم كثير ، وأصول خطيّة نفيسة ، فتح

الله عليه بها هبةً وشراءً واستنساخاً وبنى مدرسة وقفها على الحنابلة وأوقف فيها الكتب التي حصلها في هذه الرحلة وهي من أنفس الكتب ، وتوفي سنة (٦٤٣) وأوقف فيها كثير من العلماء كتبهم كموفق الدين المقدسي ، والبهاء عبد الرحمن ، والحافظ العز بن عبد السلام ، وابن الحاجب ، وابن هامل ، والشيخ علي الموصلي ، والحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي ، وغيرهم من العلماء ، ولذلك كانت مكتبتها أعظم مكتبة علميّة في دمشق ، ويقول ابن طولون : إنها نهبت للمرة الأولى أيام قازان التتري ثم تماثلت ، ويقول الجمال بن عبد الهادي : كان بهذه المدرسة كتب الدنيا والأجزاء الحديثيّة ، وكان فيها توراة وإنجيل قديمان ، وفيها خطوط الأئمة الأربعة ، وكانت مضبوطة الحال أيام خزنتها بني المحب ، وبعدهم صارت إلى القاضي ناصر الدين بن زريق ، وكان في أيام قاضي القضاة الحنابلة علاء الدين بن مُغْلي ، فاحتاج إلى كتاب الخلاف للقاضي أبي يعلى فقالوا له : لا يوجد إلا في الضيائيّة ، فأرسل طلبه من القاضي بن زريق ، فجمعه في قفتين وأرسله له ، قالوا : فمن ثم انفرط أمرها وطمع الناس فيها . ثم لما جاء تمرلنك وذهب ، زاد انفراط حالها ، فجاء الحافظ بن حجر وأخذ منها عدة أحمال ، ثم جاء الحافظ بن ناصر الدين فأخذ منها ، ثم جاء الحافظ قطب الدين الخيضري فأخذ ، ثم انّ القاضي ابن زريق استوعب أحاسن باقيها .

ويقول ابن طولون : وقد سعيت أنا والشيخ موسى الكناني الحنبلي في عود نحو ألفي جزء من الكتب لهذه المدرسة ، هذا ما ذكره ابن طولون في القلائد الجوهريّة ، ولا شك أنها بعد ذلك بقي فيها بقيّة غير قليلة إلى انّ اضمحل أمر هذه المدرسة قبل مئة عام من عصرنا . فأضيفت كتبها للمدرسة العمريّة ، ولما اضمحل أمر المدرسة العمريّة قبل سبعين عاما من وقتنا ، وأخذ النظار على المدارس القديمة يتصرفون بأوقافها وكتبها تصرف السفهاء ، جمعت البقيّة من خزائن كتب المدارس وحفظت في قبة الملك الظاهر وتألفت منها دار الكتب الظاهريّة وهي الآن تحوي عددا من

الكتب القيمة ، وقف المدرسة العمريّة ، والضيائيّة ، وعليها خطوط العلماء وخاصة خط الضياء المقدسي .
و إذا قد تكلمنا على المكتبات نرى من اللازم : التكلم عن مصانع الورق التي كانت تُمِدُّ هذه المكتبات . يقول ابن طولون : انّ مما اختصت به الصّالحية صنع الورق ، ولا يصنع إلا بها ، ومنها يجلب إلى سائر الدنيا .

قبة النصر في أعلى جبل قاسيون :

أنشأها نائب الشّام في العهد المملوكي برقوق الظاهري عام (٨٧٧ هـ) فوق الصّالحية عند مغارة شدّاد . بمناسبة انتصار الدولة على شاه سوار الغادري الذي أعلن العصيان عليها في إمارة كيليكيا . فسماها قبة النصر .
سقطت هذه القبة في زلزال (١١٧٣ هـ) ثم أزيل ما تبقى منها عام (١٩٤١ م أزالتها قوات فيشي الفرنسيّة المتحالفة مع قوات المحور لئلا تتخذ كنقطة علاّم عسكريّة من قبل جيش الحلفاء البريطاني الذي دخل مؤازراً للقوات الديكوليّة ' وكان الناس يحرفّون اسمها إلى قبة النسر)

وهي من القباب الشهيرة التي يُسأل عنها دائما تقع في قمة جبل قاسيون ، بقيت عامرة إلى سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ، ثم سقطت بسبب الزلزال العظيم الذي حصل في هذه السنة ، وبقي لها بقيّة ، تُرى من بعد على هيئة كرسي يسميها الناس كرسي الدايّة ، لأنها تشبه الكرسي الذي تجلس عليه المرأة وقت الوضع ، وعندما دخلت جيوش الحلفاء دمشق سنة (١٩٤١) هدموها خوفا انّ تتخذ علامة لضرب المواقع العسكريّة ، وإليكم سبب عمارتها وتسميتها بقبة النصر .
في منتصف القرن الثامن الهجري قامت إمارة تركمانيّة شمالي حلب عرفت بإمارة ذي الغار . وبعض المؤرخين يسميها بإمارة ذي الغادر ، وكانت تحتوي على بلاد : البستان ، ومرعش ، وعينتاب ، ومَلَطيّة ، وإعزاز ، وبَهَسْنى ، ودارنده وغير ذلك .

وكان أمراء هذه البلاد يصادق على تعيينها ملك البلاد المصريّة . وفي سنة (سبعين وثمانمائة) ، قدم أمير هذه البلاد المسمى (أرسلان بن سليمان) إلى القاهرة ، فأمر السلطان بقتله لكونه سلم بلاد خربوت لحسن بك الطويل ، وعين مكانه أخاه (شاه بداق بن سليمان) وكان له أخ ثالث اسمه (شاه سوار بك) استعان بسلطان الروم العثماني على استقلال بلاده وأعلن العصيان على الحكومة المصريّة ، فأرسلت له الحكومة المصريّة جيشا فأفناه عن بكرة أبيه ، ثم أرسلت له جيشا ثانيا ، ثم ثالثا ، وتحرجت مكانة الدولة المصريّة وزالت هيبتها أمام الدول الشرقيّة ، وتكبدت خسائر فادحة في الأنفس والأموال ، فحشدت بعد ذلك أكبر جيش تستطيعه بقيادة يشبك الدوادار ، فانهزم سوار بك أمام هذه القوة الهائلة ، التي استعملت المكاحل (المدافع) ، وتحصن بإحدى القلاع فصبت عليه المكاحل نيرانها ، ولما رأى العجز طلب الأمان ، فأعطاه الأمير يشبك الأمان وسلم نفسه ، ولكن القيادة العامة كانت تضمر له الشرّ فأمره قائد الحملة بزيارة نائب دمشق (برقوق) ، فذهب إلى سُرادقِهِ ليسلم عليه فأمر برقوق بالقبض عليه فقيد بالحديد ، ثم أخذ لمصر فصلب وهو حيّ ، فأعدم مكلباً بكلاليب من حديد ، في لوحي أكتافه (واستنكر الناس وقتئذ إعدامه بعد تأمينه ، كما استنكروا طريقة الإعدام) ولما رجع نائب دمشق إليها بنى في أعلى قاسيون هذه القبة وسماها قبة النصر على سوار ، وذلك سنة سبع وسبعين وثمانمائة . والآن قد زالت جميع معالمها كما تقدم ولكنها لا تزال في ذاكرة الناس .

ونقل أحد أفاضل دمشق ما ذكره بن عساكر لم يزالوا يخفون إلى دمشق طلباً للصحة وحب المنظر .منهم المامون فإنه أقام بها وأجرى قناة من نهر منين في سفح جبلها إلى معسكره بدير مران وبنى القبة التي في أعلى الجبل وصّيرها مرقباً يوقد في أعلاها النار لكي ينضر إلى ما في عسكره فإذا جن عليه الليل كان ضوؤهاإلى ثنية العقاب (الذي قال عنها ياقوت هي مشرفة على غوطة دمشق وإلى جبل الثلج) أما هذه المناور فقد كانت تستعمل في بلادنا قديماً أعلاماً بحركات التتر إذا قصدوا

البلاد للدخول في حرب أو لإغارة . ثم قال الكاتب وبهذاترى أن القبة القائمة أنقاضها اليوم في قمة جبل قاسيون المشار إليها في كلام صاحب التعريف والمعروفة اليوم بقبة النصر إن لم تكن من بناء العباسيين فقبتهم كانت مكانها ثم خربت وتجدد غيرها ،وما يقال عن قبة النصر واستخدامها منارة في ما مضى يصح أن يقال عن قبة السيار المساقة لها من الشق الآخر من الجبل .

قال بعضهم عنها أنها كانت مجمع الحمام الزاجل ، تستعمل لنقل الأخبار لممالك الشام ثم قال أما القناة التي جرى بها ماء قرية منين لمعسكر المأمون بدير مران وهو اليوم حدائق صبار وآس فهي من أهم الأمثلة في العمران على عهد هذه الدولة لأن المسافة بين منين ودير مران لا تقل عن ثلاث ساعات وما من أثر يدل على القناة إلا ما كان من بقايا مجرى نهر في سفح الجبل باد للعيان ، على أن طوارئ الحدثان عفّت للقريب عهده منالآثار ، فما بالك بما مضى عليه زهاء ألف سنة والناس قد نسوا تاريخ اجدادهم وتخطيط بلا دهم حتى لو قلنا لهم أن المأمون بنى مرصداً فلكياً في جبل قاسيون لرصد الأجرام لستغربوا ذلك منا ولو جئناهم بالشواهد التاريخية .

وذكر أيضاً العلامة الحسن البوريني في كتابه منازل الأنسية في الرحلة الطرابلسية ، قبة عظيمة مشرفة على جانب الربوة وعلى دمشق ، ويوجد بها نسيم يحيي الفؤاد السقيم وغالب أهل دمشق لا يعرفون قبة السيار الى من تنسب وكذلك قبة النصر ، والذي علمناه ورأيناه في التاريخ أن سيارا والد نصر ونصر ابن سيار ،وقد اشتهر ذلك في التاريخ وكان كل منهما أميراً في الشام في زمن الخلفاء العباسيين ، وبنى سيار القبة المذكورة وجاء ولده بعده أميراً فبنى القبة المعروفة به الآن .وأكثر أهل دمشق يقولون ان القبة المشهورة بقبة النصر كانت لقلاوون المنصور ، والحال أنها بناء الأمير نصر ، وربما أن قلاوون أقام بها لأجل صحة الهواء بها حين أبل من علة لحقته ، انتهى من كتاب حلة الذهب الأبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز للعارف عبد الغني النابلسي الدمشقي .

ونقل بعض الثقاة أنهما بنيا مراصد ، وقال بعضهم ان الذي بناها بلقيس في زمن سليمان عليه السلام ،وفي أيامها سحبت المياه بمجرى سرداب من قرية التكية في سوق وادي بردى إلى قرية تدمر ذات الآثار العجيبة والمعالم الشهيرة التي تقصد من قبل رجال الغرب ويقال بأن مجرى الماء باق أثره الى اليوم ونقل الأرمنازي في تاريخه أن في دمشق محل كان يعرف (بصفة بقراط) حيث كان يجلس هذا الفيلسوف فيه كما قيل لا. وهو في غربي الصالحية تحت قبة السيار

تأخر العمران في الصّالحية :

كان لغزوات الفاتحين أثر كبير في تقويض عمران الصّالحية ، ويصف لنا ابن كثير بعض ما وقع في الصّالحية أيام احتلال دمشق ، من قبل قازان الملك التتري ، فيقول في حوادث سنة تسع وتسعين وستمائة : وفي يوم السبت النصف من ربيع الآخر شرعت التتار ، وصاحب سُيس في نهب الصّالحية ، ومسجد الأسديّة ، ومسجد خاتون ، ودار الحديث الأشرفيّة بها ، واحترق جامع التوبة بالعقيبة وكان هذا من جهة الكرج والأرمن ، الذين هم مع التتار ، وسبوا من أهلها خلقا كثيراً ، وجماً غفيراً ، وجاء أكثر الناس إلى رباط الحنابلة ، فاحتاطت به التتار فحماه شيخ الشيوخ ، الذي كان مع التتار ، ثم أقحموا عليه فسبوا منه خلقا كثيراً وأسروا نحو أربعة ألاف أسير ، ونهبت كتب كثيرة من الرباط الناصري والضيائيّة وخزانة ابن البُزوري ، وكانت تباع وهي مكتوب عليها الوقفيّة ، وفعلوا بالمزة مثل ما فعلوا بالصالحيّة وبغيرها . ثم أعقب ذلك أيضاً فتوح تيمورلنك الذي غير معالم مدينة دمشق وتركها أنقاضاً ، ثم تبع ذلك الفتن الداخليّة وعصيان الأمراء المماليك على سلاطين مصر ، ثم فتوح السلطان سليم لدمشق ثم عصيان جانبردي الغزالي ، ودخول جيوش السلطان سليمان ، التي نهبت الصّالحية ، ثم الضرائب الفادحة ، التي وضعت على دورها أيام العثمانيين ، فترك كثير من أصحاب البيوت بيوتهم ، وتبرؤوا منها حتّى خربت عدة حارات بجملتها .

وإليكم ما يقوله البدري ، من أهل القرن التاسع الهجري : ومن محاسن الشّام الصّالحية مشحونة بالزوايا والترب والمدارس حتّى انّ بها قصبة دون ميل تمشي فيها بين ترب ومدارس ببناء جميل ، استولى عليها المباشرون والنظارة ، فأزالوا منها العين ، ولم يبق سوى الآثار فكم من مدرسة اندرست بعد الصلاة والتراويح ، وأمست في ظلمة بعد تلك المصابيح .

وإليكم ما يقوله ابن عبد الهادي ابن القرن العاشر : في زماننا خرب محال منها ، محلة حمام النحاس ، ومحلة أبيات ، أعني محلة طاحونة الأشنان ، ومحلة مقري ، ومحلة الشبليّة ، فنعرفها عامرة إلى غيطة ابن المزلق ، وبها حمام ودكاكين ، وعلى باب الحمام رجل أعرفه يبيع العدس ، يضرب بعدسه المثل ، وكان من جهة طريق المدينة دكان بعين الكرش ، هي دكان مكنفاني (أي كنفاني) يبيع طول الليل والناس تطلع وتنزل عليه إلى المدينة وقد زال ذلك كله .

وإليكم ما قاله محمد بن كنّان المتوفى سنة (ثلاث وخمسين ومائة وألف) : وكان سبب الخراب لتلك المحلات مال الخانات ، فكان يحط على دار الرجل نحو المائة قرش في السنة ، ومنهم نحو الخمسين ، وطال أمرها فآل الأمر إلى الاختلال ، وخراب تلك التلال فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ويقول أيضاً : انّ جامع البدري خرب ما حوله من أهل الخانات ، وكان يتكلف الرجل على بيته في السنة المائة أو الخمسين ، وما خرب يوزعونه على أهل المحلة فزاد المال أكثر حتّى خرب ما حوله ، وإن التحرير خرب العمار وعمّر الخراب ، فخف المال من المائة إلى الأقل الأدنى ، وهو قرش أسدي وخمس مصاري ، خدمة للجباة فالحمد لله على كل حال وبنعمته تتم الصالحات .

هذه صور ونماذج عن تاريخ الصّالحية ، وتاريخها أكبر من انّ تحيط به مقالات وكتب .

وإن في تاريخ الصّالحية لعبرة لمعتبر ، كيف نشأت في ظل الحكومات العادلة التي تقدر العلم ، وتسعى في رفاهيّة الشعب ، ثم كيف كادت تندثر في ظل الحكومات العاتيّة الظالمة .

و إذا نظرت إلى الأماكن تلْفِها تشقى كما تشقى العباد وتسعد

ما كان في جبل قاسيون من المنشآت قبل الصّالحية :

اشتهر قاسيون اليوم بالصالحيّة وجبل الصّالحية ، ويرجع تاريخ هذه التسميّة إلى عام (٥٥٤) هجريّة لنزول بني قدامة المقداسة بها واشتهارهم بالصالحين .
أما ما نريد في مقالنا هذا ، فهو المنشآت والأماكن التي سبق وجودها ، وجود الصّالحية وهي تعد بمجموعها ، مصايف ومنتزهات ، رغم أنها كانت مسكونة في جميع فصول السنة .

سفحا قاسيون :

لقاسيون سفحان يفصل بينهما نهر يزيد ، فما كان على ضفته الشماليّة فهو السفح الأعلى وهو سفح كبير واسع خال من الماء ، لم يكن ينتفع فيه إلا بزرع شيء من الحنطة والشعير المسقيين بماء السماء ، ولم يكن فيه شيء من البناء إلا محلة دير مُرّان ، و إلا بعض دور قليلة متفرقة في أنحائه ، وبعض بنايات مقدسة كالأديرة ومغارة الدم والجوع وكهف جبريل .
أما السفح الأدنى فهو ما كان على ضفة نهر يزيد الجنوبيّة ، وهو سفح مزدهر ناضر عملت يد الإنسان فيه ، فنظمته ونسقته ، وغرست فيه أنواع الأشجار المثمرة والنجوم والبقول والأزهار والرياحين ، ويرجع الفضل في ازدهاره إلى نهر يزيد الذي

يستمد من مائه خيراته وبركاته ، وبالحقيقة فإن سفح قاسيون هو خير بقعة زراعيّة في دمشق لطيب أرضه ووفرة مياهه ، وتسلط أشعة الشمس عليه من الجنوب والشرق والغرب ، يضاف إلى ذلك نشاط زراعه الذين يخدمونه أكبر خدمة ويسمدون أرضه بقمامات دمشق ، وأرض السفح لا تستريح من الزرع أكثر من أسبوع أو أسبوعين فالزرع فيها دائم صيفاً وشتاءً وخريفاً وربيعاً ، و إذا كانت الأراضي الخصبة تؤتي أكلها مرتين كل عام ، فسفح قاسيون يؤتي أكله بضع مرات في السنة ، وهو الذي يموّن دمشق طول السنة بأنواع الخضراوات والبقول التي تتركب منها السَلطات : كالسلق والبراصيا والكراث والسبانخ والكزبرة والبقدونس والخس الصيفي والشتوي والفجل وغير ذلك .

وهذا السفح الأدنى كان عامرا آهلاً بالسكان لسهولة العيش فيه ، فالمياه جاريّة فيه من كل جانب ، والثمار والأشجار متوفرة محتاجة من يعمل فيها ويحرسها .

ولذلك كان من يريد سكنى هذا السفح مستأنسا مطمئنا لوجود الزراع وحراس البساتين فيه . بخلاف السفح الأعلى الذي كان (في القرن الخامس ومنتصف القرن السادس) خاليا من الناس خاويا ، مهدداً بلصوص وادي التيم الذين كانوا يقصدون هذا الجبل ليلاً ، ويصطادون من تقع عليه أيديهم من الناس ثم يقودونهم صاغرين إلى بلاد الصلبيين ، فيبيعونهم هناك رقيقاً . أما ما كان في قاسيون وسفوحه من المنشآت والمحلات الآهلة بالسكان التي سبق إنشاؤها وجود الصّالحية الحاضرة فهي سبع محلات : دير مُرّان ، الربوة ، النيرب ، أرزة ، بيت أبيات ، مُقري ، الميطور ، وهي ما سنتكلم عليها .

دير مُرّان :

وحَسْبُكَ مِنْها ديرُ مُرّان شَاخِصاً يُصَدِّقُ أخبارَ الحَوادِثِ بالخُبْرِ

فكـــم رفقـــةٍ قـــد أحكمُـــوا عَقْـــد أُنْسِـــهِم بِـــهِ وتَجَلّـــوا بالطَّلاقَـــةِ والبِشْـــرِ
وكـــم ثَـــوَّب الدَّاعـــي بِـــهَ لصَـــبُوحِهِمْ ومـــا العُمْـــرُ إلاَّ كالخَيـــالِ الـــذي يَسْـــري

هـي محلـة كانـت عـامرة آهلـة بالسـكان ، ومحلهـا اليـوم فـي السـفح الغربـي لجبـل قاسيون ، الواقـع أسفل قبّـة السيّار وأعلـى بستان الدواسـة ، يطل منهـا الإنسـان علـى الربوة وحدائقها ذات البهجة ، التي كان يزرع فيها قديما الزعفران ولا تزال تلك الجهة حتّى اليوم تدعى بدير مُرّان ، وعرفت تلك الجهة بهذا الاسم لوجود دير يدعى بدير مُرّان ، ذكره أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني قال : إنه دير على تلعة مشرفة عاليّة تحتهـا مـروج ومياه حسـنة . ووصـف ابـن فضـل الله العمـري فـي مسـالك الأمصـار فقال : هو على تل في سفح قاسيون ، وبناؤه بالجص الأبيض ، وأكثر فرشه بالبلاط الملون وكـان فـي هيكلـه صـورة عجيبـة دقيقـة المعـاني ، وكلاليّـة دائـرة بـه ، وأشـجار متراكمة ، وماؤه يتدفق .

كان هذا الدير منتزهاً يألفه كثير من أكابر القوم ، حتّى الخلفاء والوزراء ، ويقضون هناك أوقاتاً جميلة ، من هؤلاء الخليفة الأموي الوليد بن يزيد [1] ،

والعباسـي هـارون الرشـيد ، وقد ضـربا بهذا المثل الأعلـى من التسـامح الديني ، بين أتبـاع الديانتين الموحدتين ، الإسـلام الحنيف والمسيحيّة الغراء ، فـي ظل جوّ فريد من الألفة والمودة وبعيدا من التعصب الديني البغيض .

وقال ياقوت : إنه على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة . ولاشك بأن مزارع الزعفران التي ذكرها ياقوت هي المعنيّة بقول البدري بأن في ذيل الجبل الغربي

[1]) الخليفة يزيد بن معاويّة أجرى إليه فرعاً من بردى ، عرف بنهر يزيد وأقام فيه الخليفة الوليد بن عبد الملك وتوفي فيه . انظر بحثنا : شهرة قاسيون التاريخيّة . وتراثه العمراني والمعماري ، المنشور في كتاب روائع التراث في دمشق .

في الربوة دف الزعفران . وللزعفران أثر كبير في حياة الأديرة قديما فقد كان يزرع في حدائقها وبساتينها ثم يباع وينفق ثمنه في مصالح الدير .

ولا نعلم الوقت الذي اندثر فيه هذا الدير ، ولعل ذلك في أواخر القرن الخامس الهجري زمن الحكومة الأتابكيّة حينما عجزت عن تقرير الأمن في البلاد بسبب الحروب الصليبيّة ، فانتشرت اللصوص تعيث فساداً في الأمكنة المتطرفة فهجر هذا الدير لذلك وتتابع خرابه .

وقد سكن العرب هذه الجهة منذ الفتح الإسلامي . وذكر ابن جرير الطبري في تاريخه حينما خلع الوليد بن يزيد : انّ حُميد بن حبيب اللخمي أقبل إلى دمشق بأهل دير مُرّان والأرزة وسطرا فبايع يزيد بن معاويّة .

وكانت هذه المحلة من منتزهات بني أميّة . ورد في تاريخ ابن عساكر : انّ عبد الملك بن مروان كان يحدث جماعة من أصحابه على سطح بدير مُرّان .

وفي الأغاني انّ جريراً الشاعر قدم على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازل في دير مُرّان فكان أصحاب جرير يفدون إليه صباحاً يسامرونه . وكان جرير يختم مجلسه بالتسبيح فيطيل . فقال له رجل : ما يغني عنك هذا التسبيح مع قذفك للمحصنات ؟ فتبسم وقال : يا بن أخي (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً عسى الله انّ يتوب عليهم) . إنهم والله يا بن أخي يبدؤونني ثم لا أحلم .

ومن الراجح انّ يكون للأمويين بعض القصور في تلك الجهة . أما في العصر العباسي فالظاهر انّ دار الإمارة انتقلت من دمشق إلى دير مُرّان لأن العباسيين لما استولوا على دمشق هدموا جميع دور الأمويين وما يتصل بهم من آثار . ومن جملتها دار الخضراء التي كانت مسكن الخلفاء الأمويين ، وكان العباسيون لا يطمئنون إلى السكنى داخل دمشق خوف الوثوب بهم والثورة عليهم ، وقد وثبوا على الأمير سالم بن حامد أمير دمشق من قبل المتوكل فقتلوه ومن قدروا عليه من أصحابه على باب الخضراء بدمشق . لذلك اختار العباسيون دير مُرّان لحصانته وجمال موقعه وطيب هوائه فنزلوا في بعض القصور التي كانت فيه .

يدل على ذلك أنّا لا نجد في العصر العباسي ذكرا لدار الإمارة داخل دمشق ، ولا لنزول الخلفاء العباسيين فيها . فهارون الرشيد لما زار دمشق نزل دير مُرّان وكذلك المأمون ، الذي جعل مقره وعسكره فيها ، وأجرى إليها قناة من نهر منين وعمر قبة في أعلى الجبل ، فإجراء قناة من نهر منين يدل على وجود الحاجة الدائمة إلى الماء .

وفي عصر المأمون أقيم مرصد فلكي في جبل قاسيون بين سني (٢١٥ و ٢١٨ هـ) . ولما أرسل الواثق العباسي رجاء الحضاري لتأديب العصاة من أهل الغوطة نزل أيضاً دير مُرّان عام (٢٢٧ هـ) وأنزل عقوبته بالعصاة . وبنى أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون قصرا في دير مُرّان كان ينزل به وهذا صريح فيما ذهبنا إليه من انّ دار الإمارة هناك ، وفي هذا القصر اغتيل أبو الجيش المذكور سنة (٢٨٢ هـ) .

ويوضح لنا البحتري في مدحه أبا الجيش خمارويه قيمة محلة دير مُرّان التي كانت فيها الإمارة ومكانتها هي ومقري التي كانت مدخلاً و دهليزاً لدير مُرّان يمثل لنا ذلك في وصف المعركة التي كانت بينه وبين الأمير محمد بن أبي الساج في ثنيّة العقاب حينما انهزم أبو الجيش خمارويه أولا ثم كر على ابن أبي الساج وجيشه فهزمهما .

فيقول البحتري في ذلك :

أما كان في يوم الثنيّة منظر ومستمع ينبي عن البطشة الكبرى
وعطف أبي الجيش الجواد بكرة مدافعة عن دير مُرّان أو مقرى

فلم يقل عن دمشق وإنما قال عن دير مُرّان لأنها دار الإمارة ومقر الأمير .وفي سنة (٣٥٩ هـ) أرسل المعز لدين الله الفاطمي (باني مدينة القاهرة بمصر) قائده جعفر بن فلاح لفتح مدينة دمشق ففتحها في السنة المذكورة ووضع فيها نائبه (إقبال) وعاد إلى مصر .

فقام الشريف أبو القاسم إسماعيل ابن أبي يعلى فطرد إقبالاً نائب الفاطميين وأعلن عصيان دمشق ، فرجع القائد جعفر بن فلاح إلى دمشق فقاتل أهلها حتّى ظفر بهم وفتحها مرة ثانيّة سنة (٣٦٠ هـ) .

واتخذ دير مُرّان محلا لسكنه حتّى قتله فيه الحسن بن أحمد القرمطي حينما استولى على دمشق .

هذه النصوص كلها تبرهن على انّ دير مُرّان كانت دار إمارة في العهد العباسي والطولوني والفاطمي إلى زمن زوال سلطتهم عن دمشق .

وقد تغنى الشعراء قديما بدير مُرّان وجمال منظره وطيب هوائه نكتفي منها بقول الببغاء الشاعر :

يا صباحا بدير مُرّان راقا هجت منا القلوب والأحداقا
ومشت نسمة تؤمك حتّى رفعت بالعبير فيك رواقا
وأتينا إليك نقطع أرضا ملأتنا إلى اللقا أشواقا
وسمعنا الطيور تصدح زهوا حيث سكران طيبها ما أفاقا
وصبا قاسيون تنفح فينا سكبت من هبوبها رقراقا
فجلسنا في مجلس مستطاب فيه كأس السرور كان دهاقا
ونظرنا من ربوة الشّام مرأى قلبنا لم يزل له مشتاقا

وتذكر الروايات – انّ الوليد بن عبد الملك توفي في دير المران ويذكر أيضاً نقلاً عن ابن عساكر : انّ دير سمعان ودير النساء كانا في سفح جبل دمشق شمال

المدينة أحدهما للحاكم البيزنطي ، كما تشير المراجع إلى انّ فصراً كان في قاسيون يسمى قصر هرقل ، وأصبح يدعى في العصر السلجوقي بقصر شمس الملوك .

الربـــــوة

ومن محاسن الشّام محلة (الربوة) قال بعض المفسرين الربوة أحدثها بنو كنعان وابتدؤوها . وهي المذكورة في قوله تعالى { وآويناهما إلى ربوة ذات قرار و معين } يعني مريم وعيسى عليهما السلام ، وإنما قيل لها ربوة لأنها مرتفعة مشرفة على غوطتها ومياهها . وكل راب مرتفع على ما حوله يقال له ربوة ومنه تربيّة الصبي لترفعه في النفس والجسم . والمعين الماء الذي يخرج من الأرض .وقال ابن مطرف في ترتيبه : الربوة فيها ثماني لغات : رُبوة ، و رَبوة ، و رِبوة . و رُباوة ، ورَباوة ، و رِباوة ، ورابيّة ورُبى والجمع ربى . والربوة مغارة لطيفة بسفح الجبل الغربي وبه صفة محراب يقال إنه مهد عيسى عليه السلام يزار وينذر له . وبها جامع وخطبة ومدارس وعدة مساجد ، وبها قاعات وأطباق وفيها عين ماء يقال لها (الملثم) ومرابط للدواب وبها سويقتان قاطع بينهما النهر (بردى) .

والفواكه فيها لا قيمة لها ، فإني اشتريت الرطل [1] بربع درهم وكذلك الرطل الدمشقي من المشمش مثله والتفاح ، ويقول تاج الدين الكندي :

انّ (نـــور الـــدين) لمـــا انّ رأى فـــي البســـاتين قصـــورالأغنياء
عمـــر (الربـــوة) قصـــراً شـــاهقاً نزهـــة مطلقـــة للفقـــراء

[1] - الرطل : الدمشقي وزنه ثمانمائة درهم

وهي التي قال عنها الرحالة ابن بطوطة : هي من أجمل مناظر الدنيا ومنتزهاتها وبها القصور المشيدة والمباني الشريفة ، والبساتين البديعة .

وعدها المتقدمون من قاسيون مع أنها واد وليست بجبل لأن الحد الطبيعي لهذا الجبل من الجنوب هو نهر بردى . وهي أول منفسح الوادي الغربي الآخذ إلى دمشق ، وفيها يخرج بردى من سجنه الضيق فينقسم فيها إلى عدة أنهار ، ففي سفح قاسيون من جهة الشرق والشمال نهرا يزيد و ثورا .

وفي سفح جبل المزة من جهة الغرب والجنوب قناة الداراني ثم قناة المزة ثم قنوات ثم بانياس .

وبأسفل الوادي يسيل ما بقي من المياه في بردى . ففيها يظهر تقسيم هذا النهر إلى عدة أنهار فيزيد تلك الجهة نضارة وجمالا.

ويقول البدري : سميت بالربوة لأنها مرتفعة مشرفة على غوطتها ومياهها ، وكل راب مرتفع على ما حوله يقال له ربوة ، وبالحقيقة فإن ما يسمى اليوم بالربوة ليس بربوة وإنما هو واد تتدفق فيه المياه وتنساب ولكن كان في هذا الوادي محل يقصده الناس للزيارة والتبرك يسمى بالربوة وقد زال اليوم ولم يبق منه أثر إلا كتابة كوفيّة فيه منقوشة على صفحة الجبل فبقيت التسميّة شائعة على الوادي الذي كانت فيه الربوة . ولا نعرف الوقت الذي تتطاول إليه الربوة في القدم ، وأقدم ما وصلت إليه في بحثي هي هذه الكتابة التاريخيّة المنقوشة في الصخر أسفل جبل قاسيون التي تفيد بأن هذه الربوة المباركة عمرت في أيام الإمام المستنصر بالله الفاطمي الذي تولى الملك من سنة (٤٢٧ إلى سنة ٤٨٧ هـ) ثم نرى بعد ذلك في كتب التاريخ اسم السلطان نور الدين محمود بن زنكي الذي حكم دمشق من سنة (٥٤٩ إلى سنة ٥٦٩هج) وقد نسب إليه ، تجديد بناء طارمة مسجد الديلمي ، ولا نعلم من هذا الديلمي الذي ينسب إليه هذا المسجد . ولكن هذا يقع على مقربة من الكتابة المكتوبة في عهد المستنصر الفاطمي .

ويقول البدري عن هذا المسجد : إنه القاعة التي بناها نور الدين وإنها على شعب جبل جميعها متختة بألواح من الخشب سقفها نهر يزيد . وأساسها من تحتها نهر ثورا ، ومنظرها من الغايات التي لا تدرك .

وَعُـــد إلـــى الرَّبَـــوةِ الغَنَّـــاءِ تَلْـــقَ بِهـــا مَحاسِـــناً تُجْتَلَـــى فـــي أحســـن الصـــوَرِ
ظِـــلٌّ ظَلَيـــلٌ ، ومـــاءٌ راحَ مُطَّـــرداً بَـــينَ الغُصُـــونِ وطَيـــرٌ جِـــدُّ مُسْتَحِـــرِ([1])
حيـــثُ النســـيمُ تَمَشَّـــى فـــي جَوانِبِهـــا يسْـــتَعطفُ([2])البانَـــةَ الغَنَّـــاءَ فـــي الْبكَـــرِ

وعد ابن النقيب زائر الربوة برؤيّة محاسن لا مثيل لها ، من ظلال نديّة بليلة متصلة لا تنتهي ، إلى جداول مياه منسابة ومتتابعة دائمة الجريان تحت أقدام الغابة الشجريّة التي تبدأ ولا تكاد تنتهي ، فتزيد الحياة بهجة وسروراً .
ويقول ابن طولون عما كان في الربوة من الآثار : كان بها التخوت وهو قصر مرتفع على سن جبل به قاعة لبوابة وطيقان على هيئة الإيوان ينظر الجالس هناك من مسافة يوم ، لو لم يكن حائل ، وبه مئذنة ومسجد وميضأة ، وتحته نهر ثورا ، وفوقه نهر يزيد ، يصعد إليه من سلم حجر بناه نور الدين للفقراء فإن الأغنياء لهم قصور ، انتهى كلامه .
وأقول سواء أقلنا عن هذا المكان إنه قصر نور الدين أو تخته أو مسجده ، أو مسجد الديلمي ، فهو مكان الربوة التي وردت في الكتابة الكوفيّة الفاطميّة المنقوشة على صفحة الجبل ، ولا شك بأن السلم أو الدرج الموصل إلى هذا المسجد كان أسفل هذه
الكتابة الكوفيّة ليراها الصاعدون إلى المسجد والنازلون ثم وهذا الدرج المذكور لا ينقطع عن هذا المسجد بل يتصل فوق نهر ثورا ثم يزيد إلى انّ يصل الإنسان إلى

[1] مستحر : متردد ومتحير في المكان .
[2] في الأصل (تستعطف)

قاسيون ويسمى اليوم بالمنشار وقد ذهبت أكثر درجاته لطول العهد به ، والصعود عليه خطر مخيف ولكن الجريئين من الشباب يغامرون في سلوكه وقد صعدت عليه ونزلت منه مرارا أيام فتوتي .

وبنهايّة هذا الدرج من الأعلى آثار بناء قديم وثم حجرة منحوتة في صخر الجبل قد ذهب سقفها ، ونقر في جهتها القبليّة محراب بطراز فاطمي ولكنه بسيط جدا خال من الصناعة الفنيّة .

أما الشعاب التي كانت تقوم عليها قاعة نور الدين أو قصره فلا يزال قسم منها باقيا إلى اليوم وقد كانت هذه الشعاب بارزة في الطريق العام فحين مدّ خط قطار بيروت كسر بعض هذه الشعاب ولما عُبّد طريق دمر وطلي بالقار أزيل قسم آخر من هذه الشعاب ، وذهب قسم من الكتابة الكوفيّة المنقوشة على الجبل وهي أقدم وثيقة تاريخيّة منقوشة على الحجر في دمشق ، ومن المترقب انّ تذهب بقيّة هذه الكتابة في هذا العام لتصميم محافظة دمشق الممتازة على توسيع طريق الربوة ولذلك فإني ألفت نظر من يعنيهم التاريخ والآثار إلى العنايّة بهذه الوثيقة التاريخيّة القيّمة والمحافظة عليها بطرق فنيّة لئلا تصاب بأذى أو ضرر .

وفي طارمة هذا المسجد يقول الأمير مجير الدين محمد بن تميم :

يا حسن طارمة في الجو شاهقة ... ما انّ تمل بها العينان من نظر
نزِّه لحاظك في طاقاتها لترى ... أصناف ما خلق الرحمن للبشر
ترى محاسن وادٍ يحتوي نزها ... لذيذة السمع والأبصار والفكر
في ربوة قد سمت حتّى تخال لها ... سرا تحدثه للأنجم الزهر
ما بين روض وأنهار مسلسلة ... تجري وتحمل أنواعا من الثمر

وفي هذا القصر يقول تاج الدين الكندي أستاذ الملوك الأيوبيين وناشر علم الأدب والعربيّة بدمشق :

انّ نـــــور الـــــدين لمـــــا انّ رأى فـــي البســـاتين قصـــور الأغنيـــاء
عمـــر الربـــوة قصـــراً شـــاهقاً نـــــزهة مطـــــلقة لـــــلفقراء

ويذكر البدري انّ لهذا المسجد أوقافاً على قراء ووعاظ وقراءة البخاري وغير ذلك كالمؤذنين والفراش والبواب والوقاد .

ويستفاد مما ذكر الرحالة ابن جبير الأندلسي الذي زار دمشق عام (٥٨٠ هـ) ، أن هذا المكان نفسه هو الربوة ، ومأوى المسيح وأمه مريم عليهما السلام فهو يقول عن نهر ثورا : إنه يشق تحت الربوة وقد نقر له في الحجر الصلد أسفلها حتّى انفتح له مسرب واسع كالغار وربما انغمس الجَسور من سّباح الصبيان أو الرجال من أعلى الربوة في النهر واندفع تحت الماء حتّى يشق متسربه تحت الربوة ويخرج أسفلها وهي مخاطرة كبيرة . وهذا الوصف لا ينطبق إلا على الجهة التي كانت فيها قاعة نور الدين أو قصره أو مسجده . وقد وصف هذا المكان المقدس وصفا رائعا كما كان في زمنه فقال :

بآخر جبل قاسيون وفي رأس البسيط البستاني الغربي من دمشق الربوة المباركة المذكورة في كتاب الله تعالى مأوى المسيح وأمه صلوات الله عليهما ، وهي من أبدع مناظر الدنيا حسنا وجمالا وإشراقا وإتقان بناء واحتفال تشييد ، وشرف موضع ، وهي القصر المشيد ، ويصعد إليها على أدراج ، وهي كالبيت الصغير وبإزائها بيت يقال إنه مصلى الخضر عليه السلام ، فيبادر الناس للصلاة بهذين الموضعين المباركين ولاسيما المأوى المبارك ، وله باب حديد صغير يغلق دونه ، والمسجد يطيف به ، وله شوارع دائرة ، وفيها سقايّة لم أر أحسن منها ، قد سيق إليها الماء من علو وماؤها ينصب على شاذروان في الجدار متصل بحوض من رخام يقع الماء

فيه ، ولم ير أحسن من منظره ، وخلف ذلك مطاهر يجري الماء في كل بيت منها ، ويستدير بالجانب المتصل بجدار الشاذروان .

ثم يذكر ابن جبير أوقاف هذا المكان المقدس فيقول : وللربوة المباركة أوقاف كثيرة من بساتين وأرض بيضاء ورباع وهي معينة التقسيم لوظائفها ، فمنها ما هو معين برسم النفقة في الأدم [1] للبائتين فيها من الزوار ، ومنها ما هو للأكسيّة برسم التغطيّة ليلا ، ومنها ما هو معين للطعام إلى تقاسيم تستوفي جميع مؤنها ومؤن الأمين والراتب فيها برسم الإمامة والمؤذن الملتزم خدمتها ، ولهم على ذلك كله مرتب معلوم في كل شهر وهي خطة من أعظم الخطط .

ويصف جمال مناظرها فيقول : ويشرف الإنسان من هذه الربوة على جميع البساتين الغربيّة من البلد ولا إشراف كإشرافها حسنا وجمالا واتساع مسرح للأبصار .

وتحتها تلك الأنهار السبعة تتسرب وتسيح في الطرق الشتى ، فتحتار الأبصار في حسن اجتماعها وافتراقها ، واندفاع انصبابها ، وشرف موضع هذه الربوة ومجموع حسنها أعظم من انّ يحيط به وصف واصف في علو مدحه وشأنها في موضوعات الدنيا الشريفة خطير كبير . ويذكر البدري أنه كان بها سوقان ، وبها صيادو السمك يصطادون والقلايون على جبل النهر يقلون ، وكان يذبح في كل يوم خمسة عشر رأساً من الغنم خلاف ما يجيئها من المدينة ، وكان بها عشرة شرايحيّة ليس لهم شغل غير الطبخ والغرف في الزبادي والصحون ، وكل ما تشتهيه الأنفس .

وبها فرنان وثلاثة حوانيت لعمل الخبز التنوري .

وبها حمام ليس على وجه الأرض نظيره لكثرة مائه ونظافته (لعله الحمام الذي بناه أو الجيش خمارويه وقتل به وكان محله في محل المقهى الأول على يمين الذاهب إلى دمر بين نهري يزيد وثورى . ومن الممكن انّ يكون هذا المقهى تابعا

---

[1] - الأدم ما يؤكل مع الخبز أي شيء كان .

لقصر أبي الجيش المذكور) وللحمام المذكور شبابيك شرقيّة وشماليّة وقبليّة وعدة غرف .

وفي الربوة أيضاً سبعة مقاصف كل مقصف فيه من الثريات والمصابيح والغطاء والوطاء ما لا يحتاج له الوصف حتّى انّ بعض الناس يطلع عليها ليتنزه يوما فيقيم بها شهراً .

ويقول ابن طولون إنّ بها جامعاً بخطبة ، وأربعة مساجد ، ومدرسة يقال لها المنبجيّة موقوفة على مدرس حنفي وطلبة . وبها عدة أبنيّة جميلة تزيد تلك الجهة جمالا ورونقا .

ففي الجبل الغربي صومعتان مبيضتان تحت كل منها ضريح عرف بالعاشق والمعشوق .

وشماليهما برج قديم يُعرف بالعذول ، ولا شك انّ هذه التسميّة هي من قبل العوام ، وكان بعض الناس يقصد الربوة يوم السبت والثلاثاء ، وبعضهم يوم الأحد والأربعاء ، ويقال لهذين اليومين المحفل يخرج إلى الربوة فيهما الحلقيّة والمشعبذون ، والمخايليّة والحكويّة .

ومما تقدم يتضح مبلغ عنايّة الحكومات المتقدمة بهذه الأمكنة للنزهة وتخصيص الأموال والأوقاف الطائلة لها ، دليل قاطع على اعتنائهم بالاصطياف والمصايف واعتنائهم بصحة أهل دمشق وبكل ما يسرهم ويبهجهم .

ومما يلفت النظر انّ أسباب الاصطياف بها موفرة كاملة من كل جهة ، فيها جميع المآكل والمشارب .

وفيها أدوات النوم من فرش ولحف وغير ذلك وفي مقاصفها الثريات والمصابيح وغير ذلك ، وفيها أماكن للعبادة لمن يريد ، ومعاهد للعلم لمن يريد ، وأسباب التسليّة والترفيه عن النفس لمن يريد .

فهناك المساجد والمدارس وهناك المخايليّة (وهو المسمون في عصرنا بالكراكوزاتيّة ، وقد كانت التسليّة نائبة عن السينما) وهناك الحكويّة أيضاً الذين

يقصون على الناس السير الطريفة ، وهناك المشعبذون أيضاً وهم الذين يقومون بألعاب السيما .

وهناك أماكن للأغنياء المثرين ، وأماكن للفقراء المعوزين يجدون فيها كل ما يحتاجون إليه من أكل وشرب ونوم مجاني .

ومما يلفت النظر انّ جميع أنواع التسلي والتلهي بها لم يكن فيه شيء من الفحش والخنا ، وإنما كان مطبوعا بطابع ديني خلقي مبنيا على زيارة الأماكن المقدسة .

واشتهر بالانتساب إلى الربوة عدة علماء كعبد العزيز بن بركات الخشوعي ومحمد بن أبي طالب الأنصاري الجغرافي الشهير بشيخ الربوة مؤلف كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر . وقد جاء في مدحها ووصفها عدة قصائد وأبيات شعريّة ، نكتفي بالإشارة إليها و إلى أشهر مصدر لها ، وهو كتاب نزهة الأنام في محاسن الشّام لأبي البقاء البدري ، ولم يبق في الربوة اليوم من الآثار التي تدل على عمرانها القديم غير الكتابة الفاطميّة المتقدم ذكرها .

أربوتَنا حيّتك عنا السحائبُ فأنتِ لوجه الأرض عينٌ وحاجبُ
فأسَودُك الغِرْيد بالدُفّ مولعٌاً تبدتْ لنا بالجنكِ منه عجائبُ

قال ابن طولون سألني حيدر ابن جمال النصر أباذي عن منتزهات دمشق فقلت له : أعضمها الربوة وكان بها دكاكين لسمانين وبواردية وأقسماوي وقفّاعي وفرن وتنور وأربعة شرائحية وطباخ غير من يأتي أليها من البساتين ، وكان بها أربعة مساجد وجامع لخطبة ومدرسة يقال لها المنبجية ، موقوفة على مدرس حنفي وطلبته ، وكان بها مهدان شرقي نهر بردى على الأرض وغربيه ،يصعد ‘ليه بسلم حجر، وكان بها التخوت وهو قصر مرتفع على سن الجبل به قاعة لبوابة وطبقات على هيئة الأيوان ينضر الجالس هناك من مسافة يوم ، لو لم يكن حائل ، وبه مأذنة ومسجد وميضاة وتحته نهر ثورى وفوقه نهر يزيد ، ويصعد إليه منسلم حجر بناه

نور الدين الشهيد للفقراء فإن الأغنياء لهم قصور ، وكان بها حمام وخمسة مقاصف ،إثنان شرقي تهر بردى ، وثلاثة غربيه ، وفي كل واحد منها بيت للمقاصفي وعنده فرش للمتنزهة .

وكانت هذه الربوة تقصد بالزيارة ، ثم تغير أمرها وصاريقع بها المنكر وتقصدها الناس يوم السبت والأحد دائماً ،وبعض الناس يوم الثلاثاء والأربعاء ويقال لهما المحفل تطلع إليها فيهما الحلقية والمشعبذون والمخايلية –وهم اللاعبون بخيال الضل– والحكوية ، وهذا في أيام الصيف وأما في الشتاء فلها ناس تسمى المجاورين ،ومع ذلك كلّه لا تخلو من الصلاة جماعة في المساجد وغيرها ثم خرّبت ثم عمرت ، وهكذا مراراً .

ذكر الشاعر الشهير سليم بك عنحوري أحد أعيان أفاضل دمشق وصف الربوة ومنتزهاتها فقال : إنها مغارة لطيفة بسفح الجبل الغربي سميت ربوة لأنها تشرف على غوطة دمشق ومياهها، ثم قال : وهنالك حمام ليس له على وجه الأرض نضيره لكثرة مائه ، وقد جدد نور الدين الشهيد هنالك المسجد الدليمي وقاعة كبرى سماه قصر الفقراء يضاهي به قصور الأغنياء وعزّ عليه أن يحترموا الفقراء مثلهم في الحياة فعمر هذا القصر وأوقف له أوقافاً منها قرية دارية وفي ذلك يقول تاج الدين الكندي :

إن نور الدين لما أن رأى في البساتين قصور الأغنياء
عمر الربوة قصراً شاهقاً نزهة مطلقة للفقراء

وقد أحدث بعض أغنياء دمشق في عصرنا هذا قصوراً عالية جميلة .

وقال صلاح الدين الصفدي صاحب التذكرة :

إنهض إلى الربوة مستمتعاً تجد من اللذات ما يكفي
فالطير قد غنّى على عوده في الروض بين الحبك والدف

ومن محاسن الشام حواكر الآس وهي من منتزهات دمشق ، قال هي كالحدائق في سفح جبل قاسيون ، فإن الفاصل بينه وبين جبل الربوة عقبة قرية دمّر إحدى منتزهات الفيحاء التي تحدّ قبة السيار.

النيـرب :

محلة كانت عامرة آهلة بالسكان تلي الربوة من جهة دمشق ، والنيرب كلمة سريانيّة معناها الوادي ولكن يراد بها سفح قاسيون مما يلي الربوة ، ويقال أيضاً النيربان : يعني بهما النيرب الأعلى وهو الذي بين نهري يزيد وثورى ، والنيرب الأسفل هو ما بين ثورا و بردى . والنيربان موضعان متجاوران في دمشق أو قل موضع مؤلف من جزأين ، يقع غربي الصّالحية ، على امتداد منحدر جبل قاسيون في موضع حيّي المالكي وأبي رمانة ، ويمتد حتّى الربوة [1] في هذا الموضع منتزه واسع فسيح متصل ، أو مجموعة منتزهات متجاورة متقاربة تعد من أجمل ما أحاط بدمشق من أماكن نزهة .

ويصف ياقوت (النيرب) فيقول : قريّة مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين أنزه مكان رأيته . ويقول البدري : إنها أعظم المحلات ، وأخضرها وأنضرها ، حسنة الأثمار كثيرة الأزهار ، وبها سويقة وحمام يقال له حمام الزمرد وجامع بخطبة ، وهي مسكن الرؤساء والأعيان ، وبها دار قاضي القضاة نجم الدين يحيى بن حجي .

حيّـــا دِمشـــــقَ فَمـــــا أرقَّ نَسِـــــيمَها حَمَـــلَتْ علـــى الكَـــرمِ الطّبـــاعَ فأثـــرَّا

[1] - انظر معجم دمشق التاريخي / د . قتيبة الشهابي ٢ / ٥٨ .

وسَـــقَى ريـــاضَ النيـــربين فكَـــمْ بهـــا بمنَـــى قَضَيـــنا مِنْـــه حـــظاً أوفـــرا
نَـــغدو فـــنَهصُرُ للتـــآلف بَينَنـــا غُصـــناً ورد بالصـــفاء و أثمـــرا
والرَّبـــرَبِ الإنســـيُّ يـــنشرِعطفَه ويُميـــتُ فـــي الأجفـــانِ طَرْفـــاً أحْـــوَرا

وجاء في ترجمة أمين الدين ابن أبي العيش الأنصاري المتوفى سنة (٧٣٤ هـ) أنه صار ناظرا على هذا المسجد ووقفه ، وأنه أوقف فيه ميعاد حديث قبل الجمعة .

وقد زار النيرب الرحَّالتان : ابن جبير الأندلسي وابن بطوطة المغربي فقالا عنه : إنها قريّة كبيرة غطتها البساتين فلا يظهر منها إلا ما سما بناؤه ، وبها جامع لم ير أحسن منه مفروش سطحه كله بفصوص الرخام الملون فيخيل لناظره أنه ديباج مبسوط .

وفي (كتاب تنبيه الطلاب) انّ هذا المسجد خرب وبطلت الصلوات فيه عدة سنين ثم أخذت آلاته إلى عمارة الجامع والتكيّة التي أمر بإنشائها السلطان سليمان مكان قصر الملك الظاهر سنة (٩٦٥ هـ) .

وحدّث في النيرب جماعة من المحدثين جمع ابن طولون تحديثهم في جزء ، ونسج حول النيرب أيضاً أساطير دينيّة فقيل انّ في مسجده قبر حنة أم مريم جدة المسيح وأن المسيح عليه السلام أوى لهذا المسجد وأن الخضر ينتاب هذا المسجد دائما .

واشتهر النيرب باستشهاد الحلحولي والفندلاوي فيه حينما حاصرت جيوش الصليبيين دمشق سنة (٥٤٣ هـ) ففي أول يوم من مجيء الإفرنج خرج جماعة من المسلمين لقتالهم وفي مقدمتهم الشيخ عبد الرحمن الحلحولي والشيخ أبو الحجاج يوسف بن درباس الفندلاوي ، فقال له حاكم دمشق معين الدين : يا شيخ انّ الله قد عذرك ليس لك قوة على القتال أنا أكفيك .

فقال الفندلاوي : قد بعت واشترى لا أقيله ولا أستقيله . ثم قرأ ((انّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون

وعداً ً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .)) .

ثم مضى نحو الربوة فالتقى بالإفرنج في النيرب فاستشهد هو والحلحولي في يوم واحد .

ولا يزال اسم النيرب معروفاً مشهوراً حتّى عصرنا هذا ولم يبق فيه من الآثار إلا أساس قبة ومنارة في بستان يسمى بستان المئذنة تبلغ أبعاد القبة خمسة أمتار في مثلها تقريبا ، وقد بقي منها حائطاها الشمالي والغربي أما القبلي والشرقي فمهدومان وقد نبت في زاويتها الشرقيّة القبليّة شجرة تين وشرقي القبة بقيّة منارة تبعد عن القبة نحو خمسة عشر مترا تقريبا ، وللقبة شباكان أحدهما غربي القبة والأخر شمالي وأمام الشباك الشمالي عتبة عليا ملقاة على الأرض نقش عليها بعبارة ملحونة ما يلي : (هذه تربة العبد الفقير إلى الله تعالى عبيد الفقراء أبو المحاسن يوسف ابن أبي نصر ابن أبو الفرج ابن السفاري رحمه الله وتقبل منه مما أوقفه بشرط كتاب الوقف على هذه التربة والخانكاه التي لزيق هذه التربة الجنينة التي لزيقهم وما فيها من عميرة وعيره ، وأربع دكاكين التي لزيق الجنينة ، وثلث طاحون الصابونيّة ، وخمس قريط والقاعة والثلاث حجر داخل دمشق بمحلة حارة البلاطة وما يشرى من ملك وقفا على التربة والخانقاه المذكورة برسم مصالحة والمقيمين بها وحرام على من ينزل في) وهنا تنتهي الكتابة وباقيها على عتبة أخرى مثل هذه العتبة ولكنها مفقودة . وقد ترجم ابن العماد في شذرات الذهب بانيها في وفيات سنة (٦٩٩ هـ) فقال : فيها ابن السفاري أمير الحاج يوسف بن أبي الفرج الدمشقي حدث بالصحيح مرات وروى عن الناصح والإربلي وجماعة ، وحج مرات ، توفي في زمن التتار ووضع في تابوت فلم أمن الناس نقل إلى النيرب ودفن في قبته التي بالخانقاه وله نحو من سبعين سنة . و إذا كان البدري المتوفى آخر القرن التاسع الهجري يشيد بذكر الربوة والنيرب فإننا نرى العلموي الذي كان يعيش في منتصف القرن العاشر يقول عند ذكر جامع النيرب رحم الله من كان في ذلك الزمن . وهذا الزمان الآن

يكاد انّ لا يُعرف (يريد مسجد النيرب) . و إذا كان الإنسان فيه وقت الظهر ربما تشلّح ثيابه وتؤخذ أسبابه ، وذلك من ظلمة الوقت . وقد أكثر الشعراء من مدح النيرب ووصفه ، فيقول أحمد بن الحسين المعروف بابن خراسان :

جزى الله عنا النيرب الفرد صالحاً لقد جمع المعنى الذي يذهب الفكرا
خرجنا على أنا نقيم ثلاثة فطاب لنا حتى أقمنا به عشرا

ولابن لؤلؤ الذهبي :

رعى الله وادي النيربين فإنني قطعت به يوماً لذيذاً من العمر
درى أنني قد جبته متنزها فمدّ لأقدامي ثياباً من الزهر

وله أيضاً ً :

ويوم لنا بالنيربين رقيقة حواشيه خال من رقيب يشينه
وقفنا وسلمنا على الدوح بكرةً فردت علينا بالرؤوس غصونه

أرزة :

محلة مكانها اليوم حيّ الشهداء في طريق الصّالحية ، يقول ابن طولون في ضرب الحوطة : هي قريّة أدركت بعض البيوت بها ، وبها الآن بيت بجنينة وأدركت جامعها ، بمئذنته صومعة عند قبور الشهداء .

وفي تاريخ الصّالحية له : مئذنة عبد الحق عند قبور الشهداء بدرب الجسر الأبيض مبنيّة بأجر كبار ورأسها على هيئة صومعة وقد وقعت في أيامنا ، ويقول في بهجة الأنام :

سُئلت عن قبور الشهداء في طريق الصّالحية عن يمينك وأنت نازل من طريق الصّالحية ، فقلت لا أعلم خبرهم . ولكن المحدث جمال الدين عبد الواحد ، أحد أشياخنا ، ذكر أنهم ثلاثة إخوة من الصحابة قتلوا في فتح دمشق ودفنوا ثمة ، وأنه عمر عندهم مسجد شيخنا الشيخ محمد بن قديدار . من أصحاب أبي بكر الموصلي واشتهر بالصلاح ، حتّى انّ تيمور لما قدم دمشق بعث من حماة وأمنه ومن معه فلم يصبهم مكروه .

بيت أبيات :

وهي قريّة في سفح جبل قاسيون ، مكانها اليوم في محلة طاحونة الأشنان أسفل حيّ الأكراد . سكنها جماعة من العلماء والمحدثين ، وممن سكنها وتوفي فيها مؤرخ الشّام الجليل أبو شامة مؤلف كتاب الروضتين وذيله ، ولهذه القريّة أسطورة دينيّة أيضاً هي أنها كانت مسكن آدم أبي البشر ، ولما أنشئت الصّالحية في سفح قاسيون عام (٥٥٤ هـ) صارت بيت أبيات تدعى بالصالحيّة العتيقة ، وقد اضمحل أمرها في القرن العاشر الهجري فيقول ابن طولون : إنه لم يبق في عصره من هذه القريّة غير مسجدها والطاحون .

مقرى :

هي في الأصل اسم لمخلاف من مخاليف اليمن نزل أهله في سفح قاسيون وسموا تلك الجهة باسم مخلافهم ، كانت بين نهري يزيد وثورى أسفل حيّ الأكراد تبعد عن طاحون الأشنان إلى جهة الشرق نصف كيلو متر ، سكنها كثير من العلماء والمحدثين ، وكانت إحدى الطرق التي تؤدي إلى جبل قاسيون ، لأن طرق هذا الجبل قديماً كانت من جهة الشرق ، فكان يذهب إليه من المنافذ التي شرقي شارع بغداد ، ومن بيت (لهيا) التي حلّ محلّها اليوم حيّ القصاع وفي مقرى يقول البحتري :

أما كان في يوم الثنيّة منظر ومستمع ينبي عن البطشة الكبرى
وعطف أبي الجيش الجواد بكرة مدافعه عن دير مُرّان أو مقرى

فقصر أبي الجيش خمارويه كان في (دير مُرّان) غربي الجبل ، و (مقرى) هي قريّة شرقي الجبل ، كان يتوصل منها إلى الجبل ، ثم يسير الإنسان في سفحه حتّى يصل إلى دير مُرّان في جهة الغرب ، فلذلك ذكر البحتري انّ خمارويه يدافع عنها لكونها الطريق الموصل إلى دير مُرّان مقر الأمير ، وكانت مقرى تعد من منتزهات دمشق ، وفيها يقول الشاعر ابن عنين ، يتشوق إليها حينما كان منفيا عن الشّام :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة وظلك يا (مقرى) عليّ ظليل
(دمشق) فلي شوق إليها مبرح وإن لج واش أو ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق وصح نسيم الروض وهو عليل

وبقيت عامرة إلى منتصف القرن العاشر الهجري حيث اندثرت بكاملها فإن ابن طولون الذي كان يعيش في منتصف هذا القرن يقول عن نفسه : أدركت فيها السبع قاعات ثم يقول : والآن باق بها مسجد ومئذنة عند طاحونها على نهر ثورا .
أما في عصرنا هذا فلم بيق في تلك الجهة إلا طاحون يدعونها سكان البساتين بطاحون (مُقري) .

الميطور :

وهي قريّة أيضاً كانت بسفح قاسيون تحت حيّ الأكراد شرق قريّة مقرى وفي جوارها ، وكانت قديماً مزرعة لسليمان بن عبد الملك ، وكان أول من غرس فيها غرسا وزرع فيها كثيراً من الفستق والبندق والتين وغيرها ، ومحل الميطور اليوم أسفل المدرسة الركنيّة التي في حيّ الأكراد ، وهناك بستان يحفظ هذا الاسم مُصَحفاً حتّى اليوم يقال له (بستان المنطور) .
وهذه القريّة هي الميطور الغربي .
وهناك ميطور آخر شرقي كان محله فوق جسر ثورا وتحت القابون الأسفل ، وقد أنشئ في الميطور الغربي وفي جواره عدة مدارس ولكنها خربت كلها في القرن العاشر حينما اختل الأمن في ربوع الشّام .
فمما أنشئ فيها المدرسة الميطوريّة التي سميت باسم تلك الجهة ، بنتها الست فاطمة خاتون بنت السلار في سنة تسع وعشرين وستمائة .
والمدرسة العَلميّة : هي غربي الميطور أنشأها الأمير علم الدين سنجر المعظمي في سنة ثمان وعشرين وستمائة ، والمدرسة الأمديّة التي كانت في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة موجودة ، شاهدها بعضهم عامرة وعلى بابها طواشيّة .
وفي الميطور يقول عرقلة بن جابر الشاعر الدمشقي :

وكم بين أكناف الثغور متيم كئيب غزته أعين وثغور
وكم ليلة بالماطرون قطعتها ويوم إلى الميطور وهو مطير

هذه الأماكن والقرى والمنتزهات التي كانت موجودة في سفح قاسيون قبل انّ تؤسس الصّالحية ، ولا شك انّ إنشاء الصّالحية زاد في عمُران هذه الأماكن وازدهارها حتّى أصبح جبل قاسيون يدعى بجبل الصّالحية ، وأصبحت تلك الأماكن جميعا تعد جزءا من الصّالحية ، ويرجع الفضل في إنشاء الصّالحية إلى بني قدامة المقدسيين الذين نزلوها في عصر نور الدين محمود بن زنكي ثم إلى الملوك الأيوبيين الذين أنشؤوا فيها المصانع الجميلة ، والمعاهد الثقافيّة والعلميّة والخيريّة . ونظراً لسعة الكلام في هذا الموضوع ، فإننا سنتكلم عليه بأبحاث خاصة تحت عنوان (الصّالحية) بعد انّ أنهينا الكلام عن هذا الجبل قبل انّ تؤسس الصّالحية .

الصالحية

أجمل قسم من أقسام دمشق وأجود ناحيّة من نواحيها ، اتخذت أجمل شكل من أشكال المدينة ، واعتبرته محافظة مدينة دمشق في طليعة أقسام البلدة ، وقد أدرك سكان دمشق قيمة هذه المنطقة ، فأخذوا يتسللون إليها أفرادا وجماعات حتّى أصبحت سيدة مدينة دمشق بناءً وتنظيما وقيمة .

في هذه المنطقة الممتازة ، وقبل ثمانمائة عام مضت وأكثر ، قامت فيها حضارة رائعة ، كتبها التاريخ بإكبار وإعجاب ، إذ أنشئ في هذه الناحيّة عشرات من المعاهد والمدارس ، أخرجت فحولا من العلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين ، فكان للصالحيّة

ذكرٌ وأي ذكر ، فهناك المدارس العظيمة ، والمكتبات الفخمة ، والأبنيّة الرائعة ، والعلماء الكبار .

الصالحيّة جنّة والصالحون بها أقاموا

فعلى الديار وأهلها مني التحيّة والسلام

ويعد حيّ الصّالحية بمدينة دمشق من أقدم أحياء العاصمة السوريّة ومن أغناها بالمعالم الأثريّة والشواهد الجميلة على فن العمارة الإسلاميّة الراقيّة بين مساجد ومدارس وبيمارستانات إضافة إلى الحارات الشعبيّة والأسواق الحافلة بأنواع المصنوعات الدمشقيّة العريقة ، حيث يتوافد الزوار من أبناء المدينة ومن السياح العرب لزيارة الأبنيّة التراثيّة ، والتعرف إلى تاريخ مشرق بالعلم والمعرفة والإبداع الحضاري . وبدئ منذ منتصف القرن السادس الهجري / ١٢ ميلادي / بإعمار جبل قاسيون وإقامة مدينة مستقلة عليه ، دعيت (الصّالحية) ، وأول من سكن بها المهاجرون المقادسة الذين نزحوا إلى دمشق إثر كارثة فلسطين وسقوط القدس الشريف بيد الصليبيين في عام (٤٩٢هج / ١٠٩٨م) . بدأوا أولا بإشادة ما يشبه المعسكر ، دعي بدير الحنابلة ، وذلك في أيام نور الدين زنكي . ثم شيّدت المدرسة العمريّة إلى جواره ، وكانت المنطقة في ذلك الوقت غير مسكونة ، تضم بعض المزارات و آثار دير قديم يُعرف بدير الرهبان أو دير الحوراني ، أقام عنده المقادسة مساكنهم فسمي بدير الحنابلة (على مذهب الإمام أبي حنبل) .

وساعد السلطان نور الدين وقتئذ حركة الإعمار ، وكان على صلة مع زعيم المقادسة الشيخ أحمد من بني قدامة وابنه محمد المشهور بأبي عمر الذي ينسب إليه المدرسة العمريّة . روى العمري عنه في مسالك الأبصار قوله : انّ السلطان نور الدين كان يزور والدي في المدرسة الصغيرة المجاورة للدير التي بناها مع المصنع والفرن ، ومسجد صغير يُعرف بالعتيق[١] .

[١] - تهدم في عام ٦٨٠ هـ إثر سقوط مئذنة المدرسة الواقعة إلى الشرق منه يفصل بينهما زقاق يحوي باب العمريّة الرئيسي .

لكن حركة الإعمار الواسعة قامت في العهد الأيوبي وكثرت المساكن مما دفع الشيخ أبو عمر إلى إشادة (جامع الحنابلة) كأول جامع في الصّالحية ، وإشادة المدرسة العمريّة كأول مدرسة فيها أيضاً .

وزادت حركة الإعمار وتطورت الصّالحية وامتدت شرقاً وغرباً حتّى غدت مدينة تعج بالأسواق والخانات والمساجد والحمامات والبيمارستانات ، وحصلت الصّالحية على بيمارستان خاص بها هو البيمارستان القيمري ، على غرار البيمارستان النوري الخاص بالمدينة المركزيّة .

وكان للصالحيّة في القرن الثامن الهجري ، كما ذكر ابن كثير ، والٍ يتبع نائب السلطنة في دمشق ، وكانت كما وصفها ابن بطوطة ، مدينة عظيمة لها أسواق لا نظير لحسنها ، وفيها مسجد جامع ومارستان ، وبها مدرسة تُعرف بمدرسة أبي عمر ، وأهلها على مذهب ابن حنبل .

وأنشأ السلطان العثماني سليم الأول ضريحا هاماً ومسجداً على قبر الشيخ محي الدين بن عربي عام (٩٢٢هج / ١٥١٦م) كما أنشأ مقابلَه تكيّة كمطعم للفقراء ، وقد زودت هذه المنشآت بالماء من نهر يزيد بواسطة ناعورة أقيمت عليه وسنفرد لها بحثاً خاصاً .

أما في القرن العاشر الهجري ، فإنها أصبحت تحتوي ، كما يقول ابن عبد الهادي في كتابه ثمار المقاصد في تاريخ المساجد ، على خمسمائة مسجد وعدة جوامع ، ونحو مئة مدرسة و عشر مآذن ، وعشرة خانات ، وعشرين حماماً وعدة أسواق .

أهم المنشآت الأثريّة في الصّالحية :

المـدارس[1]

قام المسجد في العصور الإسلاميّة الأولى بدور المدرسة لمختلف العلوم الدينيّة والدنيويّة ، ولكن مع انتشار الدعوة الإسلاميّة وازدياد عدد المسلمين بدأ التفكير بإنشاء المباني المخصصة بعد انّ ضاق المسجد عن تأديّة جميع الآغراض المنوطة به ، لا سيما بعد انّ تعددت فروع المعرفة وظهور التخصص في الدراسة ، لذلك أنشئت المباني المستقلة عن المسجد من قبل السلاطين والأمراء فكانت المدارس الإسلاميّة التي تحمل صفات معماريّة متميزة تتناسب مع الهدف الذي أنشئت من أجله .

وفي سوريّة فيرجع الفضل في ذلك إلى السطان نور الدين محمود زنكي الذي بنى المدرسة النوريّة وهي المدرسة الأولى في دمشق عام (٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م) التي نسبت إليه .

وقد استمر بناء المدارس بعد ذلك في العصور التاليّة وعدد النعيمي ما يقارب من (١٠٠) مدرسة في دمشق في مطلع القرن العاشر . وتسابق الخلفاء والامراء لبناء المدارس ورصد الأوقاف الواسعة لخدمتها .

والمدرسة السوريّة كمنشأة معماريّة على اختلاف أشكالها يبقى تخطيطها متقارباً . فهي تتألف من قاعات للتدريس وحجرات للأساتذة والطلاب ومصلى وميضآت . وقد تتضمن مدفناً مقبباً لمنشئ المدرسة . كما تتضمن إيواناً للتدريس صيفاً

---

[1] - المراجع :
الدارس للنعيمي / القلائد الجوهريّة لابن طولون / مفاكهة الخلان لابن طولون / منادمة الأطلال لبدران / خطط دمشق للعلبي / المروج السندسيّة لابن كنان / الاعلاق الخطيرة لابن شداد / مختصر تنبيه الطالب للعلموي /

- **المدرسة العمريّة** : ولقد سبق ذكرها .

- **المدرسة الصاحبيّة** : أنشأتها أخت السلطان صلاح الدين ، ربيعة خاتون ، وتلقب بالصاحبة توفيت سنة (٦٤٣ هـ) وفيها تربة دفنت فيها مؤسسة المدرسة ، تقع إلى الغرب من المدرسة الركنيّة .

- **المدرسة المارديانيّة :**

تقع في حيّ الصّالحية الجسر الأبيض بدمشق ، ولا يزال البناء يحافظ على وضعه الأيوبي الأصيل ، انشأتها عزيزة الدين خاتون بنت الملك قطب الدين صاحب ماردين وهي زوجة السلطان الملك المعظم عيسى . وذلك عام (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) ، وأوقفتها سنة (٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م) ، ولم تدفن في وقفها ، ودفن فيها أحد أمراء المماليك اسنبك بن اذمر عام (٨١٦ هـ / ١٤١٣ م)

بنيت واجهات المدرسة بالحجارة ، وتقوم المئذنة المربعة فوق الواجهة الغربيّة على طرفها الشمالي . صحن المدرسة صغير ، مربع الشكل ، تتوسطه برمة ماء مربعة . الحرم مستطيل ، جدرانه من الحجر المنحوت ، سقف الحرم شكله هرميّ مصنوع من الخشب .

تقوم التربة في القسم الجنوبي الشرقي من المدرسة ، تعلوها قبة مؤلفة من مضلعين ، الاول مثمن ، والثاني ينألف من ستة عشر ضلعاً .

تحولت المدرسة إلى مسجد تقام فيه الصلوات ، ويقام حاليا مشروع توسيعه من الجهة الشرقيّة .

- **المدرسة الأتابكيّة :**

كانت في جادة المدارس من حيّ الصّالحية أوقفتها في العهد الأيوبي تركان خاتون ، زوجة الملك الأشرف موسى بن العادل أبي بكر سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) ودفنت في المدرسة ولعل تسميتها نسبة إلى منشئتها باعتبارها من الأتابكة ، أو إلى شقيقها (ارسلان أتابك) ، أو إلى والدها الملك عز الدين مسعود بن زنكي

وهو من الأتابكة أيضاً ، تحولت المدرسة إلى مسجد فيه تربة الواقفة ، وتعرف أيضاً بمسجد الأتابكيّة (وعلى ألسنة العامة : التابتيّة أو التابكيّة أو التابنيّة) ، وبمسجد تربة خاتون . وبمسجد خاتون .

- المدرسة الأشرفيّة البرانيّة :

تقع جوار المدرسة الأتابكيّة من جهة الغرب (بين المدارس) أنشأها الملك الأشرف موسى في حدود (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م) ، تغيرت معالمها ولم يبق منها سوى الواجهة .

- المدرسة المرشديّة :

تقع بجوار الأشرفيّة المتقدم ذكرها و إلى الغرب منها ، وتضم مسجدا ومئذنة وتربة دفنت فيها ابنة الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر ، التي أنشأت المدرسة وكانت وفاتها سنة (٩٥٤ هـ / ١٢٥٦م) .

- المدرسة اليغموريه :

في محلة العفيف إلى جوار التربة الكجكريّة ، أنشأها نائب الشّام جمال الدين يغمور في حدود سنة (٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) .

- المدرسة (الصّالحية) :

هي تربة أم الملك الصالح ، غربي الطيبة والجوهريّة الحنفيّة ، وقبلي الشاميّة الجوانيّة إلى الشرق ، وقد وقفتُ على محل رسومها فخفيت ! وناديت أطلالها فلم تجب إلا بقول الصلاح الصفدي مخاطبة لبانيها !

تحكمت بعدكم أيدي النوى فينا وقد أقامت بنادينا تنادينا
وجرعتنا كؤوس الحزن مترعة مزاجها كان زقوما وغسلينا
وقد أناخت بنا من بعدكم محن عدت علينا بما يرضي أعادينا

أوقفها الصالح أبو الحسن إسماعيل ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر . قال ابن كثير في تاريخه : وكان ملكاً عادلاً ، عاقلاً حازماً ، تقلبت به الأحوال أطوارا كثيرة ، وقد كان الملك الأشرف موسى أوصى له بدمشق بعده .

- المدرسة (الإسعرديّة) :

وهي دار القرآن الإسعرديّة ، كانت في الجسر الأبيض شمال جامع المارداني‌ّة ، وهي تفصل بين طريق المهاجرين وطريق الصالحية، أنشأها في العهد المملوكي الخواجا إبراهيم الإسعردي سنة (٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م) { وفي بعض المصادر (٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) } وهدمت سنة (١٣٣٨ هـ / ١٩١٩ م) . وحول هدمها ذكر الأستاذ دهمان في حاشيته على القلائد الجوهريّة بقوله : (لما دخل الملك (الأمير) فيصل دمشق في (٣ تشرين الأول (١٩١٩) (الصواب ١٩١٨ م) نزل في دار غربي المدرسة ويفصل بينهما الطريق (جادة العفيف) فهدمت دائرة الأوقاف هذه المدرسة سنة (١٣٣٨ هـ / ١٩١٩- ١٩٢٠ م) لتنشئ مكانها مسجداً خاصاً بالملك ، ثم حال احتلال القوات الفرنسيّة لدمشق دون بقاء الملك فيها ، فحولتها دائرة الأوقاف إلى عقارات) . وتعرف أيضاً بالمدرسة الإبراهميّة ، وبمدرسة إبراهيم الإسعردي وبالإسعرديّة . وبدار القرآن الإسعرديّة ، وبمدرسة الخواجا إبراهيم ، (وردت في مفاكهة الخلان : المدرسة الاسعديّة وأعتقد بأنها مصحّفة

المدرسة الاستداريّة :

كانت من مدارس الصّالحية ، عند التربة الاستداريّة ، بجوار تربة ابن نميرك .

المدرسة الأمديّة : كانت من مدارس الصّالحية ، بمحلة الصّالحية العتيقة ، بجوار الميطور من جهة الغرب ، (حول محلة جسر النحاس ومجاراته اليوم) ولا شيء ثابت حول واقفها ولا تاريخ اقامتها ، ولعله عفيف الدين اسحق بن يحي لأمدي

؟ويميل العلبي إلى الظن بأنها أقيمت حوالي سنة (٧٢٠هـ / ١٣٢٠ م) من العهد المملوكي .

– المدرسة البهائيّة :

في جادة السكة و بطرف حيّ الصّالحية من جهة الغرب ، عند التربة البهائيّة ، قرب المدرسة اليغموريّة ، تنسب إلى بهاء الدين محمود بن سليمان بن فهد الحلبي كاتب السر وعلاّمة الادب ولا تتوفر عنها معلومات أخرى .

– المدرسة البهنسيّة :

هي بجبل الصّالحية عند التربة البهنسيّة في سفح قاسيون أنشأها الوزير مجد الدين البهنسي وزير الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن ايوب سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣١) من العهد الأيوبي ، وكانت خرابا في عصر ابن طولون ، وكأني بها وهي تنشد قول القائل :

بالقضاء البليغ كنا فعشنا ثم زلنا وكل خلق يزول

ويقال أنشأها الوزير مجد الدين الحارث بن المهلب ، وكان يُعرف بأبي الأشبال ، أو ابن الأشبال .

ترجمه الأسدي فقال فيه : هو العالم النحوي مهذب الدين .

– المدرسة الجديدة :

لايزال بناؤها قائماً ،في الصالحية لصيق المدرسة العمريّة القديمة . وبينهما باب صغير موصل على مقربة من النهر (نهر يزيد) وبها بير سمّي بسمها ، وهي اضافة جديدة للمدرسة العمريّة الكبرى لتوسيعها .

المدرسة الجماليّة :

كانت في أرض السكة ، غربي الصّالحية ، أنشأها في العهد الأيوبي جمال الدين يوسف بن بهاء الدين سنة (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) ولا علاقة لها بالتربة الجماليّة الاسنائيّة القوصيّة .

- المدرسة الجهاركسيّة :

لا يزال مبناها في الصّالحية ، بجادة المدارس ، انشأها في العهد الأيوبي الأمير صارم الدين خطلبا .لأستاذه الامير فخر الدين جركس أو جهاركس الصلاصي سنة (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) فنسبت إليه . وتعرف أيضاً بالمدرسة الجاركسيّة ، وبالمدرسة الجركسيّة ، وبالمدرسة الشركسيّة وجهاركس لفظة أعجميّة تعني أربعة أنفس ، وقيل أربعة قبائل . وتوفي فخر الدين شركس ودفن فيها سنة (٦٠٨ هـ) على حافة الطريق إلى الكهف .

- المدرسة الحاجبيّة :

كانت في الصّالحية بين جامعي الشيخ محي الدين والشيخ عبد الغني النابلسي ، إلى يمين الصاعد لسوق الجمعة ، انشأها في العهد المملوكي الأمير الحاجب محمد بن مبارك شاه الدمشقي سنة (٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ – ١٤٦٦ م) وفي موضعها اليوم جامع الحاجبيّة . وتعرف أيضاً بالخانقاه الحاجبيّة والمدرسة الحاجبيه والاخيرة مصحفة وصوابها الحاجبيّة .

-المدرسة الحيلانيّة الدوباجيّة :

كانت من مدارس الصّالحية شرقي الحنابلة وغربي الحاجبيّة ، تنسب لواقفها دوباج سلطان (حيلان) ولا تتوفر عنها معلومات أخرى .

- المدرسة الدمامينيّة :

كانت في الصّالحية إلى الشمال الغربي من المدرسة الجهاركسيّة ، وعندها التربة الدماميّنيّة ، ولا تتوفر عنها أيّة معلومات اخرى .

المدرسة الركنيّة البرانيّة : لا يزال بناؤها قائماً في ساحة شمدين ، بآخر طلعة ركن الدين اليوم . انشأها في العهد الأيوبي الأمير ركن الدين منكورس الفلكي سنة (٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م) ، وتعرف اليوم بجامع الركنيّة ، وفيه التربة الركنيّة وقبر ركن الدين المذكور وعلى ألسنة العامة قبر سيدي ركن الدين ، كما تعرف بمسجد الركنيّة .

– المدرسة الزاهريّة :

كانت في الصّالحية إلى الشرق من المدرسة العمريّة ، على حافة نهر يزيد ، أنشأها في العهد المملوكي الأمير الزاهر المتوفى سنة (٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م) والمدفون في تربة ابيه في قاسيون (ولعله ابن الملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص المتوفى في العهد المملوكي سنة (٦٩٢ هـ) والمدفون في تربته التي كانت في الصّالحية . شرقي المدرسة العمريّة الكبرى على حافة نهر يزيد) . ولم يذكر هذه المدرسة سوى ابن كنّان الصالحي .

– المدرسة الشبليّة البرانيّة :

لا يزال قبر منشئها قائماً في محلة الشبليّة . شمالي جسر كحيل المعروف بجسر الشبليّة (إلى يسارالقادم في الجسر الأبيض نحو الشرق ، عند دوار الميسات اليوم) أنشأها في العهد الأيوبي شبل الدولة كافور الحسامي المعظمي المتوفى سنه (٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م) والمدفون فيها ، ولم تذكر المصادر التاريخيّة تاريخ بنائها ، وتوهم ابن شداد أنها بنيت سنة (٦٢٦ هـ) (أي بعد وفاة منشئها بثلاث سنين) وتعرف أيضاً بالمدرسة الشبليّة البرانيّة الحساميّة ، وبالمدرسة الشبليّة الحساميّة .

- التربة الشيرازيّة :

كانت في مدارس الصّالحية ، بحارة الركنيّة (حارة المدرسة الركنيّة البرانيّة) إلى الشرق من المدرسة الصاحبة ، ومنها مسجد الشيرازي ، ولا تتوفر عنها معلومات أخرى .

- مدرسة الصاحبة :

لا يزال مبناها قائماً في حيّ الصّالحية ، بحارة رأس العليّة ، إلى الجنوب الغربي من المدرسة الركنيّة البرانيّة ، أنشأتها في العهد الأيوبي (ربيعة خاتون) أخت ست الشّام وبنت أيوب وأخت السلطان صلاح الدين الأيوبي وزوجة الأمير مظفر الدين كوكبوري (الذي أسهم في بناء جامع الحنابلة وعُرف بجامع المظفري نسبة إليه) وتم بناؤها سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م) وقداماتها للناصح الحلنبلي وتعرف أيضاً بالمدرسة الصاحبيّة ، وبمسجد الصاحبيّة . وبمسجد الصاحبة .

- المدرسة الصصريّة :

وكانت من مدارس الصّالحية ، عند مدرسة الركنيّة البرانيّة والتربة الصصريّة ، ولا تتوفر عنها معلومات أخرى .

- المدرسة الضيائيّة الكبرى : كانت من مدارس الصّالحية ، شرقي جامع الحنابلة أنشأها في العهد الأيوبي الفقيه ضياء الدين محمد ، أبوعبد الله بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي الحافظ ، وذلك سنة (٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م) وتحول بناؤها إلى دار تستغل لصالح جامع الحنابلة . وتعرف أيضاً بدار الحديث الضيائيّة المحمديّة ، وبدار السنة ، وبالضلاعيّة ، وبالمدرسة الضيائيّة المحمديّة .

- المدرسة الضيائيّة المحاسنيّة :

كانت من مدارس الصّالحية و قبالة الباب الشرقي لجامع الحنابلة ، أنشأها في العهد الأيوبي ضياء الدين محاسن حوالي سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) وهي غير المدرسة الضيائيّة الكبرى .

- مدرسة العالمة :

لا يزال بناؤها قائما في رأس جادة العفيف ، بطريق السكة (شارع الرشيد اليوم) إلى الشرق من جامع الأفرم ، والغرب المجاور للتربة الكجكنيّة ، أنشأتها في العهد الأيوبي العالمة أمَة اللطيف بنت الشيخ الناصح الحنبلي سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) استناداً للنص المنقوش داخلها ، وعلى بابها لوحة مؤرخة تحمل اسم المدرسة (اليغموريّة) وهذا خطأ لأن اليغموريّة كانت بجوارها ودُرست وتعرف أيضاً بالمدرسة الناصحيّة الحنبليّة ، وبدار الحديث الناصحيّة ، وبمدرسة دار الحديث لآبنة الناصح ، وبمدرسة العالمة أمة اللطيف .

المدرسة العزيزيّة البرانية :

البرانيّة كانت في اسفل مقبرة المهاجرين ، أنشأهافي العهد الأيوبي الملك العزيز عثمان بن الملك العادل أبي بكر محمد سنة (٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م)
وزال مبناها خلال السنوات(١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣ م) (١٣٣٠ هـ / ١٩١٢م) .

- المدرسة العلميّة :

كانت من مدارس الصّالحية قرب جسر النحاس أنشأها في العهد الأيوبي الأمير علم الدين سنجر المعظمي سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م) .

- المدرسة القوصيّة :

كانت في الصّالحية ، تنسب لمنشئها في العهد الأيوبي عبد الرحيم القوصي المتوفى سنة (٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م) وكان كاتباً لديوان الملك المعظم الأيوبي ، ولا تتوفر عنها معلومات أخرى .

- المدرسة المعظميّة :

كانت في سفح قاسيون شمالي حيّ العفيف ،جنوبي مقبرة المهاجرين لصيق المدرسة العزيزية البرانية ، أنشأها في العهد الأيوبي الملك عيسى ابن الملك العادل أبي بكر محمد وذلك سنة (٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م) وفوق المدرسة قبّة دفنت تحتها خاتون أم الملك المعظم وزوجة العادل .كذلك دفن فيها الملك المعظم ، والملك العزيز عثمان ابن العادل .

- المدرسة المقدميّة البرانيّة :

كانت في الصّالحية بين المدرستين الركنيّة والعمريّة ، أنشأها في العهد الأيوبي الأمير الغازي المجاهد يونس بن يوسف بن المقدّم ، وذلك سنة (٦١٨ هـ ١٢٢١ م) .

- المدرسة الميطوريّة :

كانت في محلة الميطور المحاذيّة لنهر يزيد بجبل الصّالحية من شرقيّه . في حيّ ركن الدين بين جسر النحاس ومستشفى ابن النفيس أنشئت في العهد الأيوبي سنة (٦٢٩ هـ / ١٢٣٢ م) . ونسبت تسميتها إلى الميطور ، ولاتتوفر عن واقفها أيّة معلومات .

- المدرسة الميطوريّة الجديدة :

كانت في الصّالحية ، بزقاق أمام الباب الغربي لجامع الحنابلة . من جهة الغرب ، بالقرب من التربة الصارميّة . أقيمت بعد تهدم المدرسة الميطوريّة ، ولا تتوفر عنها معلومات أخرى .

- المدرسة اليغموريّة :

كانت في رأس حيّ العفيف ، إلى الغرب المجاور لمدرسة العالمة أمة اللطيف ، ويُرجح بأنها التربة المجهولة التي ذكرها الأستاذ دهمان في مخطط الصّالحية برقم (٨٣) ، أنشأها في العهد الأيوبي الأمير الكبير جمال الدين أبو الفتح موسى بن يغمور .

- المدرسة العزيّة :

عند ساحة الجسر الأبيض ، قبالة المدرسة المارداني‌ّة وكان فيها مدفن الشيخ العمري الصوفي .

- المدرسة القاهريّة :

على حافة نهر يزيد من جهة الشمال الغربي للمدرسة العمريّة إلى اليمين المتجه نحو جامع الشيخ محي الدين ، و شرقي دار الحديث القلانسيّة ، أنشأها في العهد الأيوبي الملك القاهر اسحق بن الملك العادل أبي بكر محمد بن ايوب وذلك سنة (٦٢٦ هـ / ١٢٢١ م) وتعرف أيضاً بالخانقاه القاهريّة المشهورة الآن بالخانقاه يفصل بينهما الطريق لا تزال موجودة وهي مسكونة من بعض الفقراء .

- المدرسة الجماليّة :

تقع بأرض السكة غربي الصّالحية بسفح قاسيون أنشأها جمال الدين المعظمي .

- المراجع :
الدارس للنعيمي / القلائد الجوهريّة لابن طولون / مفاكهة الخلان لابن طولون / منادمة الأطلال لبدران / خطط دمشق للعلبي / المروج السندسيّة لابن كنان / الاعلاق الخطيرة لابن شداد / مختصر تنبيه الطالب للعلموي /

- البيمارستان القيمري :

يقع في منطقة الصّالحية بسفح جبل قاسيون جوار جامع الشيخ محي الدين ، أنشأ هذا المستشفى سيف الدين بن أبي الفوارس بن موشك القيمري أحد الأمراء الأيوبيين المشهورين وذلك بين سنتي (٦٤٦ – ٦٥٦ هـ / ١٢٤٨ – ١٢٥٨ م) وذلك في ايام الملك الصالح نجم الدين ايوب ، وذلك كما تشير الكتابة الاثريّة المسطرة فوق البيمارستان . . وقد حددت نص الوقفيّة المؤرخة عام (٦٥٢ هـ ١٢٥٤ م) الوجوه التي تصرف فيها اوقاف البيمارستان ، وهي وظيفة الطبيب ، والمشرف عل شؤون البيمارستان . والكحال ومن يقوم بخدمة النساء المرضى و والمعمار المشرف على عمارته ، وما يزيد يصرف في فكاك الاسرى .

البناء يشتمل على ساحة مربعة تحيط بها أربعة إيوانات والمدخل يتوسط الواجهة الشماليّة الشرقيّة ، تعلوه عتبة نقشت عليها ثلاثة سطور بخط نسخي يتضمن الامر بإنشاء البيمارستان ، وقد غطيت سقيفة المدخل بنصف طاقيّة من المقرنصات الأيوبيّة ، وفي أسفلها سطران من الكتابة النسخيّة تشتمل على أوقاف البيمارستان كما توجد بقيّة كتابات الوقف على أرضيّة بعض المقرنصات ، يعد هذا البناء من أجمل عمارات دمشق الاثريّة بتخطيطه وبزخارفه الجميلة .

قبابه مبنيّة بسويرتين ، وكتابات منقوشة ومقرنصات بديعة أما قبة إيوانه الجنوبي فهي مغطاة بالزخارف المنقوشة على الجص الملون وبكتابات جميلة بالخط النسخي تمتد على واجهاته الثلاثة وتتألف من صيغة التوحيد مكررة ، ومكتويّة بحروف حمراء على صفحة خضراء ويستعمل البيمارستان حاليا مستوصفاً تابعاً لوزارة الأوقاف يؤدي مهمته الإنسانية .

وهو ما زال محافظا على وضعه القديم ، له باب متقن البناء ، هام في هندسته وزخارفه ، وقد أعاد الترميم له بهاءه وتفاصيله العمرانيّة الجميلة .

فيمن دفن بسفح قاسيون ، بصالحيّة دمشق المحمية من العلماء / والأولياء المقربين والصوفية

الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي :

محمد بن علي بن محمد بن احمدبن عبد الله ، هو حجة الله الظاهرة وآيته الباهرة ، صاحب المعارف الالهيّة ، والنفحات الرّبّانيّة ولد بـ (مرسيّة) – سنة خمسمائة وستين ، وأما كتبه ومؤلّفاته فالبحارُ الزواخر ، المدهشة لأهل النظر والبصائر ، ماوضع الواضعون مثلها ، وخصّ الله بمعرفة قدرها وأهلها .

قال العارف بالله سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني [1] ومن خواص كتبه أنه من واظب على مطالعتها ، والنظر فيها ، وتأمل في مبانيها ، انشرح صدره لحّل المشكلات ، وفك المعضلات ، وهذا الشأن لا يكون إلا لمن خصّه الله بالعلوم اللدنيّة الربانيّة ، وكتب للملك المعظم إجازة بمؤلفاته ، وعدّ فيها نّيفاً واربعمائة مصنف ، منها (التفسير الكبير) بلغ فيه للكهف عند قوله تعالى : (وَعَلّمْنَاهُ مِن لَدُنَّا عِلْماً) (الكهف : ٦٥) ، ولا غرو فإنه صاحب الولايّة العظمى ، والصِّدّيقيّة الكبرى ، فيما نعتقد وندين لله به ، أما كراماته ومناقبه فلا تحصرها مجلدات . انتهى ملخصاً .

وتمامه في كتابه (تنبيه الأغبياء على قطرة من بحور الأولياء) وقد اثنى عليه صاحب القاموس في سؤالٍ رُفع إليه ، فكتب : اللهم أنطقنا بما فيه رضاك الذي

---

[1] - عبد الوهاب الشعراني : هو عبد الوهاب بن احمد بن علي الحنفي ، نسبة إلى محمد بن الحنفيّة ، أبو محمد : من علماء المتصوفين، ولد في قلقشندة (بمصر) ونشأ بساقيّة أبي شعرة (من قرى المنوفيّة) واليها نسبته (الشعراني) . له تصانيف كثيرة منها (الأنوار القدسيّة) مطبوع ، و(البحر المورود) مطبوع . و(تنبيه المغترين) . توفي في القاهرة سنة (٩٧٣ هـ) . (الاعلام ٤ / ١٨٠- ١٨١)

أعتقد في حال المسؤوليّة عنه وأدين لله به أنه كان شيخ الطريقة حالاُ وعلماً ، وإمام الحقيقة حقيقةً ورَسْماً ، ومحيي رسوم المعارف فعلاً واسماً .

إذا تغلغل فكرُ المرء في طرفٍ من علمه غرفت فيه الخواطر

عُباب لا تكدّره الدلاء ، وسحاب تقاصر عنه الانواء . كانت دعوته تخرق السبع الطباق وتفرق بركاته فتملأ الأفاق ، وإني أصفه وهو يقيناً فوق ما وصفته ، وناطق بما كتبته ، وغالب ظني أني ما أنصفته ' إلى انّ قال : ومن خاصّ كتبه أنه مَنْ واظب على مطالعتها انشرح صدره لفك المعضلات ، وحلّ المشكلات . انتهى .

وكان – رضي الله عنه – مسكنه وظهوره بدمشق المحميّة ، ينشر فيها علومه الربانيّة ، وقد اعتنى بإظهار / تربته ، وإحياء بقعته بصالحيّة دمشق الشّام ، بتوفيق من الله السّلام ، سلاطين بني عثمان – أعز الله أنصارهم على ممر الأزمان – وبنى عليه المرحوم السلطان سليم خان المدرسة العظيمة ، وبجوارها الجامع المعمر ورتّب له الأوقاف الحسان ، وألّف في مناقبه الوفيّة ومواهبه اللدنيّة الامام السيوطي مؤلفاً جليلاً سمّاه " تنبيه الغبي عن تنزيه ابن عربي " وألّف فيه أيضاً شيخنا العارف الرّبانّي سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي – (رحمه الله تعالى) . مُؤلَّفاً حسناً سمّاه : " السر المختبي في ضريح ابن العربي " ، وألَّف فيه أيضاً كتاباً جليلاً سمّاه : " الرد المتين على منتقض العارف محي الدين " .

والحاصل انّ مناقبه وفضائله لا تُستقصى . وقد أُفرِدَتْ بالتأليف ، وهو حرّي بالتعظيم والتشريف ، وبثّها يستدعي طول الكلام ، فلذا أمسكنا عنان الأقلام وقد توفي – رضي الله عنه – سنة ثمانيّة وثلاثين وستمائة . ودفن بسفح قاسيون ،

وقبره معروف له الاشتهار ، يقصد للحاجات والدعاء / وفي كل وقت يزار وقد أرّخ موته العارف بالله ذو الفضل والكمال محمد الكلشني [1] حيث قال :

شيخنا الحاتمي في الكون فرد وهو غوث وسيد وامام
كم علوم أتى بها من غيوب [2] من بحار التوحيد باستهام [3]
إن سألتم متى توفي سعيداً قلت : أرخت مات قطب همام

ولده المدعو سعد الدين :

ولد بملطيّة سنة ستمائة وثمانيّة عشر وسمع الحديث، ودرّس ، وقال الشعر الجيّد وله ديوان شعر مشهور ، كله غرر ، توفي بدمشق سنة ستمائة وخمسين ، ودفن عند والده بسفح الجبل .

الشيخ أبو عمر الدمشقي الصالحي :

هو محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الزاهد هاجر به والده وبأخيه الشيخ موفق الدين واهلهم إلى دمشق ، ونزلوا بمسجد أبي صالح ظاهر باب شرقي . وأقاموا به

---

[1] - الكلشني : هو محمد بن سعد . نزيل دمشق ، كان من أدباء الصوفيّة ، له محاضرة رائقة وأخبار عجيبة . وكان فضلاء دمشق يميلون إليه . وكان ينظم الشعر . توفي] سنة (١٠٣٧ هـ) (خلاصة الأثر ٣ / ٤٦٨ – ٤٦٩)

[2] - الحقائق الإسلاميّة الكبرى انّ الغيب لا يعلمه إلا الله عز وجلّ. وان الله لا يظهر على غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسول كما قال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً، إلا من ارتضى من رسول) (الجن ٢٦- ٢٧) وكما يقول جل شأنه لرسوله الكريم : (قل لا أقول لكم عندي خزائن ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إني ملك ، انّ اتبع إلا ما يوحى إليّ) (الأنعام ٥٠) . ويقول الله تعالى أيضاً على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (قل لا أملك لنفسي خيراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسني السوء ، انّ أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (الأعراف ١٨٨) .
فمن أين يأتي هذا الشيخ بعلوم الغيب مع انّ هذا محصور بالرسل فقط – الناشر -)

[3] - ستهام : استهم : عني بالأمر .

سنتين ، ثم انتلقوا إلى الجبل (كما ورد معنا) . فقال الناس : الصّالحية . قال أبو عمر : ينسبوننا إلى مسجد أبي صالح لا أنّا صالحون . جَمَعَ بين المعارف الالهيّة والعلوم الشرعيّة و وكان لا يترك قيام الليل والصيام ،وكان إماماً فاضلاً مقرئاً عابداً كثيرالنفع لخلق الله .وكان لا يسمع دعاءً من أحد إلا حفضه ،وكان يجمع الحطب ويحمله للأرامل والأيتام ، ويحمل لهم الدقيق ، وكان يكتب لأرباب الولايّة بشفاعات لمن يقصده ، فلا يردّ . وكان يُجاهد في سبيل الله ، ويحضر الغزوات مع السلطان صلاح الدين . وبنى المدرسة المعروفة بالصالحيّة . والمصنع ، وكان مُجاب الدَّعوة .وما كتب لأحد ورقة للحمّى إلاّ وشفاه الله . مات في سنة سبع وستمائة ودفن بالتربة المعروفة به في سفح جبل قاسيون ، يقصد بالدعاء ، ويتبرك به . ذكره البصروي .

والده أبو العباس أحمد بن قدامة :

قال في كتاب (الاشارات) : كان صاحب كراماتٍ واحوال ظاهرة ، ومجاهدات ، ختم [١] في رمضان خمسمائة (وستين) [٢]ختمة ، قال الحافظ أبو الفرج كانت عليه مهابة عظيمة لا يراه أحد إلا قبل يده ، وقد حدّث وروى عنه ولداه أبو عمر والشيخ موفق ، ومشى على نهر يزيد بالقبقاب فلم يبتلْ . وطالع ليلة في العلم فكدّرت عليه (المطالعة) الضّفادعُ بأصواتهنّ ، فقال : ايتها الضفادع أذيتموني ، إما ان[٣] ترحَلْنَ عني أو أرحل عنكن ، فأصبح وليس في النهر شيء منها ، ومن ثم لم يسكن نهر يزيد ضفدع إلى الآن (ولقد مرّ معنا ذكرها) مات سنة ثمانٍ [٤] وخمسين وخمسمائة ، ودفن بسفح قاسيون ، و إلى جانبه قبر ولده أبي عمر ،. ويقصدان بالزيارة ، ويُعظّمان ، والدعاء عندهما مستجاب مُجَرَّب [٥] .

---

[١] - (الاشارات : قرأ
[٢] - اللفظة مستدركة من (الاشارات)
[٣] مابين حاصرتين مستدرك من (الاشارات)
[٤] - الاصل : ثمانيّة
[٥] - لاشارات) ص (١١٠-١١١)

فائدة :

نهر يزيد بسفح الجبل المعروف بـ (قاسيون) بدمشق ، حفره يزيد بن أبي سفيان أخو معاويّة ، ذكره الناجي ، فليحفظ [1]

الشيخ أبو بكر بن قوام :

صاحب كرامات ظاهرة مُجْمَعٌ على علمه وورعه وزهده ، وَوُلِدَ بمشهد صفيّن، ونشأ بقريّة من قرى حلب يقال لها (بالس) ، ثم انتقل إلى الشّام ، وكان كثير التواضع والحياء ، متمسِّكاً بالأداب الشرعية ومن كراماته ما روي عن الخابوري– خطيب حلب – أنه قال : كنا مع الشيخ في سفر فدُعي إلى مكانٍ ، فلما دنونا منه تغيّر لونه ، وصار يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يكرّر ذلك ، فسألته ، فقال : لمّا أقبلنا على هذه القريّة جاءت أرواح الاموات تسلم عليّ ، وفيهم شاب حسن الوجه يقول : قُتِلْتُ ظُلْماً ، قتلني رجلان من أهل هذه القريّة ، هما أخوان ، كنت أرعي غنماً لهما ، قال الخابوري : وكان الرجلان يسمعان كلام الشيخ ، وبيني وبينهما معرفة ، فلما خلوت بهما أسرَّا لي بأن ما قاله الشيخ حق صحيح ، ونحن قتلناه لكونه افتَضَّ بنتاً لنا ، وقد ظهر أنه بريء من ذلك ، والفاعل غيره .

وله مناقب جليلة منها أيضاً : انه كان يوماً جالساً بين أصحابه بدمشق ، فحنى عنقه تواضعاً لله ، فُسئل ، فقال : انّ الشيخ عبد القادر الكيلاني قال : في مجلس وعظه الآن ببغداد : قدمي هذا على رقبة كُلِّ ولي ، فخضعت له رقاب الأولياء من مشرق الأرض ومغربها . فحفظوا التاريخ ، ثم بعد أيام تواترت الاخبار عن الشيخ أنه قال ذلك في التاريخ .

وروي أيضاً انّ الشيخ أرسلان وقع له ذلك . أعاد الله علينا من بركاتهم ، وقد توفي الشيخ أبو بكر في سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة ، ودفن بدمشق بسفح قاسيون في

---

[1] (الاشارات) ص (١١١- ١١٢) وفي القلائد الجوهريّة ، ص (٣٦٦) : أما نهر يزيد فنسبه إلى يزيد بن معاويّة ، وليس هو أول من حفره

تربـة معروفـة بـه مشـهورة ، يُقصـد بالزيـارة ويُتبـرَّك بـه ، قـال البصـروي : ونقـل انّ الدُّعاء عند قبره مستجاب .

أبو عبد الله بن مالك :

صاحب الألفيّة ، وهو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ، الإمام ، العلامة ، الأوحد ، الطائي ، النحوي . المالكي حين كان بالغرب . الشافعي حين انتقل إلى الشرق ، ولد سنة ستمائة / كان إماماً في القراءات [١] وصنف فيها قصيدة داليّة قَدرالشاطبيّة ، وكان في اللغة إليه المنتهى وأما النحو والصرف فبلغ فيهما الغاية ، وأمَّا اطّلاعه على الحديث فكان أيّة مع ماهو عليه من الدّين والعبادة وكثرة النوافل . وأقام بدمشق يُصنَّف ، ويشتغل بالجامع والتربة العادليّة ، وكان ينظم الشعر ، وقدم القاهرة ، ثم رحل إلى الشّام ، ودُفن بها بسفح قاسيون بتربة القاضي عز الدين ابن الصايغ . ذكره العلامة المقّري في كتابه (نفح الطيب) وقال في كتاب (اللإشارات) : كان ذا وقار ودينٍ وصلاح . أخذ عن الشيخ محي الدين (بن)[٢] محمد بن عربي ، والشيخ محي الدين النووي . مات بدمشق سنة اثنين وسبعين وستمائة [ودفن] [٣] بصالحيّة دمشق بتربة ابن الصائغ [٤]

إبراهيم بن أحمد الموصلي :

من أئمة الحنفيّة و شارح القدوري . قال في (طبقات الحنفيّة) : مات سنة خمسين وتسعين وستمائة بدمشق . ودفن بسفح قاسيون [٥]

---

[١] في الأصل : امرا

[٢] هذه اللفظة مستدركة من الإشارات

[٣] ما بين حاصرتين مستدرك من (الإشارات)

[٤] (الإشارات) ص (١١٢)

[٥] المصدر السابق ص (١١٢ – ١١٣)

علي بن خليل الحنفي : الأديب ، الفقيه ، عُرِفَ بابن قاضي العسكر . مات سنة إحدى وخمسين وستمائة ، / ودُفِنَ بسفح قاسيون وانشد لنفسه :

تطلبت في الدنيا خليلا فلم أجد وما أحد غير ذلك واجد
فكم مضمر بغضاً يريك محبّةً وفي الزند نار وهو اللمس بارد [١]

عبد الرحمن العيني :

الصالحي ، الحنفي و صاحب التصانيف الجليلة : [له] [٢] (شرح الكنز) و(شرح البخاري) وله (شرح النقاية) و (شرح ألفيّة العراقي) و (شرح الشمسيّة) وغير ذلك . ولّي قضاء دمشق ثمانيّة عشر يوماً ، واستعفى عنه . مات سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة ، ودُفِنَ بتربة الجامع الجديد بصالحيّة دمشق . ذكره في كتاب (الإشارات) معّزيا لـ (طبقات الحنفيّة) [٣] .

ثم رأيت ابن طولون ذكره في (شرحه على أعلام الأعلام) ما ملخصه : عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفرج بن الخواجا تقي الدّين ، الشهير بابن العيني ، نسبته إلى رأس العين ، مولده بصالحيّة دمشق سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ، وذكر من مصنفاته : (شرح الدرر) للقونوي ، و (شرح الوشاح في المعاني) و (شرح ألفيّة ابن مالك) و (شرح التهذيب) للسعد ، و (شرح الخزرجيّة) . قال : واختصر / (التلخيص) وشرحه ، ونظم اللغة التركيّة في قصيدة سمّاها (الدرة المضيئة) وكان له ميل إلى التنزّهات ، فيذهب إلى الربوة والحواكير والمرجة ، ودُفِن بتربتهم بجامع الجديد سنة ثلاث ونسعين وثمانمائة . انتهى ملخصاً .

الشيخ يوسف القميني :

---

[١] المصدر السابق ص (١١٣ – ١١٤)
[٢] هذه اللفظة مستدركة من (الإشارات)
[٣] الإشارات ص (١١٤- ١١٥)

نقل في كتاب (الإشارات) عن (تفاح الأرواح) [١] أنه مرّ يوماً على الجامع الأموي فوضعت امرأة يدها على ثوبه [٢] تبركاً فقال لها رجلٌ : تنجست يدك [٣] فنام الرجل تلك الليلة ، فرأى الشيخ في وسط البحر [و] [٤] وجهه كالقمر ، فلما أصبح الرجل [٥] مرّ عليه الشيخ فقال يا نجس رأيت مقامنا البارحة ؟ فكشف الرجل رأسه واستغفر الله تعالى ، مات في سنة سبع وخمسين وستمائة .

ودفن بسفح قاسيون ، وقبره ظاهر معروف ، يزار ، ويتبرك به . وقد ألّف فيه شيخنا العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي مؤلفاً لطيفاً سماه : / .....[٦]

الشيخ أبو بكر العرودكي :

كان من اهل المحبة والتوحيد ، عظيم المهابة والشأن ، وله مقام عليه الهيبة والجلال ، تقام عنده الاذكار في ليلة الاثنين من كل جمعة وقبره ظاهر معروف في سفح جبل قاسيون ، يزار ويتبرّك به [٧]

ومن قول خاتمة الأدباء محمد أمين المحبي صاحب (نفحة الريحانة)

والمـــــاءُ فـــــي خَرِيـــــرِهِ مُنْهَمِـــــكُ والطَّيْـــــرُ عَـــــاكِفٌ علـــــى التَّهْـــــدارِ
والنّـــــورُ قَـــــدْ فَـــــتَحَ عَلـــــى أكْمامِـــــهِ وَفَـــــكّ الـــــــورِدِ عَـــــــنِ الأَزْرارِ
والرّيْـــــوةُ الغَنَّـــــاءُ حَيّاهـــــا الصَـــــبّا فَنَفَحـــــتْ عَـــــنْ جُونَـــــةِ العَطَّـــــارِ[٨]

---

[١] - هو كتاب " تفاح الأرواح ومفتاح الارباح من جملة تشويق القلوب والارواح " لمحمد بن على بن عبد الرحمن القرشي ، الدمشقي .

[٢] - في الإشارات : كتفه .

[٣] - وذلك لأنه يتنجس ببوله ، ويمشي حافياً ، ويأوي إلى قمين حمام نور الدين ، ولا يصلي ، (العبر) ٣ / ٢٨٧ والبدايّة والنهايّة (١٣ / ٢٢٩)

[٤] - مابين حاصرتين مستدرك من (الإشارات)

[٥] - لفظة (الرجل) من (الإشارات)

[٦] - في الاصل بياض بعد لفظة : (سمّاه)

[٧] - (الاشارات) ص (١٠٨)

[٨] جونة العطار : سليلة مستديرة مغشاة بالجلد يحفظ العطار فيها الطيب

أُعيـــــذُ بالسَّـــــبْعِ المِثَـــــاني سَـــــوْحَها عَلـــــى احْتِـــــواءِ السَّـــــبْعَةِ الأنْهَـــــارِ
ودَيْـــــرْ مُـــــرّانَ القَـــــدِيمْ لا عَـــــدَتْ سُـــــحُبُ الحَيـــــا مَـــــا فِيـــــهِ مِـــــنْ آثَـــــارِ

وكذلك من قول السيد محمد بن علي الدمشقي ، حفيد السيد محمد القدسي :

يانســـــــمةً نَسَـــــــمَتْ حَبيبـــــــي وتَمسَـــــــكَتْ منـــــــهُ بِطيبـــــــي

إنْ جِـــــــــزْتَ وادي جلّـــــــــقٍ وحَلَلْـــــــتَ بِـــــــالرَوضِ الرَّحيـــــــبِ
أو جِـــــــــزْتَ أَرْضَ النَّيْـــــــــرَبَيْنِ مَـــــــــع الّصَـــــــبَاحِ أو المَغيـــــــبِ
وَدَخَلْـــــــتَ جَامِعَهـــــــا الشّرِيـــــــ ـــــــفِ مَقَـــــامض أرْبَـــــابِ القُلُـــــوبِ
ورَأَيْـــــــتَ بالشَـــــــرَفَيْنِ مـــــــا يَـــــدْعو المُحِـــــبَ إلـــــى الحَبيـــــبِ
فَسْـــــقي دِمَشْـــــقَ ومـــــا حَـــــوتْ مـــــن انهمـــــر مثـــــل الضّـــــرُوبِ
ويَزيـــــــدُ دَمْعـــــــي إنْ ذَكَـــــــرْ تُ يَزيـــــــدُ سَـــــــحّاً بـــــــالنُقوبِ
يَـــــا نَفْـــــسُ مَـــــالي إذْ ذَكَـــــرْتُ سِـــــوى دِمَشـــــقَ لا تُجيبـــــي

وقال الشيخ محمد' المعروف بابن السمان وهو عبد الباقي بن أحمد المعروف بان السمّان :

نَســـــــماتُ ذاكَ النّيـــــــربينِ و ذلـــــــكَ الســـــــفحِ السّـــــــعيدِ
زوري الحـــــــواكيرَ اللّـــــــواتي أطلقـــــــتْ نَشْـــــــرَ الـــــــورودِ
أَضْـــــحَتْ خَلاخِـــــلُ ســـــوقِها تلـــــكَ السَّـــــواقي مِـــــنْ يزيـــــدِ
وأتـــــى لســـــوحِ الربـــــوةِ الفيحـــــاءِ ذي الظّـــــل المديـــــدِ
ولـــــديرِ مـــــرّان اصْـــــعدي فـــــالأنسُ فـــــي ذاكَ الصـــــعودِ
ولقُبـــــةِ الســـــيّارِ ســـــيري أحســـــنَ السّـــــيرِ الحميـــــدِ
والمُسْـــــتغاثُ بـــــهِ استَغشـــــي تَبلغـــــي مهمـــــا تريـــــدي
فهنـــــــاك ودّ نبيينـــــــا يـــــدعو علـــــى أهـــــلِ الجّحـــــودِ

وأتـــــــي مقـــــــامَ الأربَعيـــــــــ ـــــــنَ الســـــــادةِ القـــــومِ الأســـــودِ
واقـــــــرأي الفـــــــواتيح واسْألـــــــــ ـــــــي خيـــــراً وللشـــــيحِ عـــــودي
و إلـــى ضـــريحِ الشـــيخِ محـــي الـــد يـــــنِ حقـــــاً غيـــــرَ عنيـــــدي
هـــــو قطـــــبُ دائـــــرةِ القلـــــو بِ وقلـــــبُ دائـــــرة الشـــــهودِ
وإذا دخلـــــــــــتِ جلـــــــــــقَ فـــــــزتِ بجنَّـــــــاتِ الخلـــــودِ
وامْشـــــــي لمَلقـــــــى ســـــــيدي عبـــــدِ الغنـــــي مَشْـــــي العَبيـــــدِ
والقـــــي عَصـــــا الســـــيّار عنْـــــكِ فـــــــي ذرى البيـــــــت المشـــــيد
واســـــتقبلي الوَجْـــــهَ الّـــــذي كـــــا لبَـــــدرِ فـــــي شَـــــرَفِ السُّـــــعودِ

وقال الأدب الشيخ محمد بن السمان:

الشـــــــــــامُ دارُ قـــــــــــرارٍ لـــــــدى النفـــــــوس الزَّكيّـــــــة
بـــــل جنَّـــــةُ الخُلـــــدِ أمســـــــ ـــــــتْ عنوانهـــــــا الصَّـــــالحيَّة
قُـــلْ مـــا تشـــاءُ عَـــنْ دمشـــق وانســـــبْ اليهـــــا المزيَّـــــة
فإنهـــــــــا دارُ خلـــــــــدٍ عنوانُهـــــــــا الصَّـــــــالحيَّة
ذات العمـــــــــادِ دمشـــــــق أخبارُهـــــــــا مرويَّـــــــة
بـــــذا أتـــــاني كتـــــابٌ عنوانُـــــــــه الصّـــــــالحيّة
بـــــادِرْ لربـــــوةِ أنـــــسٍ ذاتِ القـــــرارِ البهيّـــــة
فالشَّـــــام جنّـــــةُ عـــــدنٍ عنوانُهـــــــا الصَّـــــالحيَّة
دارُ النَّعـــــــيمِ دمشـــــــق ذاتُ الرَّايـــــــاض الزكيَّـــــة
فيهـــــا قصـــــورٌ وحـــــورٌ عنوانُهـــــــا الصَّـــــالحيَّة

وممن دفن أيضاً في سفح جبل قاسيون :

- في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة مات بدمشق الأمير شرف الدين ابو الحزائم عيسى ابن الأمير بدر الدين بن كامل المكاوي ، كان مقدماً في الدولة ، معروفاً با لإقدام والشجاعة ،حاز كثيراً من الأوصاف الجميلة اختار السكن بدمشق ودفن بجبل قاسيون .
- وفي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة مات بدمشق قاضي الشام ابن الزكي محي الدين محمد بن قاضي القضاة بن يحيى القرشي .من ذرية عثمان بن عفان الشافعي وكان إماماً طويل الباع في الإنشاء والبلاغة ، فصيحاً كامل السؤدد تولى القضاء بدمشق ، وكانت له عند السلطان صلاح الدين منزلة عالية . دفن بتربتهم المختصة بهم بسفح جبل قاسيون .
- وفي سنة ست وستمائة مات بدمشق أسعد ويسمى الشيخ بن المنجا بن بركات بن المؤمل التنوخي المعري ثم الدمشقي الحنبلي وهو واقف المدرسة الوجبهية برأس باب البريد وتفقه بدمشق على شرف الإسلام عبد الوهاب أبي الفرج سمع منه جماعة منهم الحافظ المنذري وأبي خليل وابن البخاري ودفن بسفح قاسيون.
- في سنة ثلاث عشرة وستمائة مات بدمشق العلامة تاج الدين الكندي زيد ابن الحسن البغداي المقري النحوي اللغوي شيخ الحنفية والقراء أكمل القرآن العشر وله من العمرعشرة أعوام . وهذا مما لا نعلمه قد تهيأ لأحد سواه وقال الشعر الجيد وفي تلك السنة مات بدمشق العز محمد ابن الحافظ المقدسي أبو الفتح كتب الكثير من الكتب في الحديث . كان موصوفاً بجودةالحفظ والفهم ، وقال أبو شامة : صحب الملك المعظم عيسى سلطان دمشق وسمع الكثير دفن بسفح قاسيون .
- وفي سنة تسع عشرة وستمائة مات بدمشق أبو الفضائل شهاب الدين عبد الكريم بن نجم الدين الشيرازي الدمشقي ابن الحنبلي وكان بارع في الفقه والمناضرات والمحاكمات الفكرية بصيراً بما يجري عند القضاة في الدعاوي ، برع وأفتى

وناظر كان ذا قوة وشهامة وانتزع مسجد الوزير من يد السخاوي وبقي للحنابلة ،دفن بسفح جبل قاسيون .

- وفي سنة عشرين وستمائة مات بدمشق موفق الدين المقدسي أحد الأئمة الأعلام أبو محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة الحنبلي صلحب التصانيف حفظ القرآن وتفقه وانتهت إليه معرفة المذهب وأصوله وقال سبط بن الجوزي انه كان يحضر مجلسه العلماء دائماً ، بجامع دمشق وقاسيون وانتفع بعلمه طائفة كثيرة وكان شيخ الحنابلة وله تصانيف في أصول الدين وله في علم الحديث وله كتب في اللغة والأنساب انتفع بتصانيفه المسلمون عموماً وأهل المذهب خصوصاً .دفن بسفح جبل قاسيون .
- وفي سنة احدى وعشرين وستمائة مات بدمشق الشيخ علي الفرنتي الزاهد صاحب الزاوية بسفح قاسيون وكان صاحب حال وكشف تجتمع عنده الأصحاب وله حكايات كثيرة تدل على ولاياته وذكر انه بني على قبره قبة نقش على جدار هذه القبة الشمالي فوق الباب اسمه وتاريخ وفاته دفن بجوار المدرسة المرشدية على الطريق السلطاني بالزقاق المعروف بين المدارس بصالحية دمشق .
- وفي سنة اثنين وعشرين وستمائة مات بدمشق شبل الدولة كافور الحسامي طواشي ست الشام وخادمها انشأ فوق جسر تورا من صالحية دمشق المدرسة والبتربة والخانقاه ووقف عليها الأوقاف ونقل اليها الكتب الكثيرة وفتح للناس طريقاً من الجبل الى دمشق قريباً من عين الكرش الموجود اثرها الى اليوم وكادينا وافر الحشمة دفن بتربته الى جانب مدرسته .
- وفي سنة أربع وعشرين وستماءتمات بدمشق الملك المعظم سلطان الشام شرف الدينعيسى بن الملك العادل ، حفظ القرآن وبرع في الفقه وشرح الجامع الكبير في عدة مجلدات وله شعر كثير كان قليل الالتفات الى العظمة وابهة الملوك كان شديد التعصب لمذهبه الحنفي قال ابن خلكان دفن في قلعة دمشق ثم نقل الى

الصـالحية ودفـن بمدرسـة بهـا قبـور مـن اخوانـه وأهـل بيتـه تعـرف بمدرسـة المعظمية .

- وفي سنة خمس وعشرين وستمائة مات بدمشق القاضي الإمام جمال الدين عبد الرحيم بن شيث القرشي جمع الله تعالى له بين الفضل والمروءة والكرم والفتوة ، تولى الوزارة للملك المعظم بالشام ودفن بتربته بسفح جبل قاسيون .
- وفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة مات بدمشق السيف الأمدي أبو الحسن علي بن محمد الحنبلي ثم الشافعي المتكلم العلامة صاحب التصانيف العقلية ولاه الملك المعظم ابن العادل تدريس العزيزية دفن بتربته بقاسيون .
- وفي سنة احدى وثلاثين وستمائة مات بدمشق الأمير ركن الدين منكورس مملوك فلك الدين أخي العادل كان عفيفاًملازماًلجامع بني أمية وله بقاسيون مدرسة وتربة وقف عليها شيئاً كثيراً وله داخل دمشق مدرسة كبيرة للشافعية مات بجيرود وحمل ودفن في تربته المخصوصة بقاسيون .
- وفي سنة أربع وثلاثين وستمائة مات بدمشق الناصح بن الحنبلي أبو الفرج الجوزي السعدي العبادي الدمشقي الفقيه المعروف بابن الحنبلي بنت له الصاحبة ربيعة خاتون مدرسة بالجبل وهي المعروفة بالصاحبةوله تصانيف كثيرة وخطب ومواعظ ومقامات دفن بتربتهم بسفح قاسيون .
- وفي سنة سبع وثلاثين وستمائة مات بدمشق أمين الدين أبو الغنائم سالم بن الحسن بن هبة الله الشافعي التغلبي الدمشقي ولي المارستان والمواريث والايتام ودفن بتربته بقاسيون .
- وفي سنة اثنتين وأربعين وستمائة مات بدمشق الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد السعدي الصالحي الحنبلي محدث عصره ووحيد دهره وهو الذي بنى المدرسة الضيائية قال الذهبي : بنى مدرسته على باب جامع المظفري بسفح جبل قاسيون ووقف عليها كتبه وبناها للمحدثين والغرباء والواردين كان محدث الشام ودفن بسفح جبل قاسيون.

- وفي سنة خمسين وستمائة مات بدمشق سيف الدين أبو الحسن علي بن ابي الفوارس القيمري صاحب المارستان بصالحية دمشق كان من أجلة الأمراء وأبطالهم دفن بالقبة قرب مارستانه على الجادة .
- وفي سنة ستون وستمائة مات بدمشق التاج مظفر بن عبد الكريم أبو منصور بن الحنبلي الدمشقي مدرس مدرسة جدهم شرف الاسلام وهي المسمارية أفتى وناظر وحدث بمصر والشام ودفن بسفح قاسيون .
- وفي سنة ثمانية وستين وستمائة مات بدمشق زين الدين أحمد بن عبد الدائم الحنبلي مسند الشام ومحدثها وكتب تاريخ دمشق لابن عساكر مرتين وكان حسن الخلق والخلق دفن بسفح قاسيون .
- وفي سنة ثمانين وستمائة مات بدمشق قاضي القضاة أحمد بن محمد بن خلكان صاحب التاريخ المشهور المسمى بوفيات الأعيان وكان إماماً عالماً نحريراً فقيهاً نحوياً دفن بسفح قاسيون مقابل الرباط الناصري والعادلية .
- وفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة مات بدمشق شيخ الاسلام وبقية العلماء الأعلام شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن القدوة الزاهد ابي عمر بن قدامة المقدسي ثم الصالحي الدمشقي الحنبلي ولد بدار والده بسفح قاسيون وانتهت إليه رئاسة المذهب في عصره بل رئاسة العلم في زمانه عظيم الهيبة وقد ولي قضاء الحنابلي على كره منه ودفن عند والده في سفح قاسيون وفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة مات بدمشق محي الدين محمد بن الحرستاني خطيب دمشق الشافعي الانصاري الخزرجي كان على خطابته طلاوة وروح وتأثير في قلوب السامعين وقد كان طيب الصوت في الخطبة دفن بالصالحية .
- وفي سنة ثلاث وسبعمائة مات بدمشق زين الدين عبد الله بن مروان الفارقي خطيب دمشق وشيخ دار الحديث ومدرس الشامية البرانية وولي مشيخة دار الحديث بعد النووي وهو الذي عمرها بعد خرابها في فتنة غازان ملك التتار التي حصلت بدمشق وتوفي بسببها من شيوخ دمشق أكثر من مائة نفس وقتل بجبل

قاسيون والصالحية خلق كثير ومات برداًوجوعاًنحو أربعمائة نفس وأسرأربعة ألاف منهم سبعون نسمة من ذرية الشيخ أبي عمر .

- وفي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة مات بدمشق شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عبد العزيز بن الجزري صاحب التاريخ الكبير كان كثير المروءة من كبار عدول دمشق توفي ببستان الزعفرانية بصالحية دمشق ولم يزل ذاك البستان معروفاًالى اليوم بذاك الاسم.
- وفي سنة أربع وأربعين وسبعمائة مات بدمشق تقي الدين أبو الفتح محمد بن عبد اللطيف بن تمام الأنصاري السبكي الشافعي الفقيه المحدث درس في الشامية الجوانية والركنية دفن بتربة أجداده السبكية الكائنة في طريق سفح جبل قاسيون المعروفة با الحواكير عند محطة الترام وبني عليها البيوت ودرست القبور ووضعت الحواجز من الحديد وتصرفت بها الأيدي في البيع والشراء وتناقلها الطماعون الذين يتساهلون في أمور الشريعة والدين الذي لا يسلم منهم عصر ولا زمان .
- وفي سنة احدى وخمسين وسبعمائة مات بدمشق علاء الدين أبو الحسن علي بن زيد الدين المنجا التنوخي الحنبلي قاضي القضاة ولي القضاءدفن بسفح قاسيون .
- وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة مات بدمشق القاضي جمال الدين أبو الطيب الحسني ابن تقي الدين علي بن تمام الأنصاري الخزرجي السبكي الدمشقي الشافعي درس بالشامية البرانية والعذراوية ودفن بتربتهم المشهورة بهم التي درست في أول جادة محلة المهاجرين على يسار الصاعد.
- وفي سنة ثمان وخمسين وسبعمائة مات بدمشق محمد ابن أحمد بن رمضان الجزيري ثم الدمشقي الحنبلي دفن بسفح قاسيون .
- وفي سنة تسع وخمسين وسبعمائة مات بدمشق شمس الدين محمد بن يحيى بن محمد سعيد بن مفلح بن هبة الله الشيخ الامام المحدث البارع الصالحي وقال الحسيني سمع خلقاً كثيراً وجمع فأوعى وكتب مالا يحصى، دفن بقاسيون.

- وفي سنة احدى وستين وسبعمائة مات بدمشق تقي الدين أبو محمد عبد الله الصالحي الحنبلي المعروف بابن قيم الضيائية وكان مسنداً فقيهاً وكان له حانوت يبيع فيه العطر في الصالحية ودفن بالروضة .
- وفي سنة تسع وستين وسبعمائة مات بدمشق قاضي القضاة جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن محمد الامام العلامة شيخ الاسلام المرداوي الحنبلي ولي قضاء الحنابلة سبع عشرة سنة دفن بتربة الموفق بقاسيون .
- وفي سنة سبعين وسبعمائة مات بدمشق القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن حلف بن عطاء الله الغزي ثم الدمشقي الشافعي ألف كتاب ميدان الفرسان جمع فيه أبحاث الرافعي وابن الرفعة والسبكي وهو كتاب نفيس في خمس مجلدات دفن بتربة السبكيين في أول حي المهاجرين في الصالحية.
- وفي سنة سبعين وسبعمائة مات بدمشق بدر الدين المعروف بابن الشريشي إمام أهل اللغة في عصره الوائلي البكري ففي دمشق الشام له مصنفات منها شرح المقامات وغيرها من الكتب البديعة دفن عند والده بسفح قاسيون مقابل جامع الأفرم .
- وفي سنة احدى وسبعين وستمائة مات بدمشق قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب السبكي الشافعي اشتغل بالقضاء وولي خطابة جامع دمشق ثم عاد الى القضاء ودرس بمدارس دمشق الكبار ومنها العزيزية والعادلية الكبرى والغزالية ومشيخة دار الحديث الأشرفية ...الخ وخضع له أرباب المناصب من القضاة وغيرهم دفن بتربتهم بالصالحية ففي أول طريق المهاجرين .
- وفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة ومن مفاخرذاك العصر وجود النابغة الشهيرة ست العرب بنت محمد ابن الفخر بن البخاري السخية الصالحة الحنبلية المسندة كانت فريدة وقتها وعجيبة عصرها حضرت على جدها كثيراًوحدثت وانتشر عنها حديث كثير وسمع منها كثر وانتفع بها خلق كثير توفيت بدمشق ودفنت بسفح قاسيون .

- وفي سنة احدى وتسعمائة مات بدمشق شرف الدين موسى بن علي الشهير بالحوراني الشافعي كان يحفض القرآن والمنهاج ويدرس به بالقرآن بمدرسة شيخ الاسلام ابي عمر بالصالحية وولي نظر مدرسة الشبلية والإمامة بها مات بمنزله بمحلة الشبلية في طريق عين الكرش ودفن بالصالحية.
- وفي سنة احدى عشرة وتسعمائة مات بدمشق شمس الدين محمد بن عيسى الدمشقي الحنفي قاضي دمشق ومفتيها كان متفنناًيعرف صناعة التوريق والشهادة معرفة تامة متضلعاً في العلوم محجاجاً لا يجاريه في بحثه أحد دفن بالصالحية .
- وفي سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة توفيت بدمشق عائشة بنت يوسف بن ناصر الباعوني المعروف والمشهورة بالباعونية الشيخة الصالحة الأديبة العالمة العاملة هي أحد أفراد ونوادر الزمان والعصور فضلاً وأدباً وعلماً وشعراًودیانة وصيانة وأجيزت بالإفتاء والتدريس ولها عدة مؤلفات ومن شعرها هذه الأبيات في مدح دمشق :

نزه الطرف في دمشق ففيها كل ما تشتهي وما تختار
هي الأرض جنة فتأمل كيف تجري من تحتها الأنهار

دفنت بالصالحية .

- وفي سنة سبع وتسعين وألف مات بدمشق محمود بن محمد بن نضيم العدوي القاضي نور الدين الصالحي الدمشقي الشافعي ولي قضاء دمشق كان عالماً مقبولاً عند الناس دفن بسفح قاسيون .
- وفي سنة (١٢٢٨)مات بدمشق أحمد بن عبد اللطيف بن البربير الدمياطي الأصل البيروني المسكن ونزيل دمشق والشيخ البربير علمه وفضله في العلوم والأدب شهير له مؤلفات ومنظومات كثيرة وله رسالة لطيفة سماها زهر الغيطة في ذكر الفيضة بين فيها الطوفان الذي حصل في دمشق والضرر الكبير لأهلها ودفن بالصالحية .

- وفي سنة(١٢٤٢) مات بدمشق خالد بن أحمد بن حسين الشهرزوري الشلفعي العثماني نسباً وله يد طولى في العلوم من صرف ونحو وفقه ومنطق وعروض ومناظرة وبلاغة وأصول وحساب وهندسة أسطرلابية وفلك وحديث وتصوف وقد أحيا كثيراًمن مساجد دمشق في الأذكار وأخذ عنه أكثر علمائها وكانت وفاته بالطاعون ودفن في سفح قاسيون .
- وفي سنة (١٢٧٨)مات بدمشق محمد السعيد بن السيد محي الدين الجزائري الحسني نزيل دمشق الشقيق والأخ الأكبر للأمير عبد القادر يميل إلى التصوف وله مؤلفات كثيرة وله رسائل كثيرة في علوم متنوعة وكان شيخ الطريقة القادرية في المغرب وقد عرضت عليه إمارة الجهاد قبل أخيه فلم يقبلها وقد حضر مواقع كثيرة في الجهاد مع أخيه وكان له برنص من صوف حين يقدم على عياله من الجهاد ينفضونه فيقع منه الرصاص ولم يزل هذا البرنص باقياً عند بناته السيدات الفاضلات الى اليوم وكان له محل اعتقاد وإعزاز علماء دمشق دفن بسفح قاسيون .
- وفي سنة (١٣٠٥)مات بدمشق سعيد بن محمد أمين بن سعيد بن علي المعروف كأسلافه بالأسطواني الحنفي الدمشقي وتخرج عن علمائها بعد ان اشتغل بالجد والاجتهاد وبرع بالعلوم العربية والشرعية والعقلية قرأ الفقه على الشيخ هاشم التاجي والشيخ عبد الله الحلبي وباشرفي خطبة الجامع الأموي وإمامة الحنفي وتقلد قضاء دمشق ومن وصيته أن لا يفعل بجنازته من وضع الشال والحرير والعمامة الخضراء عليها بل يغطى بثوب أبيض وأن لا تفعل النساء شيئاًفي بيته من المنكرات والمبتدعات التي عممت فيها البلوى في هذه البلاد دفن في سفح قاسيون .
- وفي سنة (١٣٣٥) مات في دمشق محمد أحمد البرزنجي المدني نزيل دمشق هو أحد جهابذة رجال العلم والفضل له اليد الطولى في التفسير والحديث ،فقيهاً عالماًفي الأصولين كان مفتي الشافعية في المدينة المنورة وأحد خطباء الحرم

النبوي هاجر الى دمشق مع أسرته في آخر حكم الأتراك وهو والد العلامة الشهير السيد زكي قاضي المدينة المنورة ومن ساداتها الكرام دفن بسفح جبل قاسيون بمشهد عظيم .

- وفي سنة (١٣٣٨) مات بدمشق طاهر بن صالح المغربي الجزائري الأصل الدمشقي مولداً وبذل جهد المستطاع في إنشاء المدارس وإصلاحها أبان نضارة شبابه حينما كان مفتشاًعلى المدارس الظاهرية وعنايته بإحياء التاريخ ودعوته الى مطالعة الصحف وتصنيفه الكتب النافعة منها في فن الحساب وقصص الأنبياء دفن بسفح جبل قاسيون .
- وفي سنة(١٢٨٣) مات بدمشق محمود بن أحمد بن حسين الشهريزوري الملقب بالصاحب النقشبندي الخالدي العثماني نسباً،صدرت إرادة السلطان عبد المجيد بجعل المشيخة له على الجامع السليماني الكائن في المرج الأخضر بدمشق والتدريس في جامعها وقد أخذ عنه الطريق كثير من رجال دمشق دفن بمقبرة أخيه في جبل قاسيون .

نشاة ومكانة الشيخ عبد الغني النابلسي

العارف بالله الاستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي المقدسي الكناني الحنفي المذهب النقشبندي الطريقة ولد في دمشق وتوفي فيها (١٠٥٠-١١٤٣ هـ)
(١٦٤٠-١٧٣٣ م) نشأ في اسرة علم كان فقيها ومحدثاً ومفسراً وأديباً وشاعراً وفيلسوفا صوفيا ألمّ بكثير من العلوم الشرعيّة والكونيه والتطبيقيّة والعلوم الإنسانية كما أنه اهتم بالتصوف والفلسفة الاسلامية.

طلب العلم في طفولته على والده وقد توفي والده وهو في سن الثانيّة عشرة من عمره حيث تابع طلب العلم على كبار علماء دمشق واتقن جميع العلوم بصورة مبكرة وقد اجازوه بالتدريس والقضاء والافتاء واخيرا بالسلوك الصوفي .

لقد قام بالتدريس في جامع دمشق (الاموي) وهو في السابعة عشر من عمره حيث بدأ يلازمه طلبة العلم والتف حوله المريدون وتردد عليه العلماء وحضروا دروسه فاعجبو بعلمه وتفوقه واستمر في بحثه وتصنيفاته وتاليفه ونظمه الشعر .

ولقد اجاز بعض تلاميذه وقد ارتقى بعضهم في مجال العلم فأصبح بعضهم من كبار علماء دمشق وقد تولى بعضهم القضاء والإفتاء فيما بعد ...

يعتبر الشيخ عبد الغني من ابرز علماء دمشق في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وكانت كلمته لا ترد عند أولي الأمر من الحكام وكان يقبل عليه أهالي الصّالحية ودمشق وخاصة الأعيان والتجار والمسؤولون وذاع صيته وعلا نجمه في الأوساط العلميّة في العالم الاسلامي ولا سيما في مصر الازهر أرص الكنانة وعاصمة الخلافة الاستانة وفي بلاد الشّام .

كانت لديه مكتبة ضخمة زاخرة بمختلف الكتب المخطوطة تضم مراجع ذات قيمة في جميع العلوم ورثها عن والده واجداده بني جماعة وبني قدامة المقادسة وتوزعها بعد ابنه الشيخ إسماعيل احفاده واسباطه الذين كانو يهتمون بالعلم واودع قسم منها لدى المكتبة الوطنيّة الظاهريّة بدمشق(مكتبة الاسد حاليا) ودار الكتب بحلب ومن قبل قد تكون هذه المكتبة نقلت من المكتبة العمرية

(مكتبة المدرسة العمريّة في صالحيّة دمشق) التي كانت تحاكي المستنصريه والنظاميّة

وقد نسخ بعض كتبها من قبل تلاميذه وطلبة العلم وتسرب العديد منها على مرّ الزمان إلى المكتبات العامة في بلاد الشّام ومصر والحجاز والعراق و إلى المكتبات العامة في عواصم الدول الاوربيّة ولا سيما ألمانيا وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة الامريكيّة وغيرها .

ولقد أنتج خلال حياته عددا ضخما من المصنفات والمؤلفات في جميع العلوم والفنون واللآداب

ولما تميز الشيخ عبد الغني بابحاثه المعمقة عن التصوف والفلسفة فقد استطاع انّ يعيد التصوف إلى أصالته بإبعاد كل ما دخل عليه من خرافات وضلالات ويشترط على المتصوف أنّ يكون ملماً بعلوم الشريعة ليتسنى له الدخول في علوم الحقيقة والتصوف والزهد والفلسفة الإسلامية.

ولقد كان لجرأته العلميّة الموضوعيه وميله للمنهج العلمي في ابحاثه القدح المعلى من الاهتمام بحقيقة التصوف الإسلامي الأصيل إلى جانب أبحاثه في مختلف العلوم والفنون وذاع صيته في جميع أرجاء العالم الاسلامي وحتى في الاوساط العلميّة في العالم الغربي لكونه اتقن جميع علوم الشريعة ويرع في علم الحقيقة ومسلك الطريقة وقد أصبح الشيخ عبد الغني التابلسي من ابرز ائمة الإسلام في دمشق الشّام وقد ذكر لي الدكتور عبد الكريم اليافي (وهو عالم موسوعي بارز في العالم العربي) بأن الشيخ عبد الغني مفخرة دمشق الشّام والعالم الإسلامي

كان ولده الشيخ إسماعيل النابلسي شيخ الإسلام أبو الفدى من أبرز علماء دمشق وأجداده من بني جماعة وبني قدامة كانوا أئمة بلاد الشّام في القدس ونابلس ودمشق وقد عرفوا بالحنابليّة المقادسة وقد بلغت مؤلفاته ما يزيد عن الثلاثمائة اضافة إلى دواوينه الشعريّة الخمسة وكان في عصره جريئا في ابحاثه فقد ألف رساليتن كان لهما ضجة في العالم الإسلامي :

الأولى في سماع الآلات والثانيّة في شرب الدخان والقهوه حيث يوضح فيهما أحكام التحريم والتحليل هذا وقد قام كثير من العلماء والباحثين وأصحاب المطابع القديمة بطيع ونشر وتحقيق العديد من مؤلفاته وقام بعض الدارسين باختياره موضوعا لإطروحاتهم ووسائلهم لنيل الماجستير والدكتوراه .

ولقب (العارف بالله) لقب صوفي منح إياه بإجماع الصوفيين والعلماء الذين كانوا في عصره حيث تسنم مشيخة الطريقة النقشبنديّة وقد جمع بين طلب العلم وممارسة

الاعمال التجاريّة في دمشق ثم ترك التعليم ليتفرغ للتجارة توفي عام (١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م) وله ثلاثة أولاد أكبرهم محمد أديب النابلسي وأوسطهم الأستاذ محمد علي الانابلسي (مدرس التربيّة في معهد دار المعلمين بدمشق وقد كلف بادارة اعداديّة ابن العميد) وأصغرهم الأستاذ محمد راتب النابلسي خطيب جامع الشيخ عبد الغني حاليا الذي أصبح مركز إشعاع للعلم في دمشق.

كانت دمشق القديمة محاطة بسور ولها عدد من الابواب وكانت تضم الاسر الدمشقيّة ومن جملتها اسرة آل النابلسي التي لها دار كبيرة معروفة باسمها تقع بقرب جامع دمشق الأموي وبالتحديد مكان الصناعة القديمة (مابين البزوريّة والقيمرية) حيث نشأ في أسرة علم ومجد وعاش في بيت يشع نوره على أهل الشام وكان ملتقى علماء دمشق والعالم الإسلامي . هذا البيت الذي عاش فيه أجداده من العلماء وهم آية في اعجاز البيان وحديقة مجاز البين ومحجة طريق سلوك الاتقان والشيخ عبد الغني من سلالة هذا البيت نشأفي كنف والده شيخ المشايخ في الشّام وكبيرها ومرجعها ولما مات توجهت اليه جهاته ومعالميه.

ولقد عرف عبد الغني بنهمه للعلم والمعرفة منذ طفولته ومما يسر عليه وجود هذه المكتبة الضخمة التي ورثها عن والده واجداده.وما انّ بلغ السابعة من عمره حتى تمكن من حفظه القران بكامله وحفظه العديد من الاحاديث الشريفة مع جوامع الكلم مع بعض اسانيدها والمنظومات العلميّة والفقهيّة .ومجموع من الاشعار القديمة الهادفة في الحكم وما انّ بلغ التاسعة من عمره حتى تمكن من تدبر القران واتقان تجويده وترتيله والاحاطة بعلومه حيث اطلع على بعض التفاسير في مكتبة والده وبدأ بنظم الشعر الرصين وهو في سن الثانيّة عشرة من عمره.ولقد صدم بوفاه والده عام (١٠٦٢هـ) ولكن وعيه وفهمه جعله يتقبل أمر الله.

ولقد اجازه أكثر اساتذته ومشاييخه بالتدريس والافتاء وباشر بالقاء درس كل يوم جمعة في جامع دمشق الاموي (تحت قبة النسر)عام ١٠٧٠هـ ومع المثابرة كان تفوقه مطردا حتى صارت حلقات دروسه تضاهي حلقات دررس كبار العلماء وهو

لا يـزال دون الخامسـة والعشـرين ولقـد مـارس التـدريس علـى نطـاق واسـع فـي عـدة مـدارس ومؤسسـات وهكـذا فقـد اسـتمر فـي نشـاطه بالتـدريس والـدعوة والارشـاد والتصنيف والتاليف ونظم الشعر وقدم لـه أحد تلاميذه (جنينـة) علـى ضفة نهر يزيد فـابتني لنفسـه عـام (١١٢٩هـ) بيتـا ومسـجدا لا يـزال موجـودا بـالقرب مـن المدرسـة العمريّة وجامع الحنابلة وقد بنـى عام (١١٣٦ هـ)غرفة بجوار المنزل لتكون مكتبة دفن فيها فيما بعد وفي هذه الفترة من حياته التي استقر في داره ومسجده الجديدين كـان تفرغـه للـدعوة والإرشـاد حيـث كـان مقره هذا بالصـالحيّة مـا بـين / ١١٢٩-١١٤٣ / ولقد كـان هذا الجامع مركز إشـعاع بوجود الشيخ عبد الغنـي ومن حولـه تلاميذه ومريدوه وطلبة العلم ويتردد عليه علماء دمشق وعلماء العالم الإسلامي بين الحين والحين وهكذا فقد لبى نداء ربه وهو بكامل صحته و ملكاته فبصره وسمعه لا يشـوبهما أي ضـعف وقـد وافتـه المنيّـة كمـا اشـرنا عـام (١١٤٣) حيـث توفـاه الله في(٢٤ شعبان حيث جهز وصلي عليه في مسجد بالصالحيّة بدمشق) .

ولد عبد الغني بغياب والده في استنبول في دار (جده) العالم التاجر الشيخ محمد أمـين الـدريبكي الدمشـقي ، دمشـق زقـاق المصـبغة الكيوانيّـة (الان درويشـيّة سـوق البرغل) أمـا الـدار التـي عـاش فيهـا فهـي دار أبيـه وأجداده المعروفـة بـدار النابلسـي وهو الجـامع الفريـد فـي نشـاطه العلمـي مـا بيين عـامي / ١١٢٩ و١١٤٣ هـ / ومـا بعد بفضـل وجـود الشيخ عبـد الغنـي وأولاده وأحفـاده حيـث كـان يتـردد عليـه عـدد كبيـر مـن طلبـة العلـم ويفـد عليـه كثيـر مـن العلمـاء الأفاضـل مـن بـلاد الشّـام ومصـر والحجاز للاجتماع بالشيخ عبد الغني والآن ولله الحمد أعاد هذا الجامع سيرته الأولـى فهو مركز إشـعاع إسـلامي ولقد أقام الأسـتاذ محمد راتـب النابلسـي (خطيـب جـامع الشيخ عبـد الغنـي الحـالي) بمسـاعٍ متواصـلة لـدى وزارة الأوقـاف حيـث تـم تأسـيس المعاهد الشرعيّة بعد موافقة الجهات المختصة . ويُسعى بتوسيع جامع الشيخ عبد الغنـي النابلسـي بعـد انّ ضـم محضـر فـي الزاويـة الغربيّـة لتـتم توسـعة حـرم الجـامع المذكور وتوسعة أقسام المعاهد الشرعيّة الموجودة فيه .

وأقيم حفل تدشين هذه التوسعة الأخيرة بجامع الشيخ عبد الغني في الحرم الرئيسي بشأن التوسعة وافتتاح معهد الأسد لتحفيظ القرآن بعد صلاة الجمعة من يوم (٣٠ / ٩ / ١٩٨٨ م) وبعد انّ ألقيت خطبة الجمعة وأديت صلاتها ألقى الاستاذ محمد راتب النابلسي خطيب الجامع كلمة بهذه المناسبة .

جامع عبد الغني النابلسي : في الصّالحية قبلي المدرسة العمريّة وشرقي الحاجبيّة وهو عالم دمشق الذي ذاع صيته وطبقت شهرته الافاق أدمن المطالعة في كتب الشيخ محي الدين ابن عربي . والعفيف التلمساني . كان يدرس في دمشق (الأموي) تحت قبة النسر بعد الفجر وبعد العصر كل يوم جمعة .

استقر في الصّالحية / ١١١٩- ١١٢٩ هـ / وبقي فيها يؤم الناس في مسجده بالصلوات المكتوبة وخطبة وصلاة الجمعة والعيدين وصلاة التراويح في شهر رمضان حتى آخرعمره حيث توفي في عام (١١٤٣ هـ) كان رحمه الله رحب الصدر كثير الحلم عظيم السخاء متسامحاً مع حسّاده من العلماء ومتنازلاً عن حقوقه مع الجهلاء ، لقد قام بثورة فكريّة بجرأة ومقدرة فله رأي في جواز سماع الآلات بشروط وشرب الدخان في حدود تضمن عدم المضّرة في الوقت الذي كان يحرم في عصره السماع والتدخين حتى وشرب القهوة .

وكان أترابه من علماء دمشق ينكرون عليه هذا الاتجاه الجريء الثوري ولكنّهم بعد انّ استمعوا وقرأوا أقواله في كتبه ورسائله عادوا حظيرة من أيده من العلماء والتفّ حوله لفيف كبير من علماء دمشق . وكان له أفكار فلسفيّة وصوفيّة معتدلة تجلّت في كثير من أشعاره ، نورد منها بعض الأبيات التاليّة :

كـــنْ مـــع الله تـــرَ الله معـــك واتـــرك الكـــلّ وحـــاذر طمعـــكْ
ثـــم ضـــع نفســـك فـــي الـــذل لـــه قبـــل انّ الـــنّفس قهـــراً تضـــعكْ
وإذا أعطـــاك ، مَـــنْ يمنعـــه ثـــم مـــن يعطـــي ؟ إذا مـــا منعـــكْ
إنّمـــا أنـــت لـــه عبـــد فكـــن حـــاملاً فـــي القـــرب منـــه ولعـــكْ

كلمـــا نابـــك أمـــر ثـــق بـــه واحتـــرز للقيـــد تشـــكو وجعـــكْ
كنـــت لا شـــيء فأصـــبحت بـــه خيـــر شـــيء فـــي الـــورى قـــد صـــنعكْ
ودع التـــدبيرَ فـــي الأمـــر لـــه واصـــنعِ المعـــروف مـــع مـــن ضـــيّعكْ
هـــذه ملّـــة طـــه خـــذها ولا تُطـــع عنهـــا قصُـــوراً دفعـــكْ

ولما بلغ السابعة عشرة حيث بدأ بالتدريس فكان يجلس إليه كثير من المصلين في جامع دمشق الأموي وفي الجامع الصغير في الميدان التحتاني (السويقة) وأحيانا في جامع الأربعين ، بأعلى جبل قاسيون ، ثم اعتمد مدرساً في جامع الدرويشيّة ، إضافة إلى بعض المدارس والمؤسسات العلميّة بدمشق ومنها : مدرسة السليميّة بالصالحيّة ومدرسة الكلاسة ودار الحديث بدمشق وجامع الدرويشيّة والمدرسة العمريّة وجامع الحنابلة والمدرسة الحاجبيّة ودار القرآن الدلاميّة في الصّالحية وغيرها . ولم تفتر همته ولم ولم تنقطع نشاطاته وهو يعمل في جامعه ومنزله ونزهاته ورحلاته في التدريس والدعوة والارشاد والاحسان لمن حوله بما وهبه الله من العلم ... بكل تواضع واقبال . وكان له أفكار نقديّة في مجال الحياة الاجتماعيّة نورد بعض ابياته من قصيدة وصف فيها أهل الشّام ويعني دمشق على وجه الخصوص :

لا تـــدخل الشّـــام اذا لـــم يكـــن للحـــق مـــن قلبـــك تمكـــين
وأنـــت فـــي حـــال التقّـــى ثابـــت لا تختفـــي منـــك المضـــامين
فكـــم ســـليم القلـــب ذي يقظـــة علـــى الهـــدى فيـــه بـــراهين
لمـــا اتـــى الشّـــام وصـــارت بهـــا تصـــحبه تلـــك الـــدهاقين
صـــار الـــدهي والمكـــر فـــي طبعـــه واســـودّ منـــه المـــاء والطـــين
وطبـــع اهـــل الشّـــام فيهـــا ســـرى لـــه مـــدى الاوقـــات تلـــوين
فاهلهـــا قســـمان إمّـــا لهـــم ديـــن وإمـــا مـــالهم ديـــن
والانبيـــاء والاوليـــاء ملؤهـــا شـــمت لهـــا فـــيهم عـــرانين

فيهـــــا رجـــــال الله أحـــــوالهم كـــــأنهم فيهـــــا ســـــلاطين

إلى انّ قال :

مـــا عنـــدهم للحـــقّ مـــن حرمـــةٍ وديـــــنهم ظـــــنّ وتخمـــــين
عـــــالمهم يحســـــد أمثالـــــه كانـــــه فـــــي الحقـــــد تنـــــين
مـــــنهم احبـــــاء اذا مـــــالتقوا وفـــــي افتـــــراقهم ثعـــــابين
بـــل عنـــدهم فـــي مجلـــس واحـــد مـــن بعضـــهم للـــبعض تـــدهين
وبـــاطن التـــدهين مـــا بيـــنهم فـــي ضـــمنه عيـــب وتشـــيين
وإن تكـــن بهـــا فـــلا تخـــتلط بأهلهـــا يســـم لـــك الـــدّين
وكـــن كـــذامثلي دائمـــاً مـــن قومـــه بالبيـــت تحصـــين
والمـــرء فـــي احوالـــه لـــم يـــزل إن ســـاء حـــين ســـرّ ه حـــين

ومن أشعاره في شرب القهوة وسماع الآلات الموسيقيّة (الناي ، الوتر) والتدخين :

قهـــوة الـــبن حـــلال مـــا نهـــى النـــاهون عنهـــا
كيـــف تـــدعى بحـــرام وأنـــا أشـــرب منهـــا

* * * * * *

إن الســـماع ســـماع النـــاي والـــوتر يســـقى أراضـــي نفـــوس النـــاس كـــالمطر
فـــإن يكـــن فـــي النفـــوس الطيـــب فـــاح لـــه وإن يـــك الخبيـــث فيهـــا جـــاء بالضـــرر

ومنها عن الدخان :

شـــربنا دخـــان التـــتن لا عـــن مـــودة لكنـــه الممقـــوت عنـــد ذوي الحجـــى
ولكـــن عفريـــت الهمـــوم تصـــدّرنا عصـــانا فـــدَخَّننّا عليـــه ليخرجـــا

وفاته :

بعد انّ أصابته وعكة في (١٦) شعبان عام (١١٤٣ هـ) (١٧٣١ م) استمرت اياماً لم يشك خلالها من آلام مرض من الأمراض حيث وافته المنيّة فلقي وجه ربه عصر يوم الأحد في (٢٤ شعبان عام ٠ ١١٤٣ هـ) وقد جهز ودفن بعد صلاة ظهريوم الاثنين في ٢٥ شعبان عام ١١٤٣ هـ وبذلك فقد عاش ثلاثاً وتسعين سنة وثمانيّة أشهر وتسعة أيام كانت حافلة بعطائه وانتاجه العلمي الذي خلّد اسمه في الاوساط العلميّة في العالم الإسلامي وفي المؤسسات العلميّة والفكريّة في العالم على وجه الخصوص .

وقد أعلم سبطه الشمس محمد الغزي ابنه وأحفاده بأنه استكتمه من قبل بأن إعداده للغرفة التي اتخذها مكتبة له لتكون معدة لدفنه فيها فنفذت وصيته هذه ودفن داخل المكتبة المجاورة للمسجد من الجهة الشرقيّة التي سبق انّ تم بناؤها عام (١١٢٦) قبل وفاته بسبعة عشر عاماً .

ولقد كان لنبأ وفاته أثر بليغ في نفوس أهله وأولاده وأحفاده وأسباطه ومريديه وتلاميذه وأهالي الصالحية ودمشق الشام وخاصة العلماء الأفاضل الذين عرفوا قدره حق المعرفة ولقد انتشر نبأ وفاته بسرعة البرق حيث اعلن له في المآذن . وأغلقت

حوانيت الصّالحية ومتاجر دمشق في جميع أحيائها وضواحيها يومي وفاته ودفنه وانتشر الخلق في سفوح جبل قاسيون وأزقة وأحياء محلات الصّالحية وشوارعها ولقد غصت داره ومسجده والقاعة وساحة المنزل وصحن الجامع والجناين والبساتين المحيطة والمدرسة العمريّة وجامع وديـر الحنايلة وجامع الشيخ الاكبر والمدرسة السليميّة والحاجبيّة وامتلأت هذه الأبنيّة والشوارع بالمشيّعين من علماء دمشق ووجهائها وتجارها وجميع الحكام والمسؤولين وأعيان القرى في ضواحي دمشق ....

وقد قام حفظة القرآن والمنشدون بالتلاوة والإنشاد طيلة ليلة وفاته وهو مسجى في القاعة حيث سخن الماء بأعواد العنبر والند والمنشدون يرددون قصائد شعره التي نتتناسب مع المناسبة .

وفيما يلي بعض الأبيات من قصيدة (خلوة القبر) التي نظمها من قبل يصف مصير الإنسان للموت ويصف خلوة القبر :

خلوة القبر أشرف الخلوات بلقاء الحبيب في الجلوات
خلوة القبر راحة وسرور ودخول في أشرف الجنات
هي لكل عبد سعيد يترقى بها علا الدرجات
ليس – والله – من يمت فهو ميت إنما الموت موت هذه الحياة
خلوة القبر لذة ونعيم لسيد قد ذاق سر الممات
حضرو تجمع المتيم فيها أي جمع أكمل الحالات
وهي سجن لكل عبد شقي يتدلى بها إلى الدركات
خلوة القبر للتجرد عما يشغل الروح عن أتم الصفات

الأضرحة والتـــرَب

عرفت بلاد الإسلام كلها الأضرحة والترب والمقامات التي تنشا فوق القبور و وأكثر المسلمون من إنشائها ، وكانت التقاليد المعماريّة الشائعة في العمارة الإسلاميّة هي عمليّة وجود الضريح في حرم الجامع . ولقد لقيت الأضرحة والترب اهتماماً كبيراً في العهد السلجوقي . حيث ابتكر السلاجقة إنشاء مبنى معماري خاص فوق القبر ، يتكون من بهو تقوم عليه قبة فوق القبر ، وتنوعت أشكال الأضرحة في العصر السلجوقي حيث بنيت على شكل أبراج اسطوانيّة ، أو ذات اضلاع وواجهات أو على شكل عمائر ذات قباب .

وفي العصر الأيوبي كثر بناء الأضرحة والترب ، لكنها ازدادت انتشاراً في العصر المملوكي ' وتشبه في تصميمها الأضرحة المعروفة في العصور السابقة ، الا أنها تطورت في هذا العصرحيث زاد ارتباط الضريح ببناء المدرسة والجامع ، حيث انتشرت عمليّة دمج قبة التربة مع المصلى ، والجمع بين التربة والمسجد ، أو التربة والمدرسة وكان ذلك يتم وفق التصميم المتبع في تربة ركن الدين بدمشق ، حيث انشئت التربة بجوار المدرسة الركنيّة البرانيّة .

وقد أخذت بعض الترب نظاماً مستقلاً في تشكيلها المعماري ، حيث بنيت حسب تخطيط خاص و ولها جبهة حجريّة ضخمة وجميلة وفيها بوابة مرتفعة تزينها المقرنصات . وتتألف غالباً من قاعتين أحداهما للضريح ، والأخرى للمصلى ، مسقوفتين بقباب مرتفعة وجميلة .ولا بد من الإشارة إلى انّ القبة قد غدت من ابرز عناصر العمارة الإسلاميّة في الأضرحة والترب الخاصة . حتى لا يكاد يخلو ضريح أو تربة أو مشهد من قبة تعلوه حيث ابتكر المعماريون المسلمون أشكال القباب ، تدل على عظمة ومهارة هندسيّة بارعة متميزة . كما جعل الفنانون من الخط العربي

بأنواعه المختلفة ميداناً فسيحاً للزخرفة ، فكانت سجلاً حافلاً بالفنون والزخرفة وجمال الكتابة .

التربـة : المقبرة أو موضـع القبور ، غير انّ معناها تحول منذ بدايّـة القرن الثامن للهجرة إلى القبر الذي تعلوه قبة عظيمة ، وكثيراً ما كان يشاد إلى جانبها مدرسة أو مكتبة أو مكتب ايتام أو مسجد .

<u>– تربة آل النابلسي :</u>

المعروفة حالياً بمقبرة الشيخ إبراهيم تقع في سفح جبل قاسيون في الصّالحية فيها مسجد صغير إلا انّ الأيام أكلت منها مساحات ودرست أكثر القبور وأقيمت مكانها دور للسكن وقد اوصى الشيخ إسماعيل شيخ الإسلام ولد الشيخ عبد الغني بدفنه فيها أما عبد الشيخ الغني فقد دفن في غرفة مكتبته وأصبحت بجوار الجامع الان .

<u>– تربة ركن الدين :</u>

تقع في سفح جبل قاسيون – في محلة ركن الدين بدمشق / ساحة شمدين آغا . وهي ذات مخطط نادر ، انشا التربة والمدرسيّة المجاورة لها أحد الأمراء الأيوبيين الأمير ركن الدين منكورس الفلكي عام (٦٢١ هـ / ١٢٢٢٤ م) .

بنيت التربة بالحجارة الضخمة ، قبة التربة محززة . ترتكز على رقبة من الحجر المنحوت ، تتألف من طبقتين من النوافذ .

أما الكتابة التاريخيّة فتقع فوق النافذتين . وتتألف من سبعة أسطر بالخط النسخي الأيوبي المحفور

<u>– التربة التكريتيّة :</u>

تقع بمنطقة الصّالحية ، في سفح جبل قاسيون ، تنسب التربة إلى أبي البقاء بن علي بن مهاجر التكريتي الربعي ،بنيت سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨ م)وتضم قبر الوزير

تقي الدين لبتكريتي وهو أبو البقاءابن على بن مهاجر التكريتي الربعي وزير المنصور قلاوون بدمشق ، المتوفى عام (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) . والتربة ليست من إنشائه . ، ولكنها بنيت له بعد وفاته . كانت تسميها العامة تربة الشيخ الذهبي ، ولعل أحد بني الذهبي دفن فيها ، في جملة من دفن .

وللتربة بوابة جميلة ذات مقرنصات تتميز بزخارفها الجصيّة الرائعة .

لا زالت في الصّالحية ، بجادة المدارس قبالة دار الحديث الاشرفيّة البرانيّة والمدرسة المرشديّة .

- التربة العماديّة :

شمال المدرسة الجهاركسيّة المشهورة .

- التربة الفرنتيّة :

تقع في زقاق المدارس ، وفيها قبر الشيخ علي الفرنتي المتوفى سنة (٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م).

- تربة مثقال :

قبالة الجامع الجديد تهدمت ولم يبق منها سوى جدرانها والضريح ، وهو للمجاهد أبو سعيد مثقال بن عبد الله الجمدار المتوفى سنة (٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م) .

- تربة زوجة الملك المعظم عيسى بن العادل :

وتسمى عين الشمس توفيت سنة (٦٣١ هـ) ودفنت معها ابنتها ، ولم بيق من التربة سوى واجهتها والقبران ، وعرفت بالقاهريّة نسبة إلى الملك القاهر إسحاق ابن الملك العادل أبي بكر .

- التربة الصارميّة :

غربي جامع الحنابلة ، تهدمت وتحولت إلى بيت للسكن ، وبقي الضريح وهي نسبة لصارم الدين برغش العادلي المتوفى سنة (٦٠٨ م هـ) .

تربة ابن سلامة :

شرقي الصّالحية ، تنسب إلى الحسن بن سلامة الرقي المتوفى سنة (٦١٠ هـ) .

- تربة ريحان :

شمال غرب المدرسة الجهاركسيّة ، نسبة إلى ريحان بن عبد الله عتيق الملك المعظم عيسى الأيوبي . بنيت سنة (٦٤١ هـ) .

- التربة الأسديّة : تنسب إلى علي بن عبد القادر القرشي الأسدي المتوفى سنة (٦٣٥ هـ) .

- التربة الكنجيّة :

كانت بالصالحيّة إلى الشمال القريب من جامع الحنابلة في الزقاق شرقي ، وبقي منها واجهته ، عليها كتابات تؤرخ وفاة اثنين من آل الكنجي أحدهما سنة (٦٥٢ هـ) والثاني سنة (٦٧٠ هـ) .

- التربة الدوياجيّة :

تقع قبالة باب جامع الحنابلة الشرقي ، دفن فيها سلطان جيلان شمس الدين دوباج الذي توفي في طريقه إلى الحج سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) .

- تربة الأمير غورلو :

كان نائباً للسلطنة في دمشق ، توفي سنة (٧١٩ هـ / ١٣١٩ م) فدفن في تربته التي شيدها وتقع شمالي جامع الحنابلة .

- تربة عبد الرحمن ابن نجدة :

الذي كان نقيبا في قلعة دمشق توفي في سنة (٦٠١ هـ) وتقع شمال جامع الحنابلة .

تربة ابن سلطان :

كانت بالصالحيّة جنوب التربة المعظميّة .

- تربة ابن المعتمد :

كانت بسفح قاسيون وهي تربة القاضي شمس الدين محمد بن المعتمد القرشي المتوفى في العهد المملوكي سنة (٨٧٣ هـ) وهي غير التربة المعتمديّة في الصّالحية ، وغير مقبرة المعتمد في حيّ الميدان .

- تربة ابن تميرك :

كانت في سفح قاسيون على جادة الطريق . عند تربة الأمير زين الدين قراجا الصلاحي وبجوار التربة الإستداريّة والتربة القراجيّة .

- تربة ابن فضل الله العمري :

كانت بالصالحيّة تجاه المدرسة اليغموريّة . تنسب للقاضي محمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى في العهد المملوكي سنة (٧٤٦ هـ) والمدفون فيها .

تربة ابن الزكي :

كانت في موضع الجامع السليمي (جامع الشيخ محي الدين) تجاه المدارس من الصّالحية . وفي القلائد الجوهريّة : تربة المحيوي (الشيخ محي الدين)كانت في الأصل تربة ابن الزكي تسميتها الأسبق . تربة الصصري .

تربة ابن المقدم :

كانت في الصّالحية وهي غير التربة المقدميّة البرانيّة بمقبرة الدحداح .

- تربة ابن المنجا :

كانت في الصّالحية تنسب لقاضي القضاة محمد بن محمد بن منجا المتوفى سنة (٧٧٠ هـ) ولا علاقة لها بالمدرسة المنجائيّة في الجامع الأموي .

- تربة ابن الندى الحريري :

كانت بالصالحيّة شمال شرقي الشركسيّة (المدرسة الجهاركسيّة)

تربة ابن هلال : كانت بسفح قاسيون بحارة مسجد التينة من الصّالحية ، عند مسجد ابن هلال .

تربة ابن الرومي :

كانت بالصالحيّة ، غربي التربة الناصريّة البلبانيّة .

التربة الأتابكيّة :

لا زالت بالصالحيّة ، في المدرسة الأتابكيّة بجادة المدارس (سوق الجمعة)

– التربة الاذرعيّة :

كانت بالصالحيّة ، في حارة ابن المقدم ، تجاه شبابيك الجامع الجديد من جهة الشرق .

– التربة الارمويّة :

كانت بسفح قاسيون من الصّالحية ، بجانب مقبرة الروضة من جهة الشمال ، وعندها الزاوية الارمويّة ، ومسجد الارموي .

– التربة الإسكافيّة :

كانت بسفح قاسيون من ترب الصّالحية في محلة السكة

التربة الاستداريّة :

كانت من ترب الصّالحية عند المدرسة الاستداريّة بجوار تربة ابن تميرك ، تنسب للأمير شمس الدين بن استادار المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦٢٨ هـ) .

التربة الأسديّة :

كانت من ترب الصّالحية إلى الغرب من المدرسة الجهاركسيّة ، والشمال الشرقي من التربة التكريتيّة ، ولصيقها مسجد الأسدية ، تنسب إلى نجم الدين الأسدي الزبيري المتوفى في العهد الأيوبي سنة ٦١٨ هـ وهي غير التربة اسدية في الشرف القبلي .

– تربة أمة اللطيف :

لا زالت داخل مدرسة العالمة برأس جادة العفيف .

- **تربة اولاد الزاهر :**

كانت في الجهة الغربيّة من حيّ الصّالحية ، في زقاق الشهابيّة .

- **التربة الايبكيّة :**

كانت في الصّالحية بسوق النجارين و تنسب للأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الشجاعني الصالحي أنشأها بحدود سنة (٦٦٣ هـ)

التربة الايدكينيّة :

كانت في حيّ الصّالحية فوق نهر يزيد ، إلى الجنوب المجاور للمدرسة الركنيّة . تنسب لمنشئها في العهد الأيوبي الأمير بدر الدين داود بن أيدكين الصالحي ، متولي قلعة بصرى من قبل الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل ، المتوفى في بدايّة سنة (٦٣٠ هـ)

- **التربة الايدمريّة [١] :**

كانت بسفح قاسيون ، في حارة السكة برأس جادة العفيف قرب المدرسة والتربة اليغموريّة . تنسب لمنشئها الأمير عز الدين ايدمر بن عبد الله الحلبي المتوفى في بدايات العهد المملوكي سنة (٦٦٧) هـ والمدفون فيها ، وتعرف أيضاً بالتربة العزّيّة الحلبيّة ، وبالتربة العزيّة والمسجد الحلبيين .

- **التربة الايدمريّة [٢] :**

كانت بالخانقاه العزيّة في الجسر الأبيض ، وتعرف أيضاً بالتربة العزيّة ، تنسب للأمير عز الدين أيدمر الظاهري .

- **تربة أينبك :**

كانت في حيّ الصّالحية ، إلى الشمال الغربي القريب من جامع الحنابلة .

- **التربة البدريّة :**

كانت عند جسر كحيل على نهر ثورا (عند ساحة الميسات اليوم) تجاه المدرسة الشبليّة البرانيّة .

- **التربة البدريّة الحمزيّة :**

كانت بسفح قاسيون عند جامع الأفرم ، تنسب إلى العلاّمة الحنبلي حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسين بن بدران المعروف بابن شيخ السلاميّة والمتوفى في العهد المملوكي سنة (٧٦٩ هـ) والمدفون فيها ، وتعرف أيضاً بالتربة العزيّة البدرانيّة الحمزيّة .

تربة بركة الأماج :

كانت بحي ركن الدين من جهة الغرب ، في سفح قاسيون ، عند بركة الأماج .

- **التربة البزوريّة :**

كانت بسفح قاسيون ، فوق سوق القطن (سوق القطانين) إلى الشمال الشرقي من جامع الشيخ محي الدين ، عند المدرسة البزوريّة ، لصيق مسجد سراقة من جهة الغرب ، في حارة الشعارة ، تنسب لأبي بكر ابن البزوري المتوفى في العهد المملوكي سنة (٦٩٤ هـ) والمدفون فيها .

- **تربة بني البارزي :**

كانت بالصالحيّة شمالي تربة البيمارستان القيمري .

- **تربة بني الزكي :**

كانت بقاسيون ، انظر تربة ابن الزكي .

- **تربة بني الشريشي :**

كانت بالصالحيّة ، قرب الجامع الأفرم .

- **تربة بني العامري :**

كانت بقاسيون

- **تربة بني عبادة :**

كانت في الصّالحية ، بمقبرة الروضة من جهة الشرق .

- **تربة بني العز :**

كانت بالصالحيّة ، قرب المدرسة المعظميّة .

- **تربة بني الناصح :**

لا زالت في محلة الفواخير ، ضمن مدرسة العالمة (أمة اللطيف) ، تنسب لمنشئتها العالمة الحافظة بنت الناصح الحنبلي الشيرازي ، وتعرف أيضاً بالتربة المعظميّة ، لبني الناصح .

- **تربة بني هلال الدولة :**

كانت بالصالحيّة ، شمالي التربة الناصريّة البلبانيّة .

- **التربة البهائيّة :**

كانت في الصّالحية ، بجادة السكة ' قرب المدرسة اليغموريّة ،الناصريّة البرانيّة بينهما (عند شارع الرشيد الحالي ، الاخذ من رأس جادة العفيف إلى شارع ناظم باشا) . تنسب لبهاء الدين محمود بن سلمان بن فهد الحلبي المتوفى في العهد المملوكي سنة (٧٢٥ هـ) والمدفون فيها ، ولا علاقة لها بالقبة البهائيّة . في مقبرة الباب الصغير .

- **التربة البهنسيّة :**

كانت بسفح قاسيون ، عند المدرسة البهنسيّة دفن فيها بالعهد الأيوبي مجد الدين البهنسي وزير الملك الأشرف موسى المتوفى سنة (٦٢٨ هـ) فتنسب إليه .

- **تربة البواعنة :**

كانت بسفح قاسيون من الصّالحية ، شمال الزاوية الداوديّة .

- **تربة البيمارستان القيمري :**

لا زالت في الصّالحية ، جنوبي قبة العظام .

- التربة التاجيّة المقدميّة :

كانت بالصالحيّة مجهولة الموقع ' تنسب لمنشئها تاج الدين محمود بن كامل ، التفليسي المتوفى في العهد المملوكي سنة (٧٠٤ هـ) وهي غير المدرسة التاجيّة بالجامع الأموي .

-التربة الجامعيّة الغربيّة :

كانت بجبل قاسيون على الطريق ؟ تنسب للفقيه جامع الغربي المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦٠٢ هـ)

التربة الجاموسيّة :

كانت بالصالحيّة ، بشارع اسد الدين .

تربة جركس :

لا زالت في المدرسة الجهاركسيّة بجادة المدارس من الصّالحية و تنسب للأمير فخر الدين جركس الصلاحي من أمراء السلطان صلاح الدين المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦٠٨ هـ) والذي تنسب المدرسة الجهاركسيّة إليه .

- التربة الجماليّة الأسنائيّة القوصيّة :

كانت في جبل قاسيون ، تنسب إلى جمال الدين الأسنائي القوصي المتوفى في العهد الأيوبي ، سنة (٦٢٥ هـ) والمدفون فيها . وهي غير المدرسة الجماليّة بأرض السكة من سفح قاسيون .

- التربة الحافظيّة :

هي تربة المدرسة الحافظيّة في الصّالحية بدرب الشبليّة ، قبلي جسر كحيل ، شمالي تربة القيمريّة ، نقلت من موضعها عدة أمتار عند تنظيم المنطقة . تنسب للسيدة

خاتون أرغون المتوفاة في العهد الأيوبي سنة (٦٤٨ هـ) ولقّبت بالحافظيّة لأنها قامت بتربيّة الأمير الحافظ أرسلان بن الملك العادل أبي بكر ، وكان بهذه التربة مسجد ومدرسة . وقد نسبت تسميتها بالتواتر على ألسنة العامة إلى (ستي حفيظة) تماماً مثلما نسبوا باب الجابيّة إلى (ستي جابيّة) وكذلك (ستي زيتونة) بسوق صاروجا وغيرها .

- التربة الحريريّة :

كانت في الصّالحية ، بجادة المدارس ، قبالة جادة ابن المقدّم ، والغرب القريب من تربة القيمريّة وهي غير الزاوية الحريريّة في الشرف القبلي ، وغير الزاوية الحريريّة الأعقفيّة بالمزة .

- التربة الخطابيّة :

كانت في سفح قاسيون بالصالحيّة ، تنسب للأمير عز الدين خطاب ، المتوفى في العهد المملوكي سنة (٧٢٥ هـ) والمدفون فيها .

- تربة خاتون :

لا زالت في الصّالحية ، بالمدرسة الأتابكيّة ، وهي تربة تركان خاتون أخت أرسلان أتابك وزوجة الملك الأشرف موسى الأيوبي وبنت الملك عز الدين مسعود ابن زنكي ، توفيت سنة (٦٤٠ هـ) ودفنت فيها ، وهي غير تربة خاتون (رقم ٢) أو التربة الخاتونيّة التي دفنت فيها عصمة الدين خاتون ابنة الأمير معين الدين أنرو وزوجة نور الدين ثم صلاح الدين .

التربة الخاتونيّة :

لا زالت في الصّالحية في جادة ابن المقدم ، بالجامع الجديد ، أوقفتها عصمة الدين (ووردت أيضاً عصمت) بنت الأمير معين الدين أنرو سنة (٥٧٧ هـ) من العهد الأيوبي و ودفنت فيها عند وفاتها سنة (٥٨١ هـ) وقد حُولت هذه التربة إلى مسجد ثم أضيفت إلى الجامع الجديد ، في العهد المملوكي سنة (٧٩٠ هـ) .

وذكـر العلمـوي موقعهـا علـى نهـر يزيـد بصـالحيّة دمشـق قبلـي (المدرسـة) الجهاركسيّة . وتعرف أيضاً باسم تربة خاتون . ولا يزال البناء قائماً إلى اليوم .

- **التربة الخواجكيّة :**

كانـت فـي الصّـالحية ، قبالـة مدرسـة الصـاحبة و غربـي المدرسـة الركنيّـة البرانيّـة تنسـب لمنشـئها محمـد بـن علـي الصـالحي الشـهير بـابن الحـارة المتـوفى فـي العهـد المملوكي سنة (٨٢٦ هـ) .

- **التربة الخوارزميّة :**

كانـت فـي الصّـالحية بسـفح قاسـيون ، تحـت كهـف جبريـل ، فـوق حـارة البلاقنـة ، وعنـدها مسـجد وزاويّـة ، تنسـب تسـميتها للشـيخ الخـوارزمي المتـوفى فـي زمـن غيـر معلـوم ، والـذي يعتقـد النـاس بأنـه مـن الأوليـاء ، تسـمى أيضـاً : الزاويـة الخوارزميّـة ومسجد الخوارزميّة .

- **التربة الخيميّة :**

كانت بالصالحيّة ، بالسكة ، شرق مسجد الأسديّة . وتنسب لمنشئها تقي الدين أبي بكر بن محمود الخيمي المتوفى سنة (٦٤٧ هـ) .

- **التربة الداوديّة :**

كانت في جبل قاسيون من الصّالحية . تحت كهف جبريل بجوار الزاوية الداوديّة .

- **التربة الدخواريّة :**

كانت في الصّالحية ، شرقي المدرسة الركنيّة البرانيّة ، وهي غير المدرسة الدخواريّة التي كانت بجوار البيمارستان الدقاقي بالصاغة القديمة .

- **التربة الديماميّنيّة :**

كانت في الصّالحية ، عند المدرسة الديماميّنيّة إلى جهة الشمال الغربي من المدرسة الجهاركسيّة . وتعرف أيضاً بالتربة الدما نيسيّة نسبة لمنشئها الشهيد الشيخ الصالح صدر الدين حميد بن عليا الدمانيسي المتوفى سنة (٦٤٣ هـ) من العهد الأيوبي ، وكذلك بتربة الشرفا .

- **التربة الدوباجيّة :**

لازالت في الصّالحية ، شرقي جامع الحنابلة ، عند المكاريّة ، تنسب للملك شمس الدين دوباج صاحب جيلان المتوفى في العهد المملوكي سنة (٧١٤ هـ) .

- **تربة الذهبي :**

كانت في الصّالحية إلى الغرب القريب من الجامع الجديد .

- **التربة الزاهريّة :**

كانت في الصّالحية . شرقي المدرسة العمريّة الكبرى على حافة نهر يزيد ، في مسجد تربة الملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركو صاحب حمص ، توفي في العهد المملوكي سنة (٦٩٢ هـ) ودفن فيها و تسميتها الاخرى تربة الملك الزاهر .

- **تربة الزكريّة :**

كانت في الصّالحية غربي البيمارستان القيمري .

- **التربة الزينيّة الخازنيّة :**

كانت في الصّالحية ، تجاه الباب الجنوبي لجامع الحنابلة

التربة الساويّة :

كانت في الصالحية ، بجوار المدرسة الصاحبة من جهة الشمال بشارع أسد الدين اليوم ، تنسب لمنشئها الأمير شهاب الدين محمدبن أبي بكر بن الساوي المتوفى أواخر العهد الأيوبي سنة (٦٥٥ هـ) .

- تربة السبكيين :

في الصّالحية بسفح قاسيون إلى الجنوب من كهف جبريل والتربة الخوارزميّة . وعند ابن طولون : قرب مسجد طوطح (طوطة) في حارة المتاولة من جهة الشرق و والمشهور عند الناس انّ تربة السبكيين كانت على ضفاف نهر يزيد من جهة أبي رمّانة ومن غير المعروف انّ كان هذا ادعاء من العوام أم انّ للسبكيين مقبرة ثانيّة .

- تربة الست أقسا :

لا زالت في الصّالحية ، إلى الشمال من جامع الحنابلة وتربة الست ياسمين .

تربة الست ياسمين :

لا زالت في الصّالحية إلى الشمال من جامع الحنابلة .

- التريّة الستيّة :

كانت بالصالحيّة ، ولا يُعرف عن موقعها سوى أنها لصيق التربة التاجيّة المقدميّة ، وهذه بدورها مجهولة الموقع ، تنسب للحاجة ست العراق ابنة الاشجاع (لعل أصلها شجاع) التي أنشأتها في العهد الأيوبي لولدها محمد سنة (٦١٦ هـ) .

- التربة السلاميّة :

كانت في سفح قاسيون تجاه دار الحديث الناصريّة بمنطقة الفواخير بين التربة العادليّة البرانيّة وجامع الأفرم ، تنسب لقطب الدين موسى بن شيخ السلاميّة المتوفى في العهد المملوكي سنة (٧٣٢ هـ) .

- التربة السخاويّة :

كانت بجبل قاسيون . مجهولة الموقع ، تنسب للشيخ الامام علم الدين أبي الحسن الهمذاني السخاوي المصري المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦٤٣ هـ)

التربة السراجيّة :

كانت في الصّالحية ، تنسب لعلي بن عبد الله السراج المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦١٤ هـ) وهي غير الزاوية السراجيّة بالصاغة العتيقة .

التربة السنقريّة الصلاحيّة :

كانت في الصّالحية ، تنسب للامير مبارز الديت سنقر الحلبي الصلاحي المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦٢٠ هـ) . وفي موقعها اختلاف .

– التربة السودونيّة :

في سفح قاسيون ، تحت كهف جبريل ،شمالي جادة العفيف والمدرسة المعظميّة تنسب لحاجب الحجّاب الأمير سودون النوروزي ، المتوفى في العهد المملوكي سنة (٨٤٨ هـ) .

التربة السويديّة :

كانت في الصّالحية في سفح قاسيون . شرقي التربة الكامليّة ، الصلاحية (التربة الكامليّة الصلاحيّة البرانيّة تحت كهف جبريل) وعندها رباط التربة السويديّة .

تربة شرباش :

كانت في الصّالحية ، شرقي الشركسيّة .(شرقي المدرسة الجهاركسيّة) وجنوب تربة ابن الندى الحريري . تنسب للأمير الكبير شرباش .

تربة شمس الدين بن الخويي :

كانت يسفح قاسيون ، تنسب لقاضي القضاة شمس الدين بن الخويي ، المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦٣٧ هـ) .

التربة الشهابيّة :

كانت في الصّالحية ، ولا تتوفر عنها معلومات ، تنسب للشهاب محمود ؟ وهي غير الخانقاه الشهابيّة في حيّ الكلاسة .

تربة الشيخ أبي عمر :

بسفح قاسيون من جهة الشرق ، تنسب للشيخ أبي عمر المقدسي محمد بن أحمد بن قدامة صاحب المدرسة العمريّة في الصّالحية المتوفى سنة (٦٠٧ هـ) .

- تربة الشيخ موفق الدين (ابن قدامة) :

كانت بسفح قاسيون .

- التربة الصارميّة :

لا زالت في الصّالحية ، إلى الغرب القريب من جامع الحنابلة ، تنسب لنائب القلعة بدمشق صارم الدين برغش العادلي المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦٠٨ هـ) والدفون فيها ، وقبره من أجمل القبورالحجريّة داخل التربة التي أصبحت داراً للسكن اليوم.

التربة الصايغيّة :

كانت بسفح جبل قاسيون ، ولا تتوفر عن موقعها أيّة معلومات أخرى تنسب لقاضي القضاة عز الدين المخافر الدمشقي ، المعروف بابن الصائغ المتوفى في العهد المملوكي سنة (٦٨٣ هـ) وتعرف أيضاً بالتربة العزيّة الصايغيّة ، وهي غير التربة العزيّة الأيبكيّة الحمويّة في شارع المتنبى بزقاق الصخر . وغير التربة العزيّة بالجسر الأبيض .

التربة الصصريّة :

كانت في سفح قاسيون . بحي ركن الدين من الصّالحية ، عند المدرسة الصصريّة والمدرسة الركنيّة البرانيّة ولا تتوفر عنها معلومات . تنسب إلى ابناء الصصري .

التربة الصفويّة :

كانت في الصّالحية ، شرقي التربة العزليّة .الواقعة إلى الشمال من جامع الحنابلة ، تنسب لواقفها سيف الدولة فضل بن مليح بن عبد الله الصفوي من العهد الأيوبي سنة (٦٣١ هـ) .

التربة الصيرفيّة : كانت في الصّالحية ، جنوبي التربة المهرانيّة ' وأعلى بركة الأماج ، تنسب ال جمال الدين إبراهيم بن محمود بن عباد الصيرفي المتوفى في العهد الأيوبي ، سنة (٦٤٤ هـ)

التربة الطغريليّة :

كانت بالصالحيّة ، ولا يُعرف عن موقعها سوى أنها لصيقة التربة السنيّة ، تنسب لشجاع الدين طغرل بن حيدر الملكي الناصري المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٥٩٤ هـ) .

التربة الطهيريّة :

كانت بالصالحيّة ولا يُعرف عن موقعها سوى أنها كانت إلى الجنوب من التربة الطغريليّة ، تنسب لظهير الدين الطوبنا بن عبد الله عتيق قايماز النجمي المتوفى أواخر العهد الأيوبي سنة (٦٥٢ هـ) .

تربة عائشة الباعونيّة :

تسميّة شائعة غير صحيحة أطلقها الناس على التربة العفيفيّة التي كانت بالصالحيّة بمحلة الشبليّة عند ساحة الميسات اليوم . تنسب للفقيهة الشاعرة الاديبة عائشة الباعونيّة ولدت ، وتوفيت بدمشق سنة (٩٢٢ هـ)

التربة العادليّة البرانيّة :

لازالت في سفح قاسيون (إلى الشمال المجاور لساحة المالكي عند شارع إبراهيم هنانو اليوم) وفيها ضريح السلطان المملوكي الملك العادل (كتبغا العادلي المتوفى سنة (٧٠٢ هـ) وعندها مسجد العادليّة ومئذنته . تسميتها الاخرى : تربة العادل كتبعا ، وتربة كتبغا .

التربة العبيديّة :

كانت في ركن الدين من الصّالحية ، شمال المدرسة الركنيّة البرانيّة ولها قبة لطيفة تنسب لعبد الرحمن أحمد بن عبيد أنشأها سنة (٧٢٨ هـ) .

التربة العزيّة :

كانت بالخانقاه العزية في الجسر الأبيض ، تنسب للأمير عز الدين أيدمر الظاهري نائب الشّام في العهد المملوكي أيام الملك الظاهر بيبرس . المتوفى سنة (٧٠٠ هـ) والمدفون بها . وتعرف أيضاً بالتربة الأيدمريّة .

التربة العزيّة الايبكيّة الحمويّة :

كانت بسفح قاسيون غربي زاويّة ابن قوام ، تنسب للأمير عز الدين أيبك الحموي نائبدمشق في العهد المملوكي المتوفى سنة (٧٠٣ هـ) والمدفون فيها بعد نقل رفاته من حمص ، واليه ينسب حمّام الحموي بمحلة مسجد القصب ، وتعرف أيضاً بالتربة الايبكيّة الحمويّة .

التربة العزيّة الحلبية:

كانت بسفح قاسيون . تنسب لمنشئها الأمير عبد العزيز بن منصور بن وداعة الحلبي المتوفى في العهد المملوكي سنة (٦٦٦ هـ) .

التربة العفيفيّة :

كانت بمحلة الشبليّة (عند ساحة الميسات اليوم) فوق نهر ثورا ، و إلى الجنوب الغربي المجاور للخانقاه الشبليّة ، تنسب للعفيف بن أبي الفوارس المتوفى في بدايّة العهد المملوكي سنة (٦٦٢ هـ) وكان عندها مسجد العفيف بن أبي الفوارس . وهي غير تربة العفيف في الصّالحية ، وغير الزاوية العفيفيّة بجادة العفيف و وتطلق العامة على هذه التربة خطأ اسم تربة عائشة الباعونيّة .

تربة العفيف :

كانت بالصالحيّة ، بصف قبّة الكيلاني من جهة الغرب تنسب للعفيف عمران الطبيب وهي غير التربة العفيفيّة .

تربة علاء الدين المرداوي :

كانت بسفح قاسيون تحت مقبرة الروضة تنسب للقاضي علاء الدين المرداوري ، ولا تتوفر عنها معلومات أخرى .

التربة العلانيّة :

كانت بالصالحيّة تحت كهف جبريل ، شرقي الزاوية الخوارزميّة ، ويعتقد ابن طولون بفراغ عمارتها في العهد المملوكي سنة (٧٠٦ هـ) ، لكنها مجهولة لديه .

تربة علمْدار الناصري :

كانت بسفح جبل قاسيون ، تنسب للأمير عَلمدار الناصري المتوفى في العهد المملوكي سنة (٧٩١ هـ) والمدفون فيها .

التربة العلوشيّة :

كانت بالصالحيّة بمحلة السكة غربي جان السبيل . انشئت للفقيه الإمام الشاب ناصر الدين منصور بن شيخ الإسلام علاء الدين بن منصور بن علي بن علوش المالكي المتوفى في العهد الأيوبي سنة ٦٣٣ هـ

التربة العماديّة :

لا زالت بالصالحيّة ضمن إحدى البيوتات السكنيّة إلى الشمال المجاور للمدرسة الجهاركسيّة . وهي اول تربة بنيت بالجبل على قول ابن طولون ، وعندها الزاوية العماديّة ، انشأها العمادي احد أمراء نور الدين المتوفى أواخر العهد الأتابكيّ سنة (٥٦٥ هـ) والمدفون فيها . واقول أخطأ العلموي عندما نسب التربة للعماد الكاتب (صاحب المدرسة العماديّة أسفل العصرونيّة المتوفى سنة (٥٩٧هـ) وكرّر بدران نفس الخطأ عندما نقل عن العلموي .

تربة عين الملك :

كانت بالصالحيّة ، إلى الشمال من التربة الأسديّة والجنوب من مسجد طوطيح (مسجد طوطة) تحت تربة السبكيين وكهف جبريل ، وعندها زاويّة عين الملك . تنسب للشيخ تقي الدين أبي محمد عين الملك ابن الشيخ زين الدين رمضان الاخلاطي . المتوفى في العهد المملوكي سنة (٧٥١ هـ) والمدفون فيها .

تربة العيني :

كانت بالصالحيّة ، بجوار الجامع الجديدة من جهة الشمال ،تنسب للخواجا أبي بكر بن العيني المتوفى في زمن غير معروف والمدفون فيها .

التربة الغزليّة :

لا زالت في الصّالحية شمال جامع الحنابلة وتنسب لنائب الشّام في العهد المملوكي سيف الدين غزلو المتوفى سنة (٧١٩) والمدفون فيها ، وعند زيارتها ١٩٩٣ م وجدت أنها تحولت إلى مستودع للبضائع .

التربة الفاطميّة :

كانت في الصّالحية شرقي تربة الكيلانيّة في الصف القبلي ، تنسب لمنشئتها الحرمة (السيدة) فاطمة بنت السنقر الطغدسي المتوفّاة في العهد الأيوبي سنة (٦٠٦ هـ) .

تربة الفواخير : كانت بسفح قاسيون عند الفواخير

تربة القاضي عز الدين بن الصائغ كانت في قاسيون .

التربة القراجيّة الصلاحيّة :

في سفح قاسيون ، عند تربة تميرك . تنسب للأمير زين الدين قراجا الصلاحي صاحب صرخد ،المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦٠٤ هـ) والمدفون فيها ، وقبره اليوم داخل مدفن جامع أبي النور في حيّ ركن الدين . وتعرف أيضاً بالتربة القراجيّة .

– التربة القرشيّة :

كانت في سفح قاسيون ، محلة ركن الدين فوق مقبرة الروضة من جهة الغرب تنسب لمنشئها عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن طعم القرشي المتوفى آخر العهد الأيوبي سنة (٦٥٧ هـ) .

التربة القماريّة :

كانت في سفح قاسيون ، تنسب لقماري خاتون بنت حسام الدين بن ضياء الدين أبي الفوارس القيمري المتوفاة في العهد المملوكي سنة (٦٩٤ هـ)

التربة القيمريّة :

لا زالت في الصّالحية ، بجادة المدارس قبالة ، البيمارستان القيمري ، تنسب لمنشئها الأمير سيف الدين القيمري المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦٥٤ هـ) والمدفون فيها .

التربة الكامليّة الصلاحيّة البرانيّة :

كانت بسفح قاسيون ، تحت كهف جبريل ، ولا تتوفر عنها أيّة معلومات ،

التربة الكجكنيّة :

لا زالت برأس جادة العفيف ، بجوار مدرسة العالمة ، وكان قبالتها من جهة الشمال خان السبيل ، تنسب لموقفها الأمير سيف الدين كجكن بن عبد الله الناصري ، في العهد المملوكي سنة (٧٢٢ هـ) استناداً للنقش الكتابي الحجري فوق بابها (أخطأ ابن طولون ومن نقل عنه في تاريخها فاورده سنة (٧١٢ هـ) والصواب ما ذكرناه) . وتعرف هذه التربة أيضاً بالتربة الكجكريّة .

التربة الكرمانيّة :

كانت بالصالحيّة غربي المدرسة الركنيّة البرانيّة ، بشمال ، أنشئت للأخوين الفقيهين الشافعيين كمال الدين إسرائيل ، وجمال الدين إسماعيل ، أبناء عبد الخالق بن كرمان ، المتوفان في العهد الأيوبي سنة (٦٣٤ هـ) .

التربة الكنديّة :

كانت في سفح قاسيون ، تحت كهف جبريل ، تنسب للعلامة تاج الدين الكندي المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦١٣ هـ) ولا علاقة لهذه التربة بالمقصورة الكنديّة في الجامع الأموي .

التربة الكيلانيّة : كانت في الصّالحية ، قرب جامع الحنابلة من جهة الشمال ، ولا تتوفر عنها معلومات .

تربة مثقال الجمدار :

لازالت في الصّالحية ، برأس جادة ابن المقدم ، قبالة الجامع الجديد و تنسب للمجاهد أبي سعيد مثقال بن عبد الله الجمدار الأيوبي (أو الجمندار) الملكي الناصري المعظمي ، المتوفى في العهد الأيوبي بحدود سنة (٦٢١ هـ) والمدفون فيها وتعرف أيضاً بالتربة المثقاليّة .

تربة المدرسة الماردانيّة :

لازالت في جامع المردانيّة بالجسر الأبيض ، وقد اتّخذ منها آل المؤيّد لهم .

التربة المحمديّة الامينيّة :

كانت بسفح قاسيون إلى الشمال من جامع الحنابلة ، نتسب لمنشئها أمين الدين محمد بن أبي العيش الأنصاري ، المتوفى في العهد المملوكي سنة (٧٣٤ هـ) والمدفون فيها .

التربة المصعبيّة :

كانت في الصّالحية ، بجادة المدارس قبالة المدرسة الأتابكيّة .

التربة المظفريّة :

كانت في الصّالحية في الشمال الشرقي من المدرسة الصاحبة ، تنسب لمنشيئها نقيب قلعة دمشق شمس الدين مظفر بن الحاج ايوب الدمشقي المتوفى في بدايّة العهد المملوكي سنة (٦٦٧ هـ) .

التربة المعتمديّة :

كانت في الصّالحية بجوار المدرسة العمريّة ، الكبرى من جهة الشمال ، تنسب للمبارز ابرهيم بن موسى المعروف بالمعتمد ، المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦٢٣ هـ) ، والمدفون فيها ، وهي غير تربة ابن المعتمد بسفح قاسيون ، وغير مقبرة المعتمد في حيّ الميدان .

التربة المعظميّة :

كانت بسفح قاسيون ، تنسب للملك المعظم عيسى بن العادل أبي بكر محمد بن أيوب ، وتحت قبّتها دفنت الخاتون أم الملك المعظم وزوجة الملك العادل ..انظر ايضاً المدرسة المعظميّة . وهي غير التربة المعظميّة لبني الناصح .

تربة الملك العزيز :

كانت بالصالحيّة . غربي التربة الناصريّة البلبانيّة واغلب الظن أنها تربة الملك العزيز عماد الدين عثمان بن الملك العادل أبي بكر محمد ، توفي في العهد الأيوبي سنة (٦٣٠ هـ) ، ودفن في المدرسة المعظميّة بسفح قاسيون (شمال جادة العفيف بينها وبينها وبين مقبرة المهاجرين) .

تربة الملك المعظم :

كانت في سفح قاسيون ، بالصالحيّة ، داخل المدرسة المعظميّة تنسب للملك عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن محمد المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦٢٤ هـ) والمدفون فيها .

تربة منلا زاده العجمي :

كانت بسفح الصّالحية ، ولا تتوفر عنها أيّة معلومات .

التربة المنيعيّة :

كانت بالصالحيّة :

ومجهولـة الموضـع وتنسـب للشـاب الصـالح إسـماعيل بـن منيـع الملكـي المعظمـي المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦٠٧ هـ) .

تربة ناصر الدين محمد بن مبارك الاينالي :

كانت بالصـالحيّة شرقي تربـة السبكيين ، تحت كهف جبريل تنسب للأمير ناصر الدين محمد بن مبارك الاينالي المتوفى في العهد المملوكي سنة (٨٧٨ هـ) .

تربة المهرانيّة :

كانت في الصّالحية اعلى بركة الاماج ،تنسب للشهيد فتح الدين أبي طالب حسن بن عبد الله المهراني المتوفى آخر العهد الاتابكي سنة (٥٦٨ هـ) .

تربة المولهين :

كانت في الصّالحية و بحارة الحياك الشرقيّة ، إلى الجنوب المجاور لوادي الشياح شمالي زقاق أبي السباع . عند قبر الشيخ يوسف القميني .

التربة الناصريّة البلبانيّة :

كانت في سوق الجمعة بجادة المدارس من الصّالحية ، تجاه الزاوية الفرنثيّة تنسب لناصر الدين محمد بن يوسف الدين بلبان ، انشأها في العهد المملوكي سنة (٧٣٧ هـ) وهي غير التربة الناصريّة في دار الحديث الناصريّة البرانيّة .

التربة النجميّة العدويّة :

كانت في محلة الصّالحية ، جنوب مئذنة جامع الحنابلة الشماليّة . وهي غير التربة النجميّة في سوق صاروجا .

التربة النشابيّة :

كانت في الصّالحية عند مقبرة الروضة ، تنسب لأمير الطبلخانة عماد الدين بن النشابي المتوفى في العهد المملوكي سنة (٦٩٩ هـ) .

التربة النظيفيّة :

لازالت في الصّالحية ، إلى الغرب من باب رواق جامع الحنابلة ، قبالته ، تنسب لواقفها محمد بن علي نظيف المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦٠٢ هـ) والمدفون فيها . وتقع التربة ضمن بناء سكني قديم كان قد ذكره فاتسنكر في بدايات هذا القرن سنة (١٩٩٤ م) .

التصوف في فكر ابن عربي

كان التصوف الإسلامي قد اجتاز مسافة طويلة حين بدأ الشيخ محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي بكتابة مؤلفاته الغزيرة في أواخر القرن السادس الهجري ، أو الثاني عشر الميلادي ، ففي الشطر الاخير من القرن الثاني للهجرة ، كانت رابعة العدويّة قد أسست نزعة الحب الالهي التي صارت فيما بعد جزءاً من نظريّة المعرفة الصوفيّة والتي سوف تنمو على يد ابن عربي نفسه لتصبح نظرية في المحبة الإنسانية الشاملة ليس من السهل بمكان انّ يُلِمّ المرء حتى بالمسارات المحوريّة لتراث ابن عربي ، اذا ما حصر نفسه ضمن إطار مقالة واحدة محدودة الصفحات ، فضلاً عن انّ مؤلفاته من الكثرة بحيث لا تكاد تحصى وبالإضافة إلى انّ نصوصه شديدة التعقيد إلى حد الاستعصاء على الفهم الصافي في كثير من الاحيان ، فإن

منهجه مركب من عناصر شديدة التباين والتنوع ، إذ انّ الرجل من ينابيع لا حصر لها ، شأنه في ذلك شأن كل مفكر كبيروالأهم من ذلك أنه يستفيد من الموروث الصوفي برمته فقد جاء مذهبه غنياً بالمعاني والأفكار والمعلومات ، الشديدة التباين بل لعل في ميسورك القول بأن تراث الشيخ الأكبر موسوعة صوفيّة قائمة بذاتها .

هذا يعني ، بوضوح مبين ، انّ منهجه قد ضم جميع المناهج السابقة ، أو قل إنه استفاد من مصادر كثيرة ومتنوعة وشديدة التنوع والتباين ، ولهذا فقد جاء تراثه معقداً وعسيراً على الإدراك .

فابن عربي كثير الحديث عن مراتب البشر الذين يصنفهم في أربع درجات وهي : العامة والخاصة وخاصة الخاصة وخلاصة الخاصة . وهذا الصنف الأخير هو نقاوة الجنس البشري في نظر الشيخ (انّ الاربع لها وقع خاص في ذهن ابن عربي) وفي مذهب ابن عربي أن الشفقة على الناس هي واحدة من أبرز المناقب الأخلاقيّة ، وان اقامة النشأة الإنسانية ورعايتها وتعهدها بالحفظ والصيانة هي من أبرز واجبات الانسان السوي المعافى ، وبما انّ الكائن البشري ما خلق إلا من أجل الكمال ، فإن " من سعى في هدمه فقد سعى في منع وصوله لما خلق له " على حد قوله في الفص الثامن عشر من (فصوص الحكم) . وقدبجلّ ابن عربي الانسان كثيراً بحيث صار في الميسور القول بأن مذهبه هو المذهب الإنساني .

ولكن مذهب ابن عربي قد بلغ أوجه في مبدأ الحب الذي تحدث عنه كثيراً ، وخاصة في (الفتوحات) و(الفصوص) ، ولقد دفعه هذا المبدأ إلى التفصيل في لوازمه ، ولا سيما الجمال والمرأة ، فالجمال عنده هو سبب وجود الحب والمرأة هي الكائن الذي لا يُعرف كنهه إلا من عرف سبب وجود العالم . ولقد دفعه مذهبه المتفائل إلى القول (ما ثمة إلا جمال) ومما هو ملحوظ انّ جميع أصحاب وحدة الوجود متفائلون ، لا يرون في الدنيا سوى الجمال والخير والحب حتى لكأن حساسيتهم ضامرة أو مخموجة . يقول الشيخ في أواخر الباب الثالث والثلاثين من

(الفتوحات) : " فسبحان الذي خلق العالم للسعادة لا للشقاء ، فكان الشقاء فيه عرضاً عرض له ثم يزول "

وعلى أيّة حال فإن أعظم برهة عبّر بها الشيخ عن مذهبه في الحب الشامل ، الذي من شأنه انّ يعانق جميع جميع أصناف البشر هي تلك التي جاءت في ديوان له " عنوانه ترجمان الاشواق " الذي أراه درّة من درر الشعر التراثي كله . وإليكم هذه الابيات اقبسها منة تلك القصيدة النونيّة الخالدة ، وهي التي تجلب فيها النزعة الإنسانية النبيلة عند ابن عربي خير وجه ممكن ، بل هي بلغت ذروة جدّ شامخة حقاً .

يقول الشيخ :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ، ودير لرهبان
وبيت لأوثان ، وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
اديـن بدين الحب أنى توجهت ركبانه ، فالحب ديني وإيماني

وللحق أنها مأثرة جلى من مآثر الإنسان انّ يعتنق ديانة الحب في زمن الاحقاد والضغائن ، زمن التناحر الدموي المريع الذي تجهله أعتى الوحوش وأكثرها شراسة وضراوة ومما ينبغي معرفته ابتغاء الزيادة في التوضيح انّ ابن عربي قد أطلق اسم (الهوى) ، الذي هو الحب ، على الله سبحانه وذلك في هذا البيت الشعري اللافت للإنتباه :

وحق الهوى انّ الهوسبب الهوى
ولولا الهوى في القلب ما عبد الهوى

إن كلمة (الهوى) الثالثة تعني الحب بكل تأكيد وربما كان للرابعة المعنى نفسه ، أما في المواضع الاخرى فلا تعني سوى الله سبحانه وتعالى .

ولكن السؤال الذي لابد له من انّ يتبادر إلى الذهن في هذا الموضع هو هذا : لماذا راح ابن عربي يتبنى المذهب الإنساني وما يقتضيه من التزام بمبدأ المحبة الشاملة ؟

ألا يجوز الزعم بأن الزمن الذي عاش فيه قد كان بمثابة الحاضنة التاريخيّة التي انبتت ذلك المذهب النازع إلى تبجيل الآنسان ؟

فمن غير المعقول انّ تتشكل المذهب والفلسفات بمعزل تام عن ازمانها أو على حيدة من شروطها التاريخيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة .

ففي زعمي انّ العودة إلى التاريخ ، أو إلى عصر ابن عربي حصراً ، قد تسعفنا كثيراً أو قليلاً، إذا ما حاولنا نستوعي السبب الذي دفع الشيخ الآكبر صوب اتخاذموقف إنساني نبيل . فقد عاش في زمن اشتدت وطأة حروبه على الناس في الشرق والغرب حين وصل ابن عربي إلى المشرق عام (١٢٠١ م) كانت مائة سنة أو أكثر بقليل قد مضت على بدايّة الحروب الصليبيّة بويلاتها ومجازها التي شملت الاناضول والجزيرة والشام ومصر وطرفاً من شمال الحجاز ، ولقد عاصر ابن عربي معركة حطين (١١٨٧ م) كما عاصر الحروب التي دارت بين صلاح الدين وقلب الاسد (١١٨٩ – ١١٩٢ م) .

وقد نملك في ضوء هذا الوضع التاريخي انّ نستوعي السبب الذي جعل الشيخ يتحمس لوحدة الوجود ووحدة الاديان والبشر ، وكذلك لقيمة الانسان ، بل تجاوز ذلك إلى المناداة بالمحبة التي تصلح انّ تكون أرضيّة لوحدة الجنس البشري برمته .

ولكن أهم ما في أمره أنه كثيراً ما ينمّ عن خبرة نادرة بالمستدقات ، او بالأمور العليا التي لا تبلغها إلا النفوس المطهّمة والفطر الفائقة ذات القامات البازخة . زمن أمثلة ذلك قوله : " علوم الاكابر كلها ذوقيّة " أو قول : الشوق علم الذوق "

وكذلك قوله : " أنت الطّلسم الاعظم والقربان الاكرم " . ثم اليكم هذه الباقة من كلمات الشيخ :

" النفس بحر لاساحل له " .

" النور ليس من عالم الشقاء "
" لاشيء أقوى من النور لأن له الظهور وبه الظهور "
" الجمال معشوق لذاته "
" الادب جُمّاع الخير كله "
" لا عذاب على النفوس أعظم من الحياء "
" لولا الكلام لكنا اليوم في عدم "
" إرخ الستور على البدور "
" ليس الشّرف إلا لسر العلم "

وفضلاً عن هذه الاذواق والألطاف الحسنى ، التي شأنها انّ تجعل الشيخ صوفياً فريداً .

وأيّاً ما كان واقع الحال ، فإن الشيخ الأكبر ، واحد من أندر الكتّاب ، الذين كتبوا باللغة العربيّة منذ بدايّة النثر العربي وحتى زمن الناس هذا ، بل إنه واحد من نخبة الرجال الذين أنجبهم الجنس البشري طوال تاريخه كله .

فإن مزايا الشيخ الأكبر كثيرة جداً دون أدنى ريب ولولا كثرة مناقبه وتفوقها على مثالبه لما أتيح له انّ يصير محط اهتمام الخواص والعوام منذ زمنه وحتى يوم الناس هذا .

ومن مقالة للدكتور محمد حبش بعنوان (ابن تيميّة وابن عربي ...حكايّة من دمشق)

يسكن ابن تيمة جامعة دمشق خلف المدرج الرئيس ' ويسكن في قاسيون ابن عربي في جبل الصّالحية حيث سمي باسمه أكبر حيّ في قاسيون حيّ الشيخ الاكبر محي الدين بن عربي .

عاش بن عربي في الفترة (٥٥٨- ٦٣٨) هجريّة حيث جاء قادماً من الاندلس واختار سفح قاسيون ليكون شاهداً باقياً على رسالة دمشق في الحب والتسامح ولكن ابن تيميّة الذي جاء بعده بأقل من قرن رفع صوته بالغضب من فتوحات ابن عربي وفصوصه وحكمته واشاراته ودلالاته ، ولم يتردد في اعتبار تلك اللاشارات اشكالاً من الكفر الاكبر ، إلى حد جعل اتباع ابن تيميّة يستخدمون في وصف الشيخ محي الدين الشيخ الاكفر . !!

وخلال عقود قليلة من الزمن كتب فقهاء كثر من تيار ابن تيميّة يدينون فكر ابن عربي بأقسى العبائر ، وظهرت سلسة متعاقبى من الكتب في تكفير ابن عربي ، وقال ابن حجر العسقلاني إذا لم يكن كتاب الفصوص لابن عربي كفراً فلا كفر في هذه الدنيا !! .

وقد جمع برهام الدين البقاعي هذه الأقوال في كتاب خاص سماه : تنبيه الغبي إلى كفر ابن عربي . وصار كثير من الفقهاء لا يذكرونه إلا مع الملاحدة والزنادقة واعداء الدين !!.

ومن جانب آخر فقد انبرى عدد من علماء الشريعة للدفاع عن ابن عربي وكتبوا عدداً من الكتب في منزلته وفضله ، فكتب السيوطي كتابه تنبيه الغبي إلى تبرئة ابن عربي ، وكتب عبد الوهاب الشعراني كتابه اليواقيت والجواهر في بيان عقيدة الاكابر وكتب ايضاً تنبيه الاغبياء إلى قطرة من بحار علوع الاولياء . ولكن دمشق ظلت تحتضن ابن عربي وتمنحه أبرك صلواتها ، وترسل إليه أعذب أشواق الزوار الاهبة ، وعند أعتابه كتبت أعذب قصائد الشوق وتألق القراء والحفاظ والعلماء ، ولا زال علماء دمشق إلى اليوم يعقدون مجالس الاقراء عند روضته الكريمة ، وجاء المغاربة فأقاموا إلى جواره ، وغدا ابن عربي جسراً للمعرفة والعطاء بين العرب والاندلس وبين الشرق والغرب ، وبكل أمانة فإنه لا يوجد في دمشق باستثناء الجامع الأموي معلم تاريخي أغزر من مرقد الشيخ محي الدين .

لاتحتاج لكثير عناء لتدرك كيف كان الشيخ محي الدين بن عربي يفكر ، والى أي مدى كان شديداً في حربه على احتكار الخلاص ، ولا يوجد في تاريخ التسامح الديني في العالم عبارة أشهر ولا أصدق من أبياته الخالدة :

لقد كنت قبلاً منكراً كل صاحب إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كلّ ملة فمرعى لغزلان وديرٌ لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني

وكان الأمير عبد القادر الجزائري صريحاً في تأييده لموقف ابن عربي ، ولا ينسى أهل الشّام موقف الأمير من طوشة النصارى التى وقعت في الشّام (١٨٦٠) م حيث لم يكن للنصارى ملاذ يلجئون إليه إلا دار الأمير عبد القادر رحمه الله .

ومع انّ عادتنا في مواجهة عبارات السادة الصوفيّة انّ نضفها بالشطح حفاظاً على سمعة الامام الصوفي لئلا يوصم بمخالفة الجمهور ، ولكن محاذير الشطح لا تحل عند ابن عربي أي مشكلة ، فالرجل ماض إلى خلاف الجمهورفي كلّ مسالة نظر فيها وحروف كتبه كله ناطقة بتميزه وخلافه ويتعذر تأويلها وهو مصر على المضي في خلافه إلى الغايّة على طريقة الدوماني الغضبان : كل ما حللها شيخ يحرمها مائة ألف شيخ !!

لكن ابن عربي ظل يحفظ في الذاكرة الجماعيّة لأهل الشّام أطيب الذكرى ، ولم تنطفئ على الرغم من كل ما قيل أشواق العاشقين الوافدين على مرقده ، وظل أهل الشّام ينذرون للفقراء عند ضريح الشيخ محي الدين بن عربي ويشكرون الله عند روضته ، وصار دعاؤهم الحمد لله على الاسلام والسكنى بالشام ، والسكنى بالصالحيّة وجوار الشيخ الاكبر .

ولكن وللأسف فإن أفكار ابن عربي في التسامح لم تدخل منهج التعليم في سوريّة ، وظلت تعامل على أنها شطح يرتجى له غفران الله وليس – كما أرادها – فتحاً يرتجى فيه رضوان ! على الرغم من أنها تعكس ذهنيّة المحبة والاخاء التي نجدها في أبناء سوريّة على إختلاف مذاهبهم .

يبقى الضريحان في دمشق رمزاً لتعايش الفكر المتعدد في سوريا ، وتقسم بينهما دمشق بالسويّة . ولكن سوريا إذ يتزاحم ملوكها ليدفنوا في جوار ضريح أبن عربي وأعتابه ، وتنشد عند ضريحه أعذب مغاني الشوق والوصال ، وتكلل اسم الشيخ الاكبر على أعلى أحيائها في جبلها الشامخ تقدم رسالة واضحة تذكرك بقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك) انتهت المقالة .

من كرامات الشيخ الاكبر :

إلى جوار ضريح سلطان العارفين الشيخ الاكبر ابن عربي ، تُفاجأ بوجود خمسة قبور بجواره .. ومن بين هذه القبور قبر الشيخ محمد أمين خربوطلي .. وقصة هذا القبر من أطرف القصص ، ويحلف لك أكثر من واحد في صحن الجامع أنهم رأوها بأم أعينهم وكلهم تجاوزوا الستين .

ولكن من هو الشيخ أمين ؟ يقول أحد العارفين أنه كان أثيراً عند السلطان عبد الحميد في اسطنبول ، وقال أخر انه رأى في المنام سلطان العارفين يستدعيه اليه و فاستأذن السلطان انّ يجاور الشيخ فأذن له ، فشد الرحال إلى دمشق وخدم الجامع أربعين سنة . وقال ثالث : انّ السلطان كان يجري له كل سنة ليرة عثمانيّة .. المهم انّ الشيخ أمين توفي فجهز وكفن في الجامع ، واحتار الناس أين يدفنونه فانقسموا في الرأي : قسم اكد أنه يستحق لخدماته وفضله انّ يدفن إلى جانب سلطان العارفين وقسم اكبر رفض ذلك وقرر دفنه في تربة أخرى . ولجأ هذا القسم إلى إقفال باب الضريح بالأقفال منعاً لدفنه هناك ، وتعالى اللغط واحمرت العيون ، وكادت تحدث فتنة ، وجاءت الشرطة وفرقت بين الفريقين ، ولكنها وقفت محتارة ،

هنا انبرى شيخ عجوز وقال : ارفعوا النعش ووجهوه نحو باب الضريح ، وإذا سمح له الشيخ الأكبر فسيبدي الاشارة ! . ورضي الفريقان ورفع نعش الشيخ أمين فدار بالحاملين وكأنه ارجوحة إلى باب المقام وهنا حدثت الاشارة : سقطت الاقفال وانفتح الباب على مصراعيه فهلل الناس وكبروا !.

وقال عجوز من أبناء منطقة الشيخ محي الدين ، يختم القصة والأسطورة ، لقد وجدوا قبره مهيئاً ومحفوراً لاستقباله [1]

المساجد والجوامع[1]

[1] مجلة سوريّة السياحيّة : العدد (٥) ، المجلد (٢) ١٩٨٦ إصدار وزارة السياحة السوريّة .

المسجد : المكان الذي تقام فيه الصلاة ، وهو الموضع الذي يسجد فيه ، وأصل التسمية من السجود ، ويفترق عن الجامع بأن صلاة الجمعة لا تقام فيه . وقد اشتمل حيّ الصّالحية على عدد كبير من المساجد نعد منها :

- جامع الحنابلة :

بني في العهد الأيوبي وفق مخطط شبيه بالجامع الأموي . وهو أول جامع كبير بني في دمشق من بعده ، ويمتاز بمحرابه الحجري الرائع الصنع . وليس له شبيه في المحاريب الاخرى . ويشتهر بمنبره الخشبي الغني بالنقوش والزخارف .

لازال في الصّالحية و إلى الشمال من المدرسة العمريّة باشر ببنائه في العهد المملوكي الشيخ أبي عمر محمد بن قدامة المقدسي سنة (٥٩٨ هـ) . ثم دعمه بالمال الامير ظظفّر الدين أبي سعيد كوكبوري صاحب اربل وزوج ربيعة خاتون أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وهو أول من سن سنة الاحتفال بتالمولد النبوي ، وتم إنجاز البناء سنة (٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م) ثم جدد عام (١٩٨٧م) والجدير بالذكر أنه كانت فوق الجامع مئذنتان ، فهدمت إحداهما وأبقي على الآخرى ، و يُعرف هذا الجامع أيضاً بجامع الجبل لوقوعه في سفوح جبل قاسيون ، وجامع الجبل المظفري نسبة لمظفر الدين كوكبوري ، وجامع الحنبليّة . الصالحين وجامع الصّالحية ، وجامع المظفّري . ومسجد الصالحين .

- مسجد الطشتدار :

---

[1] المراجع : ذيل ثمار المقاصد لطلس ٢٥٠ / خطط دمشق للعلبي / مآذن دمشقللشهابي / منادمة الاطلال لبدران / ثمار المقاصد لابن عبد الهادي / الدارس للنعيمي / مخطط الصّالحية لدهمان / البدايّة والنهايّة لابن كثير / معجم دمشق التاريخي قتيبة الشهابي .

يقع جنوب جامع الحنابلة ، ينسب إلى عبد الرحمن بن عبد الله الطشتدار الذي جدده سنة (٦٣٧ هـ) .

- جامع الشيخ محي الدين بن عربي :

يعتبر من أبرز المعالم الأثريّة ذات القيمة الدينيّة في منطقة الصّالحية ، وهو من مشيدات بدايات العهد العثماني في حيّ الصّالحية ، جادة المدارس (سوق الجمعة اليوم) ،أنشأه السلطان سليم الأول سنة (٩٢٤ هـ / ١٥١٨م) فوق ضريح الشيخ محي الدين بن عربي الحاتمي الأندلسي ولد ابن عربي (أبو بكر علي الحاتمي الطائي) بمرسيّة في الأندلس سنة (٥٦٠ هـ) وساح في البلاد . وضع كثيرا من المؤلفات في التصوف جعلته من أئمة المتصوفين والفلاسفة الإلهيين ، و اختلف الناس فيه ، فبعضهم أنكر عليه فلسفته ، وبعضهم رفعه إلى مرتبة الأولياء والعارفين بالله- توفي في دمشق سنة (٦٣٨ هـ / ١٢٤٠م)، كما دفن بجانبه في حقب لاحقة كل من ولديه : سعد الدين وعماد الدين ، وفي غرفة الضريح ثلاثة قبور أخرى ، واحد للأمير عبد القادر الجزائري و قد نقلت رفاته إلى الجزائر بعد استقلالها وبقي الضريح الخشبي موضعه ، و الثاني بجواره للشيخ محمد أمين الخربطلي ناظر الجامع الأسبق ، والثالث لمحمود سري باشا صهر الخديوي إسماعيل حاكم مصر ، وتذكر المصادر التاريخيّة انّ راشد باشا والي سوريا مدفون في هذا المكان ، لكنني لم أشاهد إلا ستة أضرحة لمن ذكرت ،ولعله دفن في الضريح الأخير ، ومن جهة الشرق من الجامع تربة صغيرة لبعض عظماء الأتراك .

يُعرف جامع الشيخ محي الدين بأسماء مختلفة ، فهو الجامع السليمي نسبة لمنشئه السلطان سليم ، وجامع المحيوي نسبة للشيخ محي الدين ، ثم عمارة السلطان وعمارة الخنكار وجامع الخنكار .

صفاته المعماريّة :

مشيدة كبيرة متقشفة العناصر الزخرفيّة ، صممها المهندس العثماني شهاب الدين المملوكي بن العطار ، و استعملت في بنائها أعمدة نقلت من دار السعادة المملوكيّة ، بوابتها مرتفعة تعلوها كتابات مؤرخة ، وتقع غرفة الأضرحة في الجهة الشرقيّة من الصحن وينزل إليها بعدة درجات ، و هي قاعة مستطيلة تغطي جدرانها بلاطات القاشاني الزرقاء المزخرفة ، وتعلوها قبة ملساء مدببة تستند إلى رقبة مضلعة بطبقة واحدة مؤلفة من اثني عشر ضلعاً نافذة مقوسنة .

- جامع الركنيّة :

شرقي الصّالحية وفوق الميطور أنشأه الأمير الكبير ركن الدين منكورس الفلكي . قال ابن كثير في تاريخه في سنة احدى وثلاثون وسبعمائة .

جامع الحاجبيّة :

لا يزال في الصّالحية . وهو جامع المدرسة الحاجبيّة . ومشيد على ارضها مجدداً سنة (١٩٨٠ م) و يُعرف ايضاً بجامع ابن مبارك وجامع الاتابكي ابن مبارك ، نسبة لبانيه والمدرسة الحاجبيّة في العهد المملوكي الامير الحاجب محمد بن مبارك شاه الدمشقي سنة (٨٧٠ هـ) .

جامع الجديد :

لا يزال في الصّالحية بجادة ابن المقدم ، إلى الشمال من حمام المقدم والجنوب من المدرسة الجهاركسيّة ، على حافة نهر يزيد على الطريق الآخذ إلى كهف جبريل ، وكان في الاصل تربة السيدة عصمة الدين خاتون بنت الامير معين الدين أنر وزوجة نور الدين الشهيد . ثم صلاح الدين الأيوبي أنشأتها في العهد الأيوبي سنة (٥٧٥ هـ) ثم وسّعتها وأقامت معها جامعاً وفي سنة (٧٠٩ هـ) من العهد المملوكي وسعه التاجر سليمان بن حسن العقيري بتولي ابن التدمري فصار يُعرف

بالجـامع الجديـد، و يُعـرف ايضـاً بجـامع الخـاتون ، وبجـامع الخاتونيّـة ، وبمسـج الخاتونيّة البرانيّة .

مسجد خاتون :

الذي في آخر الشرف القبلي من الغرب فهو منسوباً إلى خاتون أخرى قديمة وهي زمرد بنت جاولي أخت الملك دقاق لامه وزوج زنكي والد نور الدين .

- **جامع الماردانيّة :**

على حافة نهر ثورا لصيق الجسر الأبيض ، وهو المشهور بالمدرسة الماردانيّة .

- **جامع الخنكار :**

(السلطان سليم) (و الخنكار كلمة فارسيّة استعملها الأتراك بمعنى السلطان) على حافة يزيد عند تربة المحيوي ولصيق البيمارستان القيمري من جهة الشرق .

جامع أبي الدرداء :

لا يزال في الصّالحية إلى الشرق من مدرسة الصاحبة وكان في الاصل مصلّى يُعرف بمسجد أبي النور ، انشأه في العهد الأيوبي الامير سيف الدين محمد سنة (٦١٤ هـ)

- **جامع الأفرم :**

لايزال في منطقة المهاجرين الى الشرق من ساحة المالكي بناه نائب دمشق الامير جمال الدين الافرم في العهد المملوكي سنة (٦٠٧ هـ) وجُدّد بناؤه بالحجارة سنة (١٩٥٥) . و يُعرف أيضاً بمسجد الافرم .

جامع بعيرة :

لايزال في ساحة السبع بحرات عند زاويّة التقاء شارع الشهبندر بشارع الباكستان ، شيده أبو راشد بعيرة ١٩٣٨ م ودفن فيه .

جامع الجبل :

نسبة لجبل قاسيون الذي شيد جامع الحنابلة في سفوحه .

جامع دك الباب :

كان في طريق الصّالحية ، عند التقاء جادة الشهداء بجادة عرنوس ، شيده أبو على يوسف دك الباب سنة (١٨٩٧ م) ودفن فيه سنة (١٩٠٦ م) ، واحترق سنة (١٩٦٥ م) ثم اعيد بناؤه مجدداً في موضع قريب من موضعه الأصلي إلى الشرق المجاور لثانويّة جول جمال في حيّ الطلياني سنة (١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م) استناداً إلى اللوحة الحجريّة المؤرخة فوق بابه .

جامع الشبليّة : كان بمحلة الشبليّة (بساحة الميسات ومجاوراتها اليوم) في المدرسة الشبليّة البرانيّة . و يُعرف بمسجد الشبليّة .

جامع شمديين آغا :

كان في أقصى الجهة الشرقيّة لحي ركن الدين قرب مستشفى ابن النفيس . شيده محافظ الحاج الشريف محمد سعيد باشا شمدين (شمس الدين) الكردي عام (١٨٩١ م) وهدم (١٩٩٦ /) عند تنظيم الشارع ، و يُعرف أيضاً بجامع سعيد باشا شمدين .

جامع الشمسيّة :

لايزال في حيّ المهاجرين . عند تقاطع جادة الشمسيّة بجادة ابن العميد ، المعروفة بالجادة الثالثة ، شيّد في العهد العثماني سنة (١٣١١ هـ) أيام السلطان عبد الحميد الثاني ، وسُمي بالشمسيّة لوجود مظلة خشبيّة عند مدخله ، وكلمة شمسيّة تطلقها العوام على المظلة الواقيّة من الشمس والمطر .

جامع العفيف :

لايزال برأس جادة العفيف الآخذة من الجسر الأبيض إلى المهاجرين ، وهو جامع قديم ذكره ابن عبد الهادي بقوله : (مسجد مستجدّ جدده العفيف بن أبي الفوارس عامل الجامع) وورد ذكره عند النعيمي وسمّاه : (مسجد العفيف بن أبي الفوارس) وهذا يعني انّ المسجد كان موجوداً في العهد المملوكي ، ويبدأ ظهور اسم (جامع العفيف لا مسجد العفيف) في العهد العثماني عندما يذكره الغزّي عرضاً في سياق ترجمته لبديع ابن الضياء سنة (٩٤٢ هـ) . وفي سنة (١٩٥٠ م) قامت مديريّة الأوقاف بهدمه وبناء جامع حديث في موضعه . وفي داخل الجامع ضريح ينسب للشيخ العفيف .

جامع نافذ أفندي :

لايزال في حيّ المهاجرين ، طريق السكة ، موقف الشمسيّة ويذكر الحصني انّ الذي شيده في العهد العثماني هو نافذ أفندي مدير التمليك بدمشق ، وسماه جامع جادة حيّ المهاجرين ' بينما يذكر طلس والعلبي أنه أحمد أفندي التركي مدير الدفتر الخاقاني بدمشق ، أقامه سنة (١٨٩٨ م) .

. المنبت الطيب جامع – أبو النور .

تبدأ حكايّة الشيخ أحمد كفتارو من جبل قاسيون المطل مباشرة على مدينة دمشق ، والذي يمثل بحق جبهة المجد الشامخة لأقدم مدينة معمورة في العالم ، ويرتفع إلى (١١٠٠م) عن سطح البحر بزيادة (٤٠٠م) عن دمشق التي ترتفع بدورها عن سطح البحر نحو (٧٠٠م) .

وقاسيون هو الاسم القديم لذلك الجبل الذي نزله من قبل الأنبياء والصالحون حتى تزاحمت مدافنهم على سفحه وأوى إليه فيما بعد مؤمنون شرّدهم الاضطهاد من بلادهم حتى ضمهم هذا الجبل العتيد يأكلون من خيراته ، ويشربون من مائه ، ويسبحون الله . مع أننا سندرج في بحثنا هنا على إيراد الوقائع للوثائق المعتبرة غير أنه لا يسعنا انّ نتجاهل ما يعتقده أهل الشّام في بركة قاسيون وفضله ولكنه على أيّة حال جزء من ذاكرة أهل الشّام التي تبلغ حداً من الاتفاق يطمئن له القلب وتقر به العين .

وقد كان من اعتقاد الصالحين في هذا الجبل أنهم كانوا يخلعون النعل إذا مشوا فيه تأدباً مع من يرقد فيه من أنبياء وأولياء وصالحين .

ولد الشيخ أحمد كفتارو في ذي القعدة عام (١٣٣٠ هـ) / (١٩١٢ م)[1] في دار الشيخ أمين والده في حيّ الزينبيّة قرب جامع أبي النور بدمشق ، وينتمي الشيخ إلى عائلة عريقة من أصول كرديّة هاجرت إلى دمشق في نهايّة القرن التاسع عشر ضمن هجرات الأكراد المتتابعة إلى دمشق .

وقد كان من الأكراد من يقدم دمشق بغرض مجاورة الصالحين فيها ، أو ابتغاء رزق الله ، أو طلباً للعلم ، لوجود اعتقاد راسخ لدى كثير من الشعوب الإسلاميّة بشرف السكن في الشّام لقدسيّة هذه البلاد وغالباً ما تسمى الشّام على لسان العجم عموماً : الشّام الشريف . وكان الأكراد يألفون الجبال فهم في الأصل شعب محارب شديد

---

[1] - في بطاقته الشخصيّة أنه ولد عام (١٩١٥ م)

يأنف الذل ويأبى الضيم ويعتز بمجده وأصوله اعتزازاً لا حدود له وقد بدأ نزولهم دمشق إثر قدوم صلاح الدين الأيوبي مع عمه شيركو أسد الدين .

انتسب أحمد إلى مدرسة الصاحبة وهو طفل وعندما كان في الصف الخامس قال لرفاق مدرسته إنه سيتفرغ لطلب العلم الشرعي ثم ودعهم وانصرف إلى شيوخ العلم ليدرس العلوم الشرعيّة .

ولما دلف الشيخ أحمد إلى الحياة كان كأنه يدرك ما خلق لأجله وأقبل وهو صبي على كتاب الله عز وجل يحفظه ويرتله وكان سائر وقته في مذاكرة القرآن الكريم وتلقي العلم على عدد من خيرة العلماء بدمشق وكان نهماً في تلقي العلوم ولما بلغ العشرين من العمر حتى استكمل آلة التحصيل العلمي واجتمعت له ملكة الاستنباط فحفظ من المتون الشرعيّة ، نحو عشرة آلاف بيت (ألفيّة ابن مالك) في العربيّة ، و (ألفيّة الزُبَد) في الفقه الشافعي (وألفيّة السيوطي في الحديث) ، ومنظومات كثيرة في علوم الشريعة واللغة العربيّة وصعد المنبر وهو فتى يافع ، وآتاه الله الحكمة ، وبعد عدة دورات من المجاهدة والمصابرة منحه والده الشيخ أمين الإجازة الكاملة بالإرشاد والتوجيه وأجازه بكل ما أجاز به مشايخه من علوم وهو في سن الحاديّة والعشرين .

تخير له والده الشيخ أمين فتاة صالحة من آل الملي وهي أسرة كرديّة كريمة فعقد عليها قرانه وهي بنت أربع عشر سنة وكان الشيخ أحمد حينئذ في السادسة عشرة وقد عاشت معه نحو أربعة وستين عاماً حتى توفيت عام (١٩٩١ م) ، ومنها أنجب سائر أولاده وهم تسعة ذكور وثلاث إناث كريمات وتزوج بعد وفاتها بعام الحاجة صباح جبري حبق وقد لازمته حتى وافته المنيّة .

بدأ الشيخ أحمد نشاطه في الدعوة إلى الله من خلال حلقة أبيه الشيخ أمين ، ولم تكن إذ ذاك إلا حلقة صوفيّة نقشبنديّة ذات نشاط محدود في العلم الشرعي فراح الشيخ أحمد يجتهد في جمع إخوان والده يهيئهم لما كان يتطلع إليه من آمال إسلاميّة في الدعوة والإصلاح وهكذا فقد كانت تربيّة الانفتاح والجماعة والإخاء التي

نشأ عليها الشيخ أحمد في دار أبيه هي التي مهدت له السبيل لقيادة حركة الوعي الإسلامي التي نذر لها حياته وجهاده فيما بعد .

وكان الناس يعجبون لهذا النشاط الكبير إذا ما جاؤوا إلى زيارة مركز الشيخ أحمد في جامع أبي النور الذي لم يكن في الحقيقة إلا مسجداً قديماً صغيراً ألحقت به عدة حجر متوزعة وباحة صغيرة و لكنه على ذلك كان مقصد كل زائر إلى الشّام وموئل الشباب التائب .

وفي مطلع السبعينات تأكدت الحاجة لإنشاء مجمع كبير يربط هذا النشاط ويستوعبه ، وفق منطق مستقبلي سديد ، وهكذا فقد ودع إخوان الشيخ تلك الحجر القديمة في المسجد ، وبدئ بإنشاء المجمع الإسلامي اعتبارا من عام (١٩٧٢ م) .

وفي عام (١٩٧٥ م) أسس الشيخ المعهد الشرعي للدعوة والإرشاد ، بقسميه الذكور والإناث في الطابق الأول من جامع أبي النور ، وخلال سنوات قليلة تم استكمال البناء بأدواره الثمانيّة ، ليستقبل أكثر المشاريع خيراً وبركة على بلاد الشّام .

ويعمل الآن في مجمع أبي النور أكثر من عشرين مفكرا إسلامياً تحصلوا على درجة الدكتوراه في المعارف الشرعيّة من جامعات مختلفة .

ويقدر عدد المؤمنين الذين يتوجهون كل جمعة إلى جامع أبي النور بنحو عشرين ألف مصل مابين رجال ونساء يتوزعون في طوابق المجمع الإسلامي الكبير الثمانيّة بملاحقها ، حيث تبلغ المساحة الطابقيّة التي تفرش لحضور الدرس ويزدحم فيها الناس يوم الجمعة حالياً بنحو (٤٩٠٠ م^{٢}) ، وستضاف إليها قريبا توسعة في حجمها ، وهي اكثر سعة من الحرم الأموي المفروش الذي يبلغ نحو (٦٠٠٠) م^{٢} ، وتتولى كاميرات التصوير نقل سائر المحاضرات بالصوت والصورة إلى سائر مرافق المجمع الإسلامي ، ويمكن القول هنا بموضوعيّة ، إنه لا يوجد في الشرق الاوسط محاضرة اسبوعيّة منتظمة يحضرها هذا العدد من الناس بدون انقطاع ،

ويتم نقل الدرس بالصوت والصورة إلى كافة ملحقات المجمع المفروشة عبر نظام صوتي ومرئي متتطور .
لمجمع الشيخ احمد كفتارو مناشط كثيرة ومتعددة على صعيد العلم والدعوة والعمل الخيري ، أما النشاط العلمي والتعليمي فإنه متواصل مستمر على مدار الساعة من خلال الأقسام المختلفةالتي ينألف منها المجمع وهي :

أولاً – المعهد الشرعي للدعوة والارشاد :
افتتح في عام (١٩٧٥ م) ، ويحتضن المئات من الطلبة الذكور والاناث ضمن قسمين كبيرين ويشتمل على المرحلتين الاعدادية والثانويّة ، ويجمع في مناهجه العلوم الشرعيّة والكونيّة ، وقد تخرج من هذا المعهد نخبة من العلماء الشباب الدعاة إلى الله الذين انتشروا في سوريّة والعديد من دول العالم .

ثانياً – المعهد التأهيلي للناطقين بغير العربيّة من القارات الخمس :
بقسميه للذكور والاناث ، وهي تجربة رائدة لتعليم اللغة العربيّة ، حيث يدرس الطالب لغة القرآن مع مبادئ العلوم الشرعيّة لمدة ثلاث سنوات ، بالاضافة إلى المئات من الطلبة المنتسبين إليه كل عام .

ثالثاً – الدراسات الجامعيّة :
يضم المجمع أربع كليات للعلوم الشرعيّة والدراسات الإسلاميّة ، تتبع هذه الكليات جامعات إسلاميّة عريقة هي :
– كليّة الدعوة الإسلاميّة التابعة لجمعيّة الدعوة الإسلاميّة العالميّة في الجماهريّة الليبيّة ، تأسست عام (١٩٨٢ م) .

– كليّة اصول الدين التابعة لجامعة ام درمان الإسلاميّة في جمهوريّة السودان ، تأسست عام (١٩٩٢ م) .
– كليّة الامام الاوزاعي التابعة لجامعة الإمام الأوزاعي في الجمهوريّة اللبنانيّة ، تأسست عام (٢٠٠١ م)
– كليّة الشريعة والقانون التابعة لجامعة ام درمان الإسلاميّة في جمهوريّة السودان .
وقد تخرج من هذه الكليات الإسلاميّة آلاف الطلبة من سوريّة والعالم .

رابعاً قسم الدراسات العليا :
حيث يمنح الطلبة درجة الماجستير والدكتوراه في عدة اختصاصات من خلال تعاون المجمع مع الجامعات الإسلاميّة .

خامساً – قسم الدراسات الإسلاميّة لغير المتفرغين (المفتوح) :
تخرج من هذا القسم عدد كبير من المهتمين بالدراسات الإسلاميّة ، وهذا القسم يعادل في مستواه العلمي الشهادة الثانويّة الشرعيّة .

سادساً دورات حفظ القرآن الكريم :
الذي تخرج منها عدد كبير من حفاظ القرآن الكريم ، وتنشط هذه الدورات في صيف كل عام وتحتضن الآلاف من أبناء وبنات دمشق وارياقها .

سابعاً – الملتقى العالمي للأئمة والخطباء والدعات والمدرسين الدينيين :
حيث يدعو المجمع في صيف كل سنة عدداً من علماء الشباب من جنسيات متعددة للمشاركة في هذا الملتقى تعزيزاً للتواصل والتعاون بين أئمة المسلمين الشباب تلقى

عليهم المحاضرات التي تؤكد الوسطيّة واحترام الاخر والكثير من الابحاث الهامة مع تقديم المناشط السياحيّة .

ثامناً – مشروع كفالة الأيتام :

وانطلاقاً من قوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) فقد أطلق المجمع في عام (١٩٩٩ م) مشروعاً خيرياً لكفالة اليتيم ، لتقديم الرعايّة التربويّة العلميّة والمساعدات الماديّة للأيتام ولأسرهم ، حيث تجاوز العدد ألفي يتيم ويتيمة وهو في ازدياد ومتابعةلهذا المشروع خطط المجمع لبناء قريّة الامل النموذجيّة للأيتام ، ولتكون فريدة في مضمونها وتوجهها ، لاستيعاب ما يزيد عن ألف من الايتام بهدف ايوائهم وتعليمهم دراسياً ومهنياً ، وفي العنايّة بهم كما يتم افتتاح دار الرحمة لرعايّة اليتيمات في عام (٢٠٠٧ م) ، حيث يحتضن مائة وخمسين يتيمة من دمشق وأريافها ، بالاضافة إلى تشييد مشفى جراحي سيخصص ريعه لمصلحة اليتيم .

تاسعاً – قسم دورات تعليم اللغة العربيّة :

وهي دورات مكثفة من ستة مستويات ، مدة كل منها ثمان أسابيع ، بمعدل أربع ساعات كل يوم ، يقيمها المجمع للطلبة الوافدين إلى سوريّة بقصد تعليم اللغة العربيّة ، وهذا القسم ينشط على مدار السنة حيث يقدم دورة كل شهرين .

بدأت هذه الدورات عام (٢٠٠٥ م) يحضرها على مدار العام أكثر من (٢٠٠) طالب ، وأكثر من (٢٥٠) طالبة .

عاشراً – دبلوم التعليم الشرعي باللغة الإنكليزيّة للذكور والاناث :

وهي دورات مكثفة للعلوم الشرعيّة باللغة الإنكليزيّة ، غايتها تعليم الإسلام للأجانب باللغة الإنكليزيّة ، مع تعليم اساسيت اللغة العربيّة ، وتساعد على قراءة القرآن الكريم ، مدة هذه الدورات من سنة إلى ثلاث سنوات ، وذلك بحسب تفرغ الطالب

واستعداده ، تأسس هذا القسم عام (٢٠٠٦ م) ، وفيه فرع خاص للإناث بنفس الغايّة .

وللدورات غايّة اضافيّة ، وهي تعليم اللغة الاجنبيّة للدعات الراغبين في السفر بهدف التعريف بالإسلام في الغرب .

الحادي عشر – مشروع لتعارفوا :

يهدف المشروع إلى تعريف الإسلام بحقيقتة وجوهره لغير المسلمين والى مد جسور التواصل والتعاون مع أبناء العائلة الإنسانيّة ، فأطلق المجمع في عام (٢٠٠٧ م) مشروعاً متكاملاً يؤطر فيه النشاطات التي يقوم عليها المجمع منذ عقود ، ويضيف إليها نشاطات أخرى ، تؤكد على ترسيخ قيم المحبة والسلام والأخوة بين أبناء البشريّة وهذه النشاطات هي :

١– دورات تعليم اللغة العربيّة : تأسست عام (٢٠٠٢ م) ، مدة كل منها شهرين يرتادها الطلبة والطالبات المسلمون وغير المسلمين والهدف منها نشر اللغة العربيّة لغة القرآن والثقافة العربيّة و الإسلاميّة لأبناء المسلمين في الغرب وكذلك لجميع أبناء العائلة الإنسانيّة ، ويتم استضافة مجموعات طلابيّة من الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا وماليزيا وغيرها ، يعلمهم اللغة العربيّة لإتاحةالفرصة لهم لمتابعة دراستهم الشرعيّة لاحقاًفي كليات المجمع ، وإطلاعهم على قيم العيش المشترك في سوريا ،

٢ – دبلوم الدعوة باللغة الإنكليزيّة تأسس عام (٢٠٠٦ م) وهو دراسة مكثفة لمدة سنة كاملة يدرس الطالب فيها الثقافة الغربيّة والنظم الاقتصاديّة والسياسيّة الغربيّة ومقارنة الاديان والاعلام بمفهومه الغربي والشبهات التي تطرح حول الإسلام كل ذلك باللغة الانكليزيّة وبجلسات حواريّة تفاعليّة يكون الطالب فيها مشاركاً وليس مستقبلاً فقط .

٣ – دورات تعريف بالإسلام لغير المسلمين تأسست عام (٢٠٠٧ م) ، وهي عبارة عن ثلاث مستويات ، مدة كل مستوى منها اسبوعين تعطى فيها محاضرات مكثفة باللغة الإنكليزيّة عن مبادئ الإسلام .

٤ – استضافة الوفود الغربيّة والشرقيّة في المجمع وتعريفها بالاسلام بحقيقته وجوهره ، وبوجه سوريا الحضاري الناصع البعيد عن التزمت والتعصب والتطرف والذي لا يمتّ إلى الإسلام ولا إلى سوريا بصلة .

٥ – مشاركة بعض الدارسين في المجمع في ندوات حواريّة داخل القطر وخارجه في اوربة وامريكا في سبيل تعزيز بناء الجسور والحوار مع اطياف المجتمع الإنساني .

٦ – اقامة الندوات الثقافيّة والفكريّة والحواريّة بالتعاون مع عدد من مراكز الابحاث حول قضايا معاصرة مثل المجتمعات الغربيّة وتعدديّة ثقافات أبنائها وأديانهم ، واندماج المسلمين في مجتمعات غير إسلاميّة وغيرها .

٧ – طبع الكتيبات وإعداد التسجيلات الرقميّة على (cd – dvd) حول الإسلام ومبادئه الأساسية وعلاقته بالعلم والكون والإنسان ومساهمته في تأكيد القيم الأخلاقيّة في العالم .

الثاني عشر – مركز البحث العلمي :

تأسس في عام (٢٠٠٨) ويهدف إلى تشجيع البحث العلمي في قضايا الدين والفكر والمجتمع ، بغيّة الحفاظ على التراث وتنامي ثقافة الوعي ، ويشرف على المركز نخبة من العلماء والأكاديميين المتخصصين .ويقوم على هذا القسم نخبة من العلماء المتخصصين .

الثالث عشر – المكتبة المركزيّة :

تحتوي على عدد كبير من أمهات كتب العلوم الإسلاميّة والفكريّة والعامة ، التي وضعت في خدمة طالب العلم ، وتشتمل المكتبة المركزيّة على مكتبة رقميّة تستخدم أحدث وسائل العصر في حفظ المعلومات والبحث العلمي ،
وكذلك يضم المجمع ثلاث قاعات كبرى ، حيث تقام فيها المناشط العلميّة والثقافيّة والمؤتمرات والندوات التي يدعو إليها المجمع على مدار السنة .

الرابع عشر – القسم الاعلامي :

ومن أجل التواصل مع العالم ، ومعرفة ما يدور فيه من تيارات فكريّة ومستجدات علميّة ، فقد أنشا المجمع في عام (٢٠٠٢) قسماً للأنترنيت ، وفيه مواقع يبث المجمع من خلالها محاضرات سماحة الشيخ أحمد كفتارو – رحمه الله – وخطبة الجمعة التي تبين للعالم الصورة الجليّة الواضحة للإسلام ، والدفاع عنه أمام هجمات أعدائه ، حيث أنتج مجموعة من الافلام الوثائقيّة الخاصة بالمجمع والاسلام وقضايا الحوار .

نشاطات متفرقة للمجمع :

ويقدم المجمع لطلبة العلم الخدمات الدراسيّة والمعيشيّة الممكنة ليتفرغوا للتحصيل والبحث ، كما وينهض المجمع بمهمة الترفيه والترويح ، من خلال نشاطات الالعاب والرحلات يتخلل كل ذلك التوجيه والتربيّة لإعداد الشباب إعداداً تربوياًيجمع بين الدين والحياة والعلم والتربيّة ، ليسهم هؤلاء الشباب في بناء الامة والمجتمع ، حيث انشأ منتزهاً في ريف دمشق ، يضم ملاعب متعددة ومسابح مجهزة بأفضل التجهيزات الممكنة .
هذه وقفات سريعة عن مجمع اللشيخ احمد كفتارو وعبرتاريخ تجاوز المائة عاماً ، مرت عليه أحداث وأيام ’ كان الهدف دائماً وأبداً رضوان الله والسبيل هو كتاب الله

وسنة رسوله ، والغايّة هي إعداد العلماء والدعاة الذين يحملون هذا الدين ويرى العالم من خلالهم دين الاسلام ...

جامع الشيخ عبد الغي النابلسي

يقع في منطقة الصّالحية قريبا من جامع الشيخ محي الدين بدمنشق ، وقد اطلقت تسميته على الحي . وبنسب إلى العالم المحدث الشيخ عبد الغني النابلسي المولود في دمشق (١٠٥٠هـ / ١٦٤٠ م) ، وحيثما توفي ترك هذا المكان دار للسكن ، ولم يكن فيه مسجد ، بل احدث بعد وفاته ، انشأه حفيده الشيخ مصطفى النابلسي المتوفى عام (١١٩٦ هـ / ١٧٧٧ م) وغلب على هذا المسجد اسم جامع الشيخ عبد الغني النابلسي ، واشتهر بذلك . انّ شهرة الشيخ عبد الغني جعلت كثيراً من الولاة والسلاطين يعنون في تخليد ذكراه بتجديد المكان في ادوار مختلفة .

طراز البناء ولو اختلفت تواريخ منشآته فهو من العصر العثماني ، والطراز الغالب على البناء والزخرفة طراز دمشقي .

ويضم البناء مسجداً وتربة وداراً للسكن ، أما مئذنة الجامع فتقع في أقصى الجناح الشرقي للبناء مبنيّة بالحجارة المنحوتة ، أما القاعة الكبرى فيعلو بابها لوح من القاشاني فيه كتابة وتاريخ تجديد القاعة سنة (١١٧٨ هـ / ١٧٦٤) ومدفن الشيخ عبد الغني يقع في شرقي الصحن وبجانبه مدفن الشيخ مصطفى المتوفى (١١٩١ هـ / ١٧٧٧ م) وهو باني المسجد .

واما المصلى فهو عبارة عن قاعتين يفصل بينهما قوس وفيه المحراب والمنبر .

وقد تمت توسعة الجامع بحيث يضم مسجداً كبيراً له أجنحة وطوابق وقاعة صيفيّة جددت وفرشت ، ويضم معاهد الاسد لتحفيظ القرآن والدراسات الشرعيّة والدعوة وفيه

مكتبة حديثة وتقام فيه أنشطة دينيّة وهو الجامع الفريد في نشاطه العلمي مابين (١١٢٩ – ١١٤٣ هـ) وما بعد بفضل وجود الشيخ عبد الغني وأولاده وأحفاده حيث كان يتردد عليه عدد كبير من طلبة العلم والان ولله الحمد أعاد هذا الجامع سيرته الاولى فهو مركز اشعاع إسلامي .

والنيّة معقودة على ترميم القصر العلوي ، ليكون مقراً للمخطوطات الخاصة ، ولا سيما مؤلفات الشيخ عبد الغني النابلسي حيث يعمل على حفظها في هذا القصر .

ومئذنة المسجد وهي مبنيّة على قاعدة حجريّة مربعة وجزع مثمن بأفاريزحجريّة خشبيّة ينتهي رأسها بقلنسوة مخروطيّة وهي من الطراز الشامي بتأثير عثماني .

والحلقة الخشبيّة في السقف : وهي عبارة عن سقيفة خشبيّة مزخرفة يُغطى فيها السقف وأطراف الجدران من الأعلى وهي لا تزال حتى الان .

والسدة الخشبيّة وهي عبارة عن تخشيبة معلقة لها درج لقيام المؤذنين فيها بالأذانات والتذكيرات والتلقين وتستخدم أحياناً لصلاة النساء .

أما المنبر فقد صُنع في حلب من قبل فنان سبق والده انّ صنع منبر المسجد الاقصة وهو منبر أثري خشبي محفورٌ ولا يزال حتى الان ، ويوجد في الجامع ثانويّة شرعيّة بقسمين قسم للذكور وقسم للإناث وايضاً يوجد معهد لتحفيظ القرآن الكريم للذكور وبالنسبة لتحفيظ القرآن للإناث فيما رس نشاطه فقط في فصل الصيف ، والان يُعمل مشروع توسيع الجامع وتكبيره وإنشاء عدة معاهد فيه لكافة العلوم .

– جامع الأربعين : في جبل قاسيون :

اصبح حديثا متنزهاً يطل على دمشق وغوطتها حيث فتحت فيه الشوارع وشجر وقد سبق انّ تطرقنا للحديث عن جبل قاسيون باعتباره أحد عناصر الثالوث في دمشق (بردى والغوطة و قاسيون) وان لهذا الجبل المقدس تاريخ تليد حيث اقام فيه بعض الانبياء والاولياء والصالحين وفي اعلى إحدى قممه جامع صغير يُعرف (جامع الأربعين) . فيه اربعون محراباً صغيراً ويظن انّ نبي الله ذو الكفل كان يقيم فيه ، وهناك روايات انّ أهل الكهف كانوا فيه وقال فيه الشيخ عبد الغني النابلسي :

في الأربعين منازل الأبدال إشراق حسنٍ في الورى وجمال
والاربعون لهم محاريب غدت مملوءة من هيبة وجلال
والحوض فيه الماء عذب سائغ من ماء غيث للورى هطّال

--- المساجد [1] ----

-مسجد ابن الزرعي :

كان في الصّالحية بأعلى حارة الحياك الغربية من جهة الشرق (حارة التغالبة) إلى الشمال الشرقي من المدرسة الجهاركسية الكائنة في جادة المدارس .

- مسجد ابي سعد الحلواني :

كان إلى الشمال من جامع الشيخ محي الدين ، عند مفرق الطرقات ' هدم في بداية العهد العثماني لتوسيع الطريق أمام باب الجامع سنة (٩٢٤ هـ / ١٥١٨ م) .

[1] - المراجع : المروج السندسية لابن كنان / ثمار المقاصد لابن عبد الهادي / تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر / الدارس للنعيمي / الاعلاق الخطيرة لابن شداد / القلائد الجوهرية لابن طولون /ذيل ثمار المقاصد لطلس / ابداية والنهاية لابن كثير .

– مسجد ابن الصميدي :

كان قي جادة المدارس من حيّ الصّالحية ، لصيق قبر الشيخ محي الدين بن عربي ، هدم في بداية العهد العثماني سنة (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) . تنسب تسميته إلى مجدّده شهاب الدين الصميدي ، و يُعرف أيضا بمسجد الصميدي ،

– مسجد ابن عبادة :

كان في الصّالحية و على حافة نهر يزيد ، قرب دار الحديث القلانسية ، قبالة بيت ابن عبادة . تُنسب تسميته إلى مجدده شهاب الدين بن عبادة .

مسجد ابن مسمارة :

كانت في حيّ الصّالحية ، بحارة جوبان .

مسجد ابن هلال :

كان في حيّ الصّالحية ، بحارة مسجد التينة ، وعنده تربة بني هلال ،

مسجد ابن وداعة :

كان في حيّ الصّالحية .

مسجد ابي ذر الغفاري :

كان في حيّ الصّالحية . بجادة ابن المقدم و قبالة باب الجامع الجديد من جهة الشمال ، أنشئ سنة (٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م) . ولم يبق منه سوى قبر واقفه ابي سعيد مثقال بن عبد الله الجمدار الملكي الناصري المعظمّي .

مسجد أبي شامة :

كان في أرض (مقرى) من حيّ الصّالحية (شمالي ملعب المزرعة اليوم ، تحت حمام الزهر و يُعرف أيضاً بمسجد البركة .

مسجد آدم : كان في محلة بيت أبيات (ضمن بساتين أبي جرش اليوم) ، بجوار بستان العميقة ملم بني الشيرجي ، جدده الحاجب عطاء .

مسجد الا ربعين :

لا يزال قائماص في أعلى جبل قاسيون ، بمغارة الدم (مغارة الأربعين) ، يشرف على حيّ ركن الدين و ويرجح الاستاذ دهمان في حاشيته على القلائد الجوهرية انّ هذا المكان قد يكون أصلاً معبداً وثنياً من العهد الآرامي ثم صار ديراً فمسجداً ، ويميل الاعتقاد إلى أنه الموضع الذي قتل فيه قابيل بن آدم اخاه هابيل ، وفي داخل المسجد أربعون محراباً ومنها اشتقت تسمية المسجد ، و يُعرف أيضاً بمسجد رجال الأربعين ، وبمسجد مقام الأربعين ، وبمزار الأربعين وبمقام الأربعين .

- مسجد أرزة :

كان في قرية أرزة الدارسة ، (ومكانها اليوم حيّ الشهداء ' بين البرلمان وعرنوس)

- مسجد الاسدية : كان في حيّ الصّالحية ، بحي السكة ، لصيق التربة الاسدية ، غربي المدرية الجهاركسية ، والشمال الشرقي من التكريتية . وفي سنة (٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ – ١٣٠٠ م) نهبه التتار عند غزوهم لدمشق . ولا علاقة لهذا المسجد بالمدرسة الاسدية في منطقة الشرف القبلي ، ولا بالخانقاه الاسدية داخل باب الجابية

- مسجد اسماعيل المؤّيدي :

كان في الصّالحية . بحي الشركسية ، لصيق تربة المؤيدي بالسكة

- مسجد الافراوي :

كان بحارة السكة من حيّ العفيف .

- مسجد الاكراد : لا يزال في حيّ ركن الدين . بجسر النحاس ، شيد سنة (١٣١٧ هـ / ١٨٩٩ – ١٩٠٠) . و يُعرف بمسجد (حمو ليلا) نسبة لاسم بانيه .

- مسجد ام البنين :

كان في الصّالحية ، عند عقب نهر يزيد ، بطريق المغارة ، ينسب إلى منشئته ام البنين بنت الأمير خير خان .

- مسجد الأمير جمال الدين بن يغمور :

كان في حيّ الصّالحية . مجهول الموقع .

– مسجد الاميرعلي :

كان في السهم الاعلى (في الصّالحية ، شمال نهر ثورا ، بينه وبين نهر يزيد)

– **مسجد بني هلال** : كان في حكر حجّاج من الصّالحية .

– **مسجد بيت ابن خطيب السقيفة** : كان في الصّالحية .

– **مسجد بيت كحلا** : كان إلى الشمال من جامع العفيف برأس جادة العفيف .

– **مسجد تربة بني عبادة** : كان في الصّالحية ، بحارة الحياك الشرقية ، شمال جامع الحنابلة .

– مسجد تربة ريحان :

لايزال المبني قائماً في الصّالحية ، في رأس جادة العفيف ، قبالة مدرسة العالمة أمة اللطيف ' ولا علاقة له بمسجد الريحان في سوق الحبالين (جوار سوق مدحت باشا) .

مسجد تربة الملك الزاهر : كان في الصّالحية ، شرقي المدرسة العمرية الكبرى ، على حافة نهر يزيد ، عند تربة الملك الزاهر .

– مسجد التكريتي : كان في حيّ الصّالحية . بجادة المدارس (وهو غير التربة التكريتية القائمة في نفس الموقع) وكان في الأصل دار الحديث القلانسيّة ، ثم الخانقاه القلانسيّة ثم صار معهداً للعلم ، ثم جدد مدرسة سنة (١٢١١ هـ / ١٧٩٦ م) ، وهو اليوم دار للسكن .

– مسجد التمرتاشية : كان بجبل قاسيون ، مجهول المعلومات .

مسجد التوبة : كان في الصّالحية مجهول المعلومات

مسجد الجرّاح : كان في حيّ المهاجرين ، بطريق المهندس ، شيّد في العهد العثماني المتأخر سنة (١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م) . وهو غير جامع جرّاح في حيّ الشاغور .

مسجد الجرارعة : كان في محلة الصّالحية ، جنوبي المدرسة العمرية الكبرى، في حكرحجّاج المعروف بحكر بني القلانسي ، و يُعرف أيضاً بمسجد التينة ، ومسجد الجراعيّة .

– **مسجد الجسر الابيض :** كان إلى الجنوب الغربي من ساحة الجسر الابيض ، وهو غير جامع المارداني القائم اليوم .

– **مسجد جسر البطّ :** كان من مساجد الصّالحية ، بحارة جسر البط عند جسر البط على نهر ثورا (بحي الشهداء في طريق الصّالحية ، بين ساحتي عرنوس والبرلمان اليوم .

– **مسجد الحاج أحمد بن حمدان :**

كان في حيّ الصّالحية .، جنوب شرقي زاوية عين الملك ومسجد طوطح (مسجد طوطة)

–**مسجد الحاجة :** كان في حيّ الصّالحية . شمال جسر النحاس

– **مسجد حارة البلاقنة التحتاني :** كان في حي الصالحية بحارة البلاقنة تحت الزاوية الخوارزمية . أسفل كهف جبريل .

– **مسجد حارة البلاقنة الفوقاني :** كان في حي الصالحية ، بحارة البلاقنة تحت الزاوية الخوارزمية أسفل كهف جبريل ، فوق (شمال) حارة البلاقنة التحتاني .

– **مسجد الحارة الجديدة :** كان في حيّ ركن الدين ، بحارة الجوعية .

– **مسجد حارة الجوبان :** كان في حيّ الصّالحية . بحارة الجوبان .

– **مسجد حارة الحوارنة :** يفترض أنه كان في حيّ الصّالحية . بحارة الحوارنة ، فهناك حارة أخرى في القابون تُعرف أيضاً بحارة الحوارنة .

– **مسجد الحراقلة :** كان في جبل قاسيون ، مجهول الموقع والتاريخ .

– **مسجد الحلاّلات :**

لا يزال قائماً في حيّ الصّالحية ، بجرن الشاويش قبالة تربة ابن سلامة الرقي ، جُدد سنة (١٠١٦ هـ / ١٦٠٧ م)

مسجد الحلبوني :

كان في حيّ الصّالحية ، تحت بيت الخواجا إبراهيم ، مجهول الموقع ، وهو غير جامع الحلبوني في حيّ الحلبوني اليوم .

مسجد حمام الجوزة :

كان في حيّ الصّالحية . عند حمام الجوزة ، لصيق تربة الشيخ محي الدين بن عربي . وهو غير مسجد الجوزة في محلة العقيبة ، وغير مسجد الجوزة في حارة بين النهرين .

مسجد حمام الكاس : كان في الصّالحية ، قبالة حمام الكاس (كان الحمّام بالسهم الاعلى ، شرقي المدرسة العمرية والمدرسة القاهرية ، لصيق دار الشيخ عبد الغني النابلسي .

مسجد الحنفية : كان في سفح قاسيون من الصّالحية ، مجهول الموقع .

– **مسجد الحواكير :** كان في محلة الحواكير من حيّ المهاجرين .

– **مسجد الخاتونية البرانية :**

كان في الصّالحية بزقاق ابن المقدم ، عند التربة الخاتونية التي أنشئ الجامع الجديد بجوارها ، أنشاته عصمة الدين خاتون بنيت الأمير معين الدين أنر . زوجة السلطان نور الدين الشهيد و وهدمه في العهد المملوكي أخر نائب للشام الآمير سيباي ونقل حجارتة لعمارة المدرسة السيبائية (٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م) .

– **مسجد الخانقاه :** كان في الصّالحية بحارة حمام الزهر .

– **مسجد الخواجا القونسي :** كان في الصّالحية ، جنوبي المدرسة الحاجبية ولعل فيه كان رباط القونسي .

– **مسجد دمر داش :** كان في الصّالحية ، على حافة نهر يزيد ، غربي البيمارستان القيمري ، فُك لما بُنيت العمارة الخنكارية (جامع الشيخ محي الدين بن عربي) وجعل في موضعه ناعورة العمارة المذكورة . ودمرداش هذا هو صاحب (قبة العظام) شمالي غرب المسجد وبها قربه .

– **مسجد الدواسة التحتاني :** كان عند بستان الدواسة ، على حافة نهر يزيد ، في سفح قاسيون الغربي بجوار الربوة من الشرق .

– **مسجد الدوس :** كان في الصّالحية و جنوب ، مسجد العمادي ، الكائن فوق المدرسة الجهاركسية . عند مفترق الطرق .

مسجد الدير : كان في الصّالحية ، بزقاق الدير ، في الطريف الشرقي لسوق الجمعة اليوم .

– **مسجد الديلمي :** كان على السفح الغربي لجبل قاسيون ، المطلّ على الربوة في أعلى المنشار ، وكان على شكل طارمة (بيت خشبي مقبّب) جدّد طارمته السلطان نور الدين الشهيد خلال توليه (٥٤٩ – ٥٦٩ هـ)

– **مسجد رأس القبليّة :** كان برأس سوق الصّالحية الكبير (سوق أبي جرش) بالقرب من مسجد الشربدار من جهة الغرب و يُعرف أيضاً بمسجد رأس الصليبة ،

– **مسجد الربوة المباركة :** كان في سفح قاسيون عند الربوة ، على نهر ثورا وفي اعلاه نهر يزيد وهو مسجد قديم يعود تاريخه إلى ما قبل سنة (٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) . و يُعرف و يُعرف ايضاً بجامع الروضة .

– **مسجد الرومي :** كان في حي الصالحية ، شمال دار الحديث الاشرفية البرانية عند زاوية عرودك (زاوية الشيخ محمد بن شعيب) و يُعرف ايضا بمسجد عبد الوهاب .

– **مسجد زاوية ابن عبد الملك** : كان في الصّالحية ، بحارة البلاقنة .

مسجد زاوية بيت الكويس : كان من مساجد الصّالحية عند زقاق بيت كويس .

– **مسجد زقاق الزطيين :** كان في الصّالحية تحت تربة السبكيين (في ثمار المقاصد ، تحت تربة كمشتكين ،) الواقعة قرب مسجد طوطح .

– **مسجد زقاق السبع :** كان في الصّالحية .

– **مسجد الزهر :** كان في الصّالحية ، بحارة الحياك الغربية ، أسفل الساحة من جهة الغرب ، وفيه رباط مسجد الزهر .

- **مسجد سراقة :** كان في حيّ الصّالحية . عند دير الحنابلة ، بسوق القطانين ، شرقي الصّالحية وغربي المدرسة الركنية البرانية . و يُعرف أيضاً بمسجد بصاقة .

- **مسجد السهم :** كان في الصّالحية ، بحارة السهم من محلة السهم الادنى

- **مسجد سوق زكريا :** كان في حيّ الصّالحية إلى الشرق من المدرسة الجهاركسية .

- **مسجد سوق شعيب :** كان في حيّ الصّالحية . بسوق شعيب ، غربي المدرسة الجهاركسية .

- **مسجد سوق القطانين :** كانت في الصّالحية ، برأس سوق القطانين ، و يُعرف أيضاً بمسجد سوق القطن .

- **مسجد الشرابدار :** كان في الصّالحية ، برأس سوق الصّالحية الكبير . و يُعرف أيضاً بمسجد الشربدار ، الشربدار لقب لمن يتصدى للخدمة بالشراب خاناه ، وهو المكان المخصص للأشربة والحلوى والفواكه والعقاقير .

- **مسجد الشيخ إبراهيم النابلسي :** كان في جبل قاسيون . بمقبرة الجنابلة .

- **مسجد الشيخ خالد النقشبندي :** لا يزال قائماً في مقبرة حيّ الاكراد المعروفة بمقبرة الشيخ خالد .

مسجد الشيخ عبد الله الصائغ : كان في جبل قاسيون ، مجهول الموقع .

- **مسجد الشيخ علي :** كان في جبل قاسيون مجهول الموقع .

- **مسجد الشيخ موسى الكناني :** كان في حارة الشعار من الصّالحية . إلى الشمال الشرقي من جامع الشيخ محي الدين ، والشمال من التربة البزورية . يُنسب إلى إمامة الشيخ موسى الكناني أو الكتاني . و يُعرف أيضاً بزاوية الاعجام وهي غير زاوية الاعجام في الشرف القبلي .

- **مسجد الشيخ يوسف القميني :** كان في الصّالحية بحارة الحياك الشرقية ، إلى الجنوب المجاور لوادي الشياح ، وشمالي زقاق أبي السباع وقبر الشيخ يوسف القميني . و يُعرف أيضاً بمسجد مقبرة يوسف القميني .

- **مسجد الصارمية :** كان من مساجد الصّالحية ، عند التربة والمدرسة الصارمية .

مسجد الصوابية : كان بالصالحية ، بحارة الحواكير والردادين .

مسجد طالوت : كان في حيّ ركن الدين ،بحارة الركنية ، عند قبر الملك طالوت ،إلى الغرب المجاور لجسر النحاس ،. وكان يُعرف في السابق بمسجد دير شعبان ، وبمسجد شعبان . كما يُعرف أيضاً بمسجد الملك طالوت .

مسجد الطشتي : لا يزال في حيّ الصّالحية ، بجادة أبي جرش ، بجوار مسجد بظنة من جهة الشمال الشرقي ، وهو مسجد قديم جدّده في العهد الأيوبي عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الله الطشتدار الملكي الصالحي سنة (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ – ١٢٤٠ م) فعرف به .

مسجد طوطح : في حيّ الصّالحية ، بجادة المدارس ، زقاق الاسد فوق زاوية عين الملك . و يُعرف أيضاً بمسجد طوطة .

- **مسجد عائشة :** كان في حيّ الصّالحية . فوق المنارة ، عند مسجد الأربعين .

- **مسجد العادلية :** كان في حيّ الصّالحية . عند التربة العادلية البرانية . (في الشمال المجاور لساحة المالكي) غربي دار الحديث الناصرية .

- **مسجد العبّاس :** كان في الصّالحية مجهول الموقع .

- **مسجد عز الدين :** كان في الصّالحية ، بحارة المدرسة العمرية ، غربي جامع الشيخ عبد الغني النابلسي إلى الشمال القريب من حمام الحاجب ، قبالة الباب الغربي للمدرسة العمرية الكبرى ، وقد قام قبل بنائها و ينسب للشيخ عز الدين الدينوري ، و يُعرف أيضاً بمسجد عبد العزيز ، وبالمسجد العتيق ، وبمسجد الشيخ عز الدين الدينوري ، وبمسجد ناصر الدين .

- **مسجد العظامي :** كان في الصّالحية ، بحارة الركنية .

- **مسجد العفيف : – ١ –** لا يزال في جادة العفيف ، وكان يأوي إليه الصوفية .

– **مسجد العفيف : – ٢ –** لا يزال تحت حمام المقدم بجادة ابن المقدم ، بين الجسر الأبيض وجادة المدارس ، واسمه اليوم مسجد القعقاع ، وكان يُعرف بمسجد عقعق .

– **مسجد العفيف بن ابي الفوارس :** كان بالشبلية (عند دوار الميسات اليوم) وعنده كانت التربة العفيفية .

– **مسجد عقعق :** لا يزال في جادة ابن المقدم ة، بين الجسر الأبيض وجادة المدارس في الصّالحية ، تحت حمام ابن المقدم ، انشئ على انقاض مسجد اقدم ، و يُعرف اليوم بمسجد القعقاع نسبة للصحابي بن عمرو التميمي، احد فرسان الجاهلية والاسلام ،المتوفى نحو سنة (٤٠ هـ / ٦٦٠ م) ، والذي قال عنه ابو بكر الصديق (صوت القعقاع في الجيش خير من الف رجل) . وكان يُعرف ايضا بمسجد العفيف . وهو غير مسجد العفيف في جادة العفيف .

– **مسجد علاء الدين علي ابن التركماني :** كان في جادة المدارس بالصالحية إلى الغرب من سوق شعيب (القسم الغربي من سوق الجمعة اليوم) ، وعنده رباط علاء الدين علي بن التركماني المتوفى والمدفون في القاهرة بمصر .

– **مسجد العمادي :** كان في الصّالحية فوق المدرسة الجهاركسية ، و يُعرف أيضاً بمسجد شهاب الدين ابن عبادة .

– **مسجد عمر :** كان في جبل قاسيون ، مجهول الموقع .

– **مسجد العمرية :** كان في الصّالحية ، بحارة العمرية و عند المدرسة العمرية الكبرى .

مسجد غيطة ابن المزلق : كان في الصّالحية ، بأرض (مقري)

– **مسجد القاضي شمس الدين بن سني الدولة** : كان في الجبل (جبل قاسيون) .

– **مسجد قبة برقوق :** كان في الصالحية بحارة البلاقنة . عند مغارة شداد

- **مسجد قبة الخضر :** كان في جبل قاسيون الغربي . بحارة الحواكير والردّادين (كانت حارة الردادين إلى الشمال الشرقي القريب من قبة سيّار قبالتها وبينهما الطريق الآخذه إلى قرية دمر) وكانت قبة الخضر فوق الربوة .

- **مسجد القرنة – ١ –** كان بالصالحية بمحلة الشركسية . بالسكة إلى الشرق المجاور لمسجد اسماعيل المؤيدي .

- **مسجد القرنة – ٢ –** كان في الصّالحية بحارة الحياك الشرقية ، شمال مسجد الحنابلة ، لصيق قبة ابن نجدة .

- **مسجد قبة سيّار :** كان في جبل قاسيون الغربي ، بحارة الحواكير والردادين التي ذكرت .

- **مسجد قوام الدين :** كان في القسم الغربي من جبل قاسيون بحارة الحواكير والردادين .

- **مسجد قيس :** كان شرقي الصّالحية ، بالقرب من الزاوية العذراوية ، شمال مسجد الطشتدار .

- **مسجد القيمرية :** كانت في الصّالحية بجادة المدارس . قبالة البيمارستان القيمري،اقيم في نفس موضع التربة القيمرية ، وهو غير جامع القيمرية بالمدرسة القيمرية الكبرى .

- **مسجد كتّاب الايتام :** كان في الصّالحية ،بحارة الجامع (جامع الحنابلة)

- **مسجد كنجك :**

كان في الصّالحية شرقي شرقي المدرسة المعظمية التي كانت في شمالي العفيف ، وجنوبي مقبرة المهاجرين ، بجوار المدرسة العزيزية (وهي غير المدرسة العزيزية في حيّ الكلاسة) .

- **مسجد الكوّافي :**

كان في الصّالحية ،بحكر حجّاج ، عرف في السابق بمسجد بني هلال ، ثم بمسجد العساكرة نسبة إلى بني العسكري من الاسر التي سكنت الصّالحية .

- مسجد الكيلانية :

في الصّالحية ، قبالة قبة الرقي (ابن سلامة الرقي) وبينهما الزقاق .

- مسجد اللوزة : كان غربي الصّالحية بحارة بطاح ؟

- مسجد المارستان :

في حيّ الصّالحية بجادة المدارس ، عند البيمارستان القيمري ، بجوار جامع الشيخ محي الدين ، واليه نسبت التسمية .

- مسجد المدرسة الضيائية :

كان في الصّالحية ، بحارة الجامع (جامع الحنابلية) لكن ابن عبد الهادي لم يحدد في اية الضيائيتين كان ، الضيائية المحاسنية أم الضيائية الكبرى .

- مسجد مزار الشيخ نعمان : كان في الصّالحية ، في الغرب من مسجد ابن الزرعي .

- مسجد مصطبة ابن الشهيد : كانت في الصّالحية بالسهم الاعلى ،

- مسجد مسمار : كان في الصّالحية إلى الشرق من المدرسة الجهاركسية ، غربي البيمارستان القيمري ، ولا علاقة له بمسجد المسمارية في المدرسة المسمارية بسوق الحريميين (حيّ القيمرية) .

مسجد مغارة الجوع : كانت في لُحف جبل قلسيون بالصالحية . بحارة الحياك الشرقية .

- مسجد مغارة الدم : لا يزال قائماً في مغارة الأربعين . باعلى جبل قاسيون .

مسجد مقبرة بنت الحارة : كان في الصّالحية ، بحارة رأس العليّة ، فوق المدرسة الصاحبة .

مسجد المقدّمية : كان في الصّالحية بحارة المقدميّة .

- مسجد الميطور : كان في الصّالحية بساتين ابي جرش بالصالحية . و يُعرف أيضاً بمسجد ابن بختيار .

مسجد النحاس : كان في حيّ ركن الدين ، عند الملك طالوت و شرقي المدرسة الركنية ، شيد أواخر العهد الأيوبي سنة (٦٥٤ هت / ١٢٥٦ م ٩ .
ينسب إلى الشيخ عماد الدين النحاس ، و يُعرف أيضاً بجامع النحاس .
- **مسجد النفّاس :** كان في حيّ الصّالحية . بمحلةالشركسية .
- **مسجد النيرب :** كان في محلة النيرب ، قرب الربوة من جهة الشرق .
إلى الشرق من بساتين البدري بن معتوق . و يُعرف أيضاً بصُقة المبيض .
- **مسجد يزيد العاملي :** كان عند الجسر الابيض ، على نهر ثورا ، عقب الجسرنفسه ،
- **مسجد يونس (النبي)** : كان في الصّالحية ، بجادة المدارس ، وكان طراز عمارته مملوكي .
مسجد يونس آغا : لا يزال في حيّ ركن الدين ، بحارة يونس آغا ، شيّده يونس آغا بن عمر الدقوري سنة (١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧ م) . بينما ذكرها طلس سنة (١٢٤٧هـ) .

دور القرآن بالصالحية

دار القرآن : هو المكان المخصص لتدريس القرآن الكريم وقراءاته العشر (كالتجويد وغيره)

- **دار القرآن الدلاميّة :** منها دار القرآن الدلاميّة شمالي المارداني‌ّة شرقي الشارع الآخذ إلى الجسر الأبيض .أنشأها الخواجا أحمد بن زين الدين دولامة البصري (أو البصروي) في العهد المملوكي (٨٤٧ هـ / ٤٤٣ م) بجادة ابن المقدم شمال جامع المرادانيّة ولا يزال بناؤها قائماً إلى اليوم .

– الاسعرديّة : وهي المعروفة بمدرسة الخواجا إبراهيم بالجسر الأبيض

دور الحديث في الصّالحية

دار الحديث : المكان المخصص لتدريس الحديث النبوي الشريف كشرح وتفسير للقرآن الكريم .

– **دار الحديث الضيائيّة :**

منها دار الحديث الضيائيّة المحمديّة ويقال لها دار السنة بسفح قاسيون شرقي الجامع المظفري . قال ابن شداد بانيها الفقيه ضياء الدين محمد بجبل الصّالحية

– **دار الحديث العالمة :**

وهي شرقي الرباط الناصري غربي سفح قاسيون قبلي جامع الأفرم بنتها العالمة بنت شيخ الإسلام الشيرازي للحنابلة .

– **دارالحديث الاشرفيّة البرانيّة :**

تنسب لمنشئها الملك الاشرف موسى في العهد الأيوبي سنة (٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦ – ١٢٣٧ م) في سفح قاسيون من محلة الصّالحية ، بجادة المدارس (سوق الجمعة اليوم) بين المدرستين الأتابكيّة والمرشديّة ، تجاه التربة التكريتيّة ، ولا يزال بناؤها قائماً وجدد منذ عهد قريب ، وتعرف أيضاً بدار الحديث الاشرفيّة البرانيّة المقدسة وبدار الحديث الاشرفيّة الثانيّة ، وبالمدرسة الاشرفيّة البرانيّة .

- **دار الحديث القلانسيّة :**

على حافة نهر يزيد غربي مدرسة أبي عمر وشمالي جامع الأتابكيّ ، أنشأها في العهد المملوكي الصاحب عز الدين حمزة بن مؤيد الدين القلانسي ، وكان موقعها في محلة الصّالحية ، قرب جامع الشيخ محي الدين بن عربي ، ويمر بداخلها نهر يزيد ، وذلك سنة (٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م) ، جددها الشيخ إسماعيل التكريتي ، وتعرف أيضاً بجامع التكريتي ، وبالخانقاه القلانسيّة وبرباط دار الحديث القلانسيّة ، وبرباط القلانسي ، وبالمدرسة الأخميميّة القلانسيّة ، زالت وتحول مبناها إلى دار للسكن .

- **دار الحديث النظاميّة :**

أنشأها في محلة الشبليّة بالعهد المملوكي قاضي القضاة نظام الدين أبو حفص عمر بن مفلح سنة (٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م) إلى يمين الصاعد بجامع الشيخ عبد الغني النابلسي في الجهة الشرقيّة من الصّالحية ، قبلي حمام العلاني ، والجدير بالذكر أنها غير المدرسة النظاميّة في محلة باب البريد ، دُرست .

دار الحديث الناصريّة البرانيّة :

أنشأها في العهد الأيوبي الملك الناصر صلاح الدين يوسف آخر ملوك الأيوبيين بدمشق ، وذلك سنة (٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م) في محلة الفواخير بالصالحيّة (بين جامع الافرم وتربة العادل كتبغا) وبخانقاه الملخ الناصر وبالخانقاه الناصرية ، وبدار الحديث الناصريّة . دُرست .

الخوانق في الصّالحية [1]

الخانقاه : كلمة فارسيّة جمهعا خوانق وهي تعني أصلاً البيت ، ثم أطلقت على دار الصوفيّة ، أو المكان الذي ينقطع فيه بعض الناس للعزلة أو العبادة وهي بمثابة الدير في المسيحيّة ، وتضم الخانقاه مسجداً لا تقام فيه صلاة الجمعة ، ولا يضم مئذنة و منبراً للخطابة ، وتلحق به مدرسة للعلوم الدينيّة وضريح وسبيل ماء .

الخانقاه الاسكافيّة :

انشأها في العهد الأيوبي شرف الدين محمد بن الاسكاف بسفح جبل قاسيون على نهلر يزيد ،ويعتقد باقامتها سنة (٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م) وتعرف ايضاً بخانقاه ابن الاسكاف . دُرست .

الخانقاه الباسطيّة :

---

[1] - المراجع : الدارس للنعيمي / منادمة الاطلال لبدران / خطط دمشق للعلبي / القلائد الجوهريّة لابن طولون / معجم دمشق التاريخي قتيبة الشهابي .

أنشأها في العهد المملوكي القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل ، ناظر الجيوش الإسلاميّة ، إلى يسار الذاهب من الجسر الابيض نحو طلعت العفيف ، غربي المدرسة الاسعرديّة وذلك سنة (٨٣٦ هـ / ١٤٣٣ م) ، وكانت تتألف من مدرسة ومسجد ، كما كانت داراً للأمير عبد الباسط الذي بنى الحمّام القريب منها والمعروف باسمه ، وعرفت ايضاً بالمدرسة الباسطيّة . دُرست .

الخانقاه الحساميّة :

أوقفتها في العهد الأيوبي ست الشّام أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي وام حسام الدين لاجين ، في محلة الشبليّة (ساحة الميسات اليوم) ، إلى الشمال المجاور للمدرسة الشبليّة البرانيّة ، عند جسر كحيل الذي عُرف فيما بعد بجسر الشلبيّة ، وذلك حوالي سنة (٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م) والجدير بالذكر انّ الأستاذ محمد أحمد دهمان ذكرها في حاشيّة القلائد الجوهريّة باسم : الخانقاه الحساميّة الشبليّة مما قد تؤدي إلى الالتباس بينهما وبين الخلنقاه الشبليّة التي لا علاقة لها بالحساميّة رغم تقارب موضعهما . دُرست .

الخانقاه الشبليّة :

أنشاها في العهد الأيوبي شبل الدولة كافور الحسامي المعظمي المتوفى سنة (٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م هـ) في محلة الشبليّة إلى الشمال المجاور للمدرسة الشبليّة البرانيّة ، وبينهما طرق الشبليّة (حيث ساحة الميسات اليوم) . دُرست .

الخانقاه الشقاريّة :

كانت بجوار الربوة من جهة الشرق ، ببستان المادنة ، تحت النيرب الأعلى والدواسة (في الطرف الغربي لحديقة تشرين اليوم) ، ولا تتوفر عنها أيّة معلومات . دُرست .

الخانقاه العزيّة :

تنسب لواقفها نائب السلطنة المملوكيّة بدمشق الأمير عز الدين ايدمر الظاهري المتوفى في القاهرة سنة (٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) ، وكانت بمحلة الجسر الابيض على نهر ثورا ، إلى يمين الذاهب من الجسر اللابيض نحو جامع الروضة . (شارع مصر اليوم) وعندها رباط العزيّة ، وتعرف أيضاً بخانقاه عز الدين ايدمر والمدرسة العزيّة ، تخربت في القرن العاشر للهجرة .

الخانقاه الناصريّة :

كانت في جبل قاسيون على نهر يزيد ، بجوار تربة الملك الناصر صلاح الدين يوسف آخر سلاطين العهد الأيوبي وتُعرف أيضاً بخانقاه الملك الناصر ، وبالمدرسة الناصريّة البرانيّة ، وبدار الحديث الناصريّة البرانيّة . دُرست .

– الخانقاه القلانسيّة :

غربي المدرسة القاهريّة على حافة نهر يزيد وشمالي جامع الأتابكيّ

الزوايا بالصالحيّة للفقراء

الزاويّة : تسميّة كانت تطلق في الأصل على صموعة الراهب المسيحي ، ثم صارت تطلق على المسجد الصغير أو المصلى حيث يتحلق المريدون حول شيخهم لسماع الدروس الدينيّة التلي يلقيها ، أو حول قبره انّ كان ميتاً . فالزاويّة إذن بمثابة مدرسة دينيّة ودار ضيافة للفقراء وللمتصوفين المتنقلين عبر البلاد من زاويّة إلى أخرى طلباً للعلم ، وهي بذلك تشبه الاديرة في القرون الوسطي .

- الزاوية الدينوريّة :

بسفح جبل قاسيون دثرت والراجح أنها كانت ملاصقة للمكان المسمى ساحة الأولياء ، وهي قريبة من جادات السكة . أنشأها الشيخ عمر بن عبد الملك الدينوري سنة (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م)

- الزاوية السيوفيّة :

بسفح قاسيون من نهر يزيد ، غربي التربة العادليّة ، وشرقي الزاوية القواميّة البالسيّة .

- الزاوية العماديّة :

كانت في الصّالحية ، أسفل كهف جبريل ، عند التربة العمادية في سفح قاسيون أنشأها أحمد بن العماد المقدسي المتوفى سنة (٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م) ، وتُعرف أيضاً بالزاوية العماديّة المقدسيّة ولا علاقة لها بالمدرسة العمادية في العصرونية ، ولا بزاوية العماد المعروفة بالزاوية الشيبانية في الصّالحية . دُرست .

- الزاوية الغسوليّة :

بسفح قاسيون ، أنشأها شيخ الفقراء أوبو عبد الله محمد بن أبي الزهر الغسولي المتوفى (٧٣٧ هـ / ١٣٣٧ م) . دُرست .

- الزاوية الفقاعيّة :

بسفح قاسيون ، في الصّالحية تنسب للشيخ يوسف الفقاعي الزاهد المتوفى سنة (٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م) . دُرست .

- الزاوية الفرنثيّة :

لا يزال مبناها قائماً في جادة المدارس في الصّالحية ، إلى الغرب المجاور للمدرسة المرشدية ، أنشأها في العهد الأيوبي الشيخ علي الفرنثي المتوفى سنة (٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م) ، والمدفون فيها ، وقد جدّدت من عهد قريب ، وتعرف ايضاً بالتربة الفرنثية ، وبمسجد على الفرنثي ، وبمسجد الفرنثي .

- الزاوية القواميّة البالسيّة :

لا يزال بناؤها قائماً على نهر يزيد بمحلة الفواخير (غربي ساحة المالكي) ، إلى الغرب من التربة العادلية البرانية ، إلى يسار الصاعد للمهاجرين ، انشأها الشيخ أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي حوالي سنة (٦٧٠ هـ / ١٢٧٢ /) وبقي منها اليوم القبة وتحتها بضع قبور .

الزاوية الأبجية :

كانت في الصّالحية ، تنسب لبني الأبجي الصوّف (المتصوّفة) . دُرست .

الزاوية الأرمويّة :

كانت في الصالحية داخل مغارة الأرموي و بجوار مقبرةالروضة من الجهة الشمالية أنشأها والتربة والمسجد عندها في العهد الأيوبي الشيخ عبد الله بن يونس الارموي حوالي سنة (٦٠٠ هـ / ١٢٠٤ م) ، وعرفت يعد ذلك بزاوية الشيخ حسن ، وبزاوية الشيخ محمد القادري ، وبمسجد الارموي ، وبمسجد الارمويي ، ولا علاقة لها بالزاوية االأرموية الشرقية . دُرست

الزاوية الارموية الشرقية :

كانت في الصّالحية ، جنوبي المدرسة المعظمية ، تنسب للشيخ الزاهد شرف الدين محمد بن الشيخ الكبير عثمان بن علي ، ولا علاقة لها بالزاوية الأرموية فصاحب هذه غير صاحب تلك ، دُرست

الزاوية الجوعية :

كانت في سفح قاسيون ، فوق مغارة الجوع فنسبت إليها ، وهي مخصصة للطريقة الكيلانية ، أنشأها في العهد العثماني الشيخ محمد حسين بن الشيخ ياسين الكيلاني سنة (١١٤٦ هـ / ١٧٣٣ م) . دُرست .

الزاوية الدينورية الشيخية :

كانت في الصّالحية ، غربي جامع المظفري (جامع الحنابلة اليوم) تنسب للشيخ أبو بكر الدينوري ، أنشئت سنة (٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣ م) . دُرست .

– الزاوية الرومية :

كانت بسفح قاسيون من الصّالحية ، تحت المدرسة المعظمية أنشأها الشيخ شرف الدين محمد بن عثمان بن على الرومي المتوفى في العهد المملوكي سنة (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥) . وتعرف أيضاً بالزاوية الرومية الشرقية . دُرست

الزاوية الشيبانية :

كانت في الصّالحية . يتولى مشيختها بنوتغلب من أصحاب الطريقة الشيبانية ، وكانت في السابق تُعرف بزاوية العماد ولا علاقة لهذه الأخيرة بالزاوية العمادية أو العمادية المقدسية قي الصّالحية . دُرست

– زاوية الشيخ ابي السعود :

كانت في الصّالحية بجانب (مقبرة) الروضة من جهة الشرق دُرست .

الزاوية الصوابيّة :

كانت غربي سفح قاسيون ، شمالي الزاوية القوأمية البالسية وجامع الافرم ودار الحديث الناصرية ، (وبلغة اليوم . كانت في جادة الباشكاتب أو جادة ابن العميد المعروفة بالجادة الثالثة أنشأها في العهد الأيوبي الأمير بدر الدين الصوابي الطواشي الخادم سنة (٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) ، وكانت في الاصل تربة لذلك عرفت بالتربة الصوابية . دُرست .

الزاوية العذراوية :

كانت في الصّالحية ، بالقرب من مسجد قيس شرقي الصّالحية الجديدة بسفوح قاسيون ، (كان مسجد قيس شمال مسجد الطشتدار الحالي إلى الشمال من جامع الشيخ عبد الغني النابلسي) أنشأها الشيخ محمد العذراوي بعد سنة (١٩٠٠ م) كما يرجح الأستاذ دهما . دُرست .

زاوية عرودك :

كانت في الصّالحية ، شمالي دار الحديث الاشرفيةالى الشمال القريب من زقاق الشهابية . شرقي المدرسة المعظمية أنشأها الشيخ عبد الرحيم العرودكي المتوفى في العهد العثماني سنة(١١٢٣ هـ / ١٧١١ م) . وجددها فيما بعد الشيخ محمد بن شعيب الصحراوي فنسبت إليه .

الزاوية العفيفية :

كانت عند حمام العفيف ، بجادة العفيف ، شمال الجسرالآبيض ، بجوار جامع العفيف من جهة الجنوب الشرقي ، تنسب للعفيف الرمادي (؟) دُرست

الزاوية الكريمية :

كانت بسفح قاسيون بالدخلة الثانية تحت الجسر الابيض تنسب لمنشيئها عبد الكريم الأمياتي ، وتعرف ايضا بمسجد الشرب . دُرست

الزاوية الكيلانية :

كانت بسفح قاسيون مجهولة الموقع والنسبة ، ولعل لها علاقة بمسجد الكيلانية في الصّالحية قبالة تربة ابن سلامة الرقي ، أوبالتربة الكيلانية ، والغريب انّ احداً من المؤرخين لم يذكرها بهذا الاسم غير ابن كنان الذي جاء كلامه جملة من الطلاسم يقول فيها : (تنسب تسميتها لقربها من تربة الشيخ موسى الحافظ المحدّث) وتعرف الزاوية أيضاً بالزاوية الجعفرية . دُرست .

الزاوية النحلاوية :

كانت في الصّالحية بسفح قاسيون ، اسفل الخميسيات ، غربي مقبرة الشيخ عمر ، أنشأها الشيخ علي النحلاوي المتوفى سنة (٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م) ولا علاقة لها بمسجد النحلاوي في زقاق المحكمة . دُرست

زاوية الهنود :

كانت في الصّالحية ، بحارة المقدّمية التي عرفت قديماً بحارة الركنية ، دُرست

- الزاوية الشياحيّة :

بالوادي الشرقي وهي عبارة عن مغارة في واد يُعرف بوادي الشياح .أنشأها الشيخ محمد الشياح بحدود سنة (٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م) فنسبت إليه . دُرست .

- الزاوية الشهيديّة :

بالسهم الأعلى كانت بيت الشهيد الصالحي ثم صارت بيت الحجيج الطحان . ومحيت الكتابة التي كانت على بابها وقد صارت في زماننا جنينة . ولا علاقة لهذه الزاوية بالتربة الشهيدية في في باب الفراديس . دُرست

- **الزاوية الأحمديّة :**

غربي عين الكرش بالأرض التي هي وقف المدرسة البلخيّة .

- **الزاوية المعابيّة :**

شمالي تربة الشيخ محي الدين بن العربي وبابها الخارج يفتح إلى الشمال بالشارع الأعظم وسط الصّالحية .أنشأها المعلم معاية الكيال المتوفى سنة (٨٧٠ هـ / ١٤٤٦ م) . دُرست .

- **الزاوية الداوديّة :**

أعظم زوايا الصّالحية وتسمى زاويّة ابن داود ولم يبق من آثارها شيء غير عرصة فيها قبور ويقول شيوخ هذه المحلة انّ تحت هذه العرصة مغارة كانوا ينزلون إليها وهم صغار ثم سدت . كانت تحت كهف جبريل إلى الشمال الغربي من جامع الحنابلة

- **الزاوية الرجيحيّة :**

بحارة الجوبان من جهة الشرق أسفل الروضة بسفح قاسيون بالسهم الأعلى من الصّالحية . أنشأها القاضي محي الدين أبو المواهب عبد القادر بن محمد الرجيحي في حدود سنة (٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م) . دُرست .

- **زاويّة عين الملك :**

ومنها الزاوية الملكيّة تحت تربة السبكيين وكهف جبريل وأصبحت دارا يسكنها أحد الفقراء ويدعي أنه من ذريّة الواقف .

- الزاوية القطنانيّة :

بالقرب من الزاوية الملكيّة بمحلة مدرسة الشرفا و إلى الآن يقام الوقت بها ليلة الخميس . أنشأها الشيخ الصالح المبارك محمد بن أحمد بن الشيخ علي بن الشيخ القطناني دُرست .

- الزاوية السبيليّة :

تحت الجسر الأبيض ، ثم خربت وفكت أنشأها الشيخ محمد بن السبيلي المتوفى بحدود سنة (٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م) .

- الزاوية المنصوريّة : عند الجامع الجديد وكان أصلها مسجدا لطيفا على نهر يزيد ولا تزال موجودة .أنشأعا العلامة الخواجا برهان الدين بن منصور الشافعي في سنة ٨٩٠ / ١٤٨٥ . دُرست

- الزاوية المباركيّة : بالقرب من التربة الكيلانيّة وكان أصلها تربة ومسجدا .أنشأها الشيخ المبارك بن عبد الله القابوني بعد سنة ١٩٠٠م دُرست .

- الزاوية الصماديّة :

غربي زاويّة عين الملك (دثرت) .

- الزاوية العلائيّة :

بمحلة الحواكير شمالي باب حاكورة القاضي قوام الدين الحنفي وقد خربت .ولا علاقة لها بالتربة العلائية بمقبرة الصوفية في البرامكة .

- الزاوية الرحمانيّة :

شمالي الشيخ ولي الله تعالى أبي بكر العرودك . كانت في الصّالحية شمالي الطرف الغربي لجادة المدارس أنشأها الشيخ عبد الرحمن شعيب الصالحي سنة (٨٨٠ هـ / ١٤٧٥ م) . دُرست .

– الزاوية الشعيبيّة :

عند الشيخ العرودك المشار إليها ، ويقام بها الذكر وهو مستمر بها ليلة الاثنين . كانت في الصّالحية شمال الطرف الغربي لجادة المدارس أنشأها الشيخ محمد بن شعيب الصحراوي . د رست .

إلى هنا [١]

مزارات الصّالحية

أما المزارات بها فكثيرة . فالمشهور منها في الجبل[٢] :

– مغارة الدم .

– والمحاريب الأربعين في رأسه وخلوتهم .

– ومغارة التوبة هناك .

– ومسجد الكهف والغار الذي فيه ، وقبور الشهداء هناك .

– ومغارة زاويّة الارموي فوق الروضة .

---

[١] المراجع : القلائد الجوهرية لابن طولون / ثمار المقاصد لابن عبد الهادي / المروج السندسة لابن كنان / مختصر تنبيه الطالب للعلموي / منادمة الاطلال لبدران / الدارس .

[٢] المراجع : المروج السندسية لابن كنان / ثمار المقاصد لابن عبد الهادي / تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر / الدارس للنعيمي / الاعلاق الخطيرة لابن شداد / القلائد الجوهرية لابن طولون /ذيل ثمار المقاصد لطلس / ابداية والنهاية لابن كثير .

– ومغارة التوبة هناك .
– ومسجد تل الشيخ سعيد والمغارة الكبيرة هناك .
– ومسجد ومئذنة عبد الحق و وقبور الشهداء تحت جسر البط هناك .
– ومسجد الربوة ، ومهد عيسى ، والتخوت هنالك .
– ومسجد مقرا .
– ومدرسة الشيخ أبي عمر .
– وشباك النبي صلى الله عليه وسلم الذي غربي دار الخطابة بالجامع المظفري .
– وقبر سيدي ركن الدين بمحلة الركنيّة .
– وقبر الشيخ موفق الدين بن قدامة وسط الروضة وهو معروف .
– وقبر الحافظ ضياء الدين المقدسي ، ويقال انّ قبره المحجر الذي تحت الحدرة التي تحت الشيخ موفق الدين .
– وقبر الشيخ محي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي من أهل الأندلس بتربة قاضي القضاة ابن الزكي الشافعي وقد بنى عليه الآن الملك المظفر سليم خان بن عثمان قبة ، وجعل عليه سردابا وتابوتاً .
– وقبر الأنبياء بمغارة الجوع من جهة الشرق تحت مغارة الدم : قيل إنه مات في هذه المغارة أربعون نبياً من الجوع دفنوا في هذا القبر
ونكتفي بهذا القدر من المزارات فهي كثيرة جدا ولا مجال لذكرها في هذا الكتاب .

- قبر أبي بكر بن قوام البالسي : في الزاوية القواميّة البالسيّة بالمهاجرين
- قبر أبي السباع : في حيّ الصّالحية ، إلى الجنوب القريب من وادي الشيّاح
- قبر أبي السعود بن هنفري البدوي : شرق مقبرة الروضة في الصّالحية ، شمال قبر الشيخ يوسف القميني
- قبر أبي العباس البخاري : بمقبرة الروضة من سفوح قاسيون من الصّالحية
- قبر أبي محمد القاسم بن عساكر الطبيب : في سفح قاسيون من الصالحية– التربةالقرشيّة شمال مقبرة الروضة .

- قبر أبي منصور عبد السلام الكيلاني : في سفح قاسيون من الصّالحية ، بالتربة الارمويّة ، بجانب مقبرة الروضة من جهة الشمال
- قبر جمال الدين بن مالك : في سفح قاسيون . بمقبرة الروضة توفي (٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م)
- قبر دمرداش : في قبة العظام بالصالحيّة .
- قبر سيدي ركن الدين : بالمدرسة الركنيّة البرانيّة في سفح قاسيون
- قبر الشيخ أبي عمر : بتربة الشيخ أبي عمر في الصّالحية .
- قبر الشيخ أحمد بن قدامة : بسفح قاسيون من جهة الشرق ، في الخميسيات الواطيات ، عند قبر الشيخ أبي عمر
- قبر عماد الدين الواسطي : في سفح قاسيون من الصّالحية ، بمقبرة الروضة .
- قبر عيسى الحنفي الفلوجي : في سفح قاسيون من الصّالحية . في الجانب الشرقي من مقبرة الروضة .
- قبر محمد البلخشي الحنفي : قبالة الشباك الشرقي لقبو جامع الشيخ محي الدين في الصّالحية .
- قبر محي الدين الرجيمي : في سفح قاسيون من الصّالحية ، في الجانب الشرقي من مقبرة الروضة .
- قبر مصطبة الدعاء : في سفح قاسيون من الصالحية أسفل مقبرة الروضة .
- قبر منصور الماتريدي : بسفح قاسيون ، في التربة الخوارزميّة تحت كهف جبريل .

. قبر موفق المقدسي : بسفح قاسيون ، في مقبرة الروضة .

<u>– مقابر النيرب :</u>

كانت بلغة اليوم بين شارعي أبي رمانة والمالكي ، من جهة الجنوب ، بما في ذلك شارع بيروت ،

- مقام الخليل :

في اعلى قرية برزة . (حيّ برزة البلد اليوم) تنسب تسميته لأبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام و يُعرف ايضاً بمقام إبراهيم ، و بمقام برزة .

- مقبرة الأكراد :

لعلها هي نفسها مقبرة الشيخ خالد النقشبندي في حيّ ركن الدين اليوم وكان فيها مسجد بناه رجل اسمه علي .

- مقبرة بنت الحارة :

كانت في الصّالحية ، بحارة رأس العلية فوق المدرسة الصّالحية .

- مقبرة الروضة :

في حيّ الصّالحية ، بأبي جرش ، إلى الجنوب من وادي الشيّاح ، والغرب المجاور لتربة (غرلو) ، والشرق من زاوية الداودية .

- مقبرة سوق القطن : مجهولة الموقع ، وهناك احتمال كونها في سوق القطانين بالصالحية أكثر من احتمال كونها في سوق القطانين داخل باب الجابية (سوق القطن اليوم) لضيق موقعه .

المآذن والقباب المشهورة بالصالحيّة

مئذنة: (وتكتب أحياناً مأذنة) : المنارة التي تعلو الجامع أو المسجد ، ومنها يرفع الآذان ولقد ذكرت كتاباتها بالحالتين حسب ماوردت في المصادر .

أما المآذن – فمنها :

- مئذنة مقرى :

وهي من آجر بطبقة واحدة وقد تهدّم رأسها ، وقيل إنها قبل الصّالحية .

- مئذنة كهف جبريل :

كانت أقدم مئذنة في الصّالحية ، ولم يدرك ابن طولون الا اساسها ، وقد بلغه انّ شيخه شمس الدين الورّاق فكّها لما كان متكلماً عليها ولم تعد .

- مئذنة المدرسة الاتابكية :

لا تزال قائمة فوق المدرسة الاتابكية ، (جامع الاتابكية) في جادة المدارس في الصّالحية ، أنشأتها في العهد الأيوبي ، تركان خاتون زوجة الملك الاشرف سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) وكانت من آجر بطبقة واحدة ، ولعل تسميتها نسبت إلى منشئتها باعتبارها من الأتابكة أو إلى شقيقها (ارسلان أتابك) أو إلى والدها الملك عزّ الدين مسعود بن زنكي ، وهو من الاتابكة أيضاً .

- مئذنة المدرسة الحاجبية :

لاتزال قائمة فوق جامع المدرسة الحاجبية في حيّ الصّالحية . وكانت في عصر ابن طولون من حجر معذري ودائرة مثمنة بطبقتين ، وقبتها (جوسقها) على أعمدة من رخام ثمانية في قبلتها تقبيسة بارزة على جناح من رخام تحت الدور التحتاني لم تكمل . أنشاها في العهد المملوكي الحاجب في الشّام الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير مبارك الاينالي ، دوادار الساطان سودون النيروزي ، تولى (٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م) ، وتوفي سنة (٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م) فنسبت تسميتها إلى لقبه ، وتُعرف أيضاً بمئذنة الحاجبية .

- مئذنة لمدرسة الركنية :

لاتزال فوق جامع المدرسة الركنية البرانية في ساحة شمدين آغا من حيّ ركن الدين ، وكانت في عصر ابن طولون من آجر بطبقة واحدة ، أنشأها والمدرسة في

العهد الايوبي الأمير ركن لدين منكورس الفلكي شقيق الملك العادل سنة (٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م) ، واكتمل البناء سنة (٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م)

- مئذنة المدرسة المارداني ة :

لا تزال قائمة فوق جامع المارداني ة في ساحة الجسر لابيض ، وكانت في عصر ابن طولـون مـن آجـر بطبقـة واحـدة . أنشـأتها والمدرسـة المارداني ـة (عزيـزة الـدين أخشاخاتون) بنت الملك قطب الدين صاحب ماردين ، وزوجة الملك المعظم عيس بـن الملـك أبـي بكـر محمـد وذلـك فـي العهـد الأيـوبي سـنة (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) وسميت بالمارداني ة نسبة لماردين التي كان قطب الدين صاحبها .

- مئذنة الجامع الجديد :

كانت فوق الجامع الجديد في الصّالحية ، بجادة ابن المقدم ، وهي من مآذن العهد الأيوبي المتأخر شيّدت والجامع سنة (٦٥٣ هـ) وأقيمت من حجارة صغار بطبقة واحدة ، ثم جددت لها طبقة آخرى بحدود سنة (٧٩٠ هـ وقيل ٨٩٠ هـ) . وتعرف أيضاً بمئذنة الخاتونية نسبة لعصمة الدين خاتون زوجة السلطان نور الدين الشهيد ثم صلاح الدين الأيوبي من بعده .

- مئذنة جامع الحنابلة :

كانت فةقه مئذنتان وبقيت منهما واحدة ، وعنهماذكر ابن طولون : ٠ مئذنة جامع الحنابلة وهي من آجر بطبقتين ، وعليها اعتماد أهل الصّالحية ، ومنها مئذنة رواقة القبلي ، وهي من آجر بطبقة واحدة جددت في أيامنا – ايام ابن طولون – ولم نرى أحداًيؤذن فيها قطّ) أقيمت المئذنة في العهد الأيوبي سنة (٦١٠ هـ) كما هو منقوش في حجر مؤرخ عند مدخلها ، وأنشأها مظفر الدين كوكبوري ، صاحب (إربل) أيام الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب .

- مئذنة جامع الشبلية :

كانت فوق جامع الشبلية بمحلة الشبلية (بساحة الميسات ومجاوراتها اليوم) وكانت من آجر بطبقة واحدة وهو غير مسجد الشبلية عند المدرسة الشبلية البرانية .

- مئذنة دار الحديث القلانسية :

كانت فوق دار الحديث القلانسية التي عرفت بجامع التكريتي في الصّالحية ، قرب جامع الشيخ محي الدين بن عربي .

- مئذنة الشيخ أبي عمر : كانت فوق المدرسة العمرية في الصالحية ، وهي من خشب بركته على الخلاوي بطبقة واحدة ، وفيها يقول ابن طولون : (وقفت في أيامنا وما بقي منها سوى شيء يسير ولم تعد) . وتعرف أيضاً بمئذنة العمري .

- مئذنة عبد الحق :

كانت عند قبور الشهداء (انظر مسجد الشهداء) بدرب الجسر الابيض ، وكانت من آجر ورأسها على هيئة الصومعة ، وذكر ابن طولون : (وقعت في أيامنا ، وكان سبب وقوعها الشيخ محمد العجمي الذي جدد السقف على هذه القبور حين نكس ما حولها وكانت مائلة إلى جهة القبلة .

- مئذنة عمارة السلطان سليم :

لا تزال قائمة فوق باب جامع الشيخ محي الدين بن عربي ، وهي المئذنة الوحيدة القائمة على باب الجامع في الصّالحية ، شيدت والجامع في بداية العهد العثماني سنة (٩٢٤ هـ / ١٥١٨ م) ، وبنيت بحجارة بلق بيض وصفر وسود ، وجاءت بطبقتين ، وقبّتها على أعمدة من الصخر (ذات جوسق معومد) .

– مئذنة المدرسة المرشدية : لاتزال قائمة فوق جامع المارادنية في جادة المدارس من حي الصّالحية ' وكانت من آجر بطبقة واحدة وجدد درابيزينها في حدود سنة (٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م) ، أنشأتها والمدرسة في العهد الايوبي (خديجة خاتون)

بنت الملك المعظم عيس بن الملك العادل ابي بكر محمد ، ودفنت فيها سنة (٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) .

- مئذنة المدرسة المقدمية :

كانت في الصّالحية فوق المدرسة المقدمية البرانية ، وكانت في عصر ابن طولون من آجر بطبقة واحدة وقد ذهب راسها ولم يعد .

- مئذنة النحاس :

كانت في حي ركن الدين ، فوق مسجد النحاس ، وكانت في عصر ابن طولون من الآجر ولم يدرك سوى أسفلها ثم فك المسجد وأخذت آلته ،

- مئذنة تل الشيخ سعيد :

كانت في الصّالحية ، وعلى هيئة صومعة من حجارة غير نحيت ، وقد ذهب رأسها في زمن ابن طولون .

- **مئذنة رواقة القبلي :**

وهي من آجر بطبقة واحدة جددت في أيامنا ولم نر أحدا يؤذن فيها قط .

- **مئذنة جامع الأفرم** : وغالبها من آجر بطبقة واحدة .

- **مئذنة دار الحديث الناصريّة** : وغالبها من آجر بطبقة واحدة .

- **مئذنة التربة العادليّة :** وهي من آجر بطبقة واحدة خربت .

- **مئذنة جامع النيرب** : وهي من آجر بطبقة واحدة خربت .

- **مئذنة التخوت في الربوة** :

(قاعة نور الدين) وهي من آجر على هيئة صومعة ويقال إنها أقدم من مئذنة الكهف المذكورة قبلها .

- **مئذنة مقام الخليل** :

أعلى قريّة برزة وهي من آجر على هيئة الصومعة وذكرناها هنا لاتصالها بقاسيون دون مآذن هذه القريّة .

قباب الصّالحية [1]

قبة الخضر : كانت فوق الربوة . عند سفوح قاسيون . الغربية . فوق صخرة المنشار ،ونهر يزيد (صخرة اذكريني دائماً) ، وعندها مصلى الخضر أومسجد الخضر ، تنسب للخضر شيخ السلطان الملك الظاهر بيبرس من العهد المملوكي ، وكان بها محراب فاطمي دُرست .

- **قبة السيّار** : لاتزال عند الطرف الغربي بجبل قاسيون المطل على خانق الربوة ، فوق دير مران والمنشار ، وتعرف خطأ على ألسنة الناس بقبة (السيار) ، والصواب ما ذكرناه ، مجهولة تاريخ البناء ، لكن طراز عمارتها ايوبي فلربما جددت في ذلك العهد ، تنسب للأمير (سيّار الشجاعي) ويميل الاعتقاد أو التوهم إلى أنها

[1] المراجع : تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر / القلائد الجوهرية لابن طولون / المروج السندسية لابن كنان / ثمار المقاصد لابن عبد الهادي / مشيدات دمشق ذوات الأضرحة للشهابي .

قبة المرصد الذي أقامه الخليفة المأمون في العهد العباسي خلال السنوات (٢١٥-٢١٨ هـ) وورد تسميتها في بعض المصادر (قبة المرصد) .

- **قبة النصر على سوار** : ويقال لها قبة برقوق : أنشأها نائب الشّام في العهد المملوكي برقوق سنة (٨٧٧ هت / ١٤٧٢ م) في أعلى جبل قاسيون ، فوق الصّالحية . عند مغارة شداد . احتفالا بانتصار الدولة على (شاه سوار الغادري) الذي أعلن العصيان عليها في إمارة (كيليكيا) ثم سقطت هذه القبة في زلزال (١١٧٣ هـ / ١٧٥٩ م) وازيل ما تبقى منها كلياً سنة (١٣٦٠ هـ / ١٩٤١) بعد دخول الحلفاء دمشق في الحرب العالمية الثانية ، وكانت تُعرف على ألسنة الناس (بكرسي الداية) ، وبقبة برقوق نسبة لمنشئها وبقبة النصر وقيل انه وجد موضعها ذهباً كثيراً مدفوناً .

قبة ريحان : لاتزال في رأس جادة العفيف (بجادة عمر صغر) قبالة تربة أمة اللطيف المعروفة خطأ باليغمورية . غربي خان السبيل وفيها تربة ومسجد ريحان بن عبد الله . عتيق الملك المعظم ، المتوفى في العهد الأيوبي سنة (٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م) .

- **قبة ابن نجدة :** في محلة الصّالحية بحارة الحياك الشرقية (حارة أبي السباع) إلى الشمال من جامع الحنابلة ، قبلي الشيخ يوسف القميني ، فرغ من بنائها سنة (٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م) تنسب إلى عبد الرحمن بن نجدة بن حمد بن النقيب بقلعة دمشق . وتعرف أيضاً بقبة عبد الرحمن بن نجدة .

- **قبة الرقي :** لا تزال في سفح قاسيون بالصالحية . شرقي جامع الحنابلة . وتنسب لأبي عبد الله الحسن ابن سلامة الرقي ، المتوفى في العهد الأيوبي سنة

(٦٢٠ هـ) والمدفون فيها ودفن فيها الشيخ علي الفرني غربي المرشدية على جادة الطريق .

- **قبة شرف بن عبد الله :** لاتزال في الصّالحية ، غربي قبة ابن نجدة بشمال (شمال غرب جامع الحنابلة) جدد بناؤها نائب السلطنة المملوكية بدمشق الأمير سيف الدين غرلو العادلي ، الذي اقام بدمشق بعد ولايته وتوفي فيها ودفن في هذه التربة سنة (٧١٩ هـ / ١٣١٩ /) فعرفت به وكانت تُعرف قبل ذلك بتربة شرف .

- **قبة العظام :** كانت في الصّالحية ، شمالي غرب مسجد دمرداش ، الكائن على ضفة نهر يزيد شمالي تربة البيمارستان القيمري وفيها قبر (دمرداش) بانيها . دُرست

- **قبة الأمير المجاهد حسام الدين :** سلمان بن علي الحميد ودفن بها بركة الاماج من جهة الغرب .

- **قبة الكيلاني :** كانت بسفح قاسيون و شرقي تربة العفيف بالصالحية ، وهي غير التربة العفيفية .

- **قبة المدرسة المعظمية :** كانت بسفح قاسيون ، فوق المدرسة المعظمية . دُرست .

مواقع في دمشق يجاب فيها الدعاء

وقال ابن الحافظ سرور المقدسي في فضائله :

(ورد في الأخبار) انّ المواضع التي يجاب فيها الدعاء (بدمشق) كثيرة منها :

– **مغارة الدم** [1] :في جبل قاسيون لأنها مأوى الأنبياء ومصلاهم (و مستغاثهم) .

– **المغارات** [2] : التي في جبل النيرب كانت مأوى (عيسى بن مريم) عليهما الصلاة والسلام .

– **مسجد إبراهيم** : (عليه الصلاة والسلام) الذي ببرزة . و مسجد القدم في رأس ميدان الحصى ، يقال : انّ هناك قبر موسى (الكليم) عليه الصلاة والسلام .

قال الهروي قريّة النيرب هو ما قبل الربوة (منطقة كيوان) من ناحيّة دمشق بقاسيون (بجامعها قبر موسى بن عُمران) تجاهها قبر أم مريم .

الساحات والاسهم والأسواق في الصّالحية والمهاجرين

[1] انظر التفاصيل في الفصل الأول من كتابنا روائع التراث فيها معلومات هامة

[2] - هل هي مغارة أم مغارات ، وأظن أنها المغارة التي أوى إليها عيسى وأمه مريم كانت في الربوة (انظر التفاصيل في كتابنا روائع التراث في دمشق ، الفصل الأول) ..

الساحة [1] : حلقة الاتصال التي تتفرع عنها الشوارع الرئيسية :

– ساحة آخر الخط :

تسمية شائعة على ألسنة الناس للساحة التي تقع في آخر طريق المهاجري من جهة الغرب ، أطلقت نسبة لأخر محطة للترام قبل إلغائه كانت في هذا الموقع . وتعرف الساحة ايضاًباسم ساحة خورشيد نسبة لقصر بناه خورشيد المصري (وهو القصر الجمهوري القديم القلئم حالياً قربها) وتعرف اليوم رسمياً باسم ساحة ذيقار (نسبة لمعركة ذي قار التي جرت في الجاهلية بالعراق بين العرب والفرس وتوحدت فيها قبائل العرب ، فكانت أول انتصار لهم على العجم سنة (٦١٠ م) .

– ساحة الاولياء :

ساحة تاريخية قديمة لا تزال في محلة الفواخير ، عند الطرف الشرقي لمنطقة المهاجرين . فوق نهر يزيد ، قرب جادة السكة ، لصيق المدرسة الارموية الدارسة ، سميت بذلك لأنها تضم قبوراً يعتقد الناس بانها قبور لأولياء صالحين .

– ساحة الجريد :

كانت إلى الغرب من محلة الحواكير ، تحت ساحة أخر الخط (أسفل قصر تشرين ، وعلى امتداد مستشفى الشامي اليوم) وكانت تقام فيها سباقات الخيل ومباريات (الجريد) بين الفرسان ، فيحمل الواحد منهم جريداً في يده (وهي خيزرانة قصيرة والكلمة من اللغة الكردية وتعني : السباق) ، ثم يعدو بفرسه ويلحق فارس آخر . فإذا مسّه بها غلبه ، وكانت لهذه اللعبة أصول متّبعة ، وهي من ألعاب الفروسيّة الاتية من أسيا الوسطى . وفي عام (١٩١٨ م) نصب الانكليز خيامهم في هذه الساحة بعد دخولهم دمشق مع القوات العربية والامير فيصل بن الحسين ، وبقوا فيها (٣– ٤) أشهر كانوا يتسلون خلالها بلعبة الفوتبول (كرة القدم) . دُرست .

---

[1] - المراجع : معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي / القلائد الجوهرية لابن طولون / ذكريات لعلي الطنطاوي / دمشق تاريخ وصور / المنجد في اللغة والاعلام /

– ساحة الحسر الابيض :

في الصّالحية ، بين طلعة العفيف والطلياني ، وكانت محلة الجسر الابيض في العهد المملوكي من أنزه البقع في دمشق . وصفها البدري في القرن التاسع للهجرة سميت بذلك لوجود جسر فيها كان مبنياً بحجارة بيضاء فوق نهر(ثورا) .

– ساحة شمدين :

برأس شارع ركن الدين ، عند المدرسة الركنية . سميت بذلك نسبة إلى سعيد باشا شمدين أحد الاعيان بدمشق في عصره ، وأمير الحج الشامي .

الأسهم والاسواق [1]

<u>السهم :</u> محلة كانت في الصّالحية ، شمالي نهر ثورا ، بينه وبين نهر يزيد إلى الشرق المجاور لجادة ابن المقدم . الواصلة بين ساحة الجسر الابيض وجادة المدارس اليوم ، وكانت من أنزه البقع ومنتزهات دمشق . وتقسم إلى السهم الأدنى وفوقه السهم الأعلى ، زالت وتحولت إلى مناطق سكنية ،

<u>السهم الادنى :</u>

موضع ضمن محلة السهم كان يمتد من ساحة الجسرالابيض إلى المدرسة الشبلية البرانية شرقاً . فوق نهر ثورا ، انتشر فيه العمران ، فدُرس ،

<u>– السهم الاعلى :</u>

موضع كان شمالي السهم الادنى ، جنوبى نهر يزيد ، بين جادة ابن المقدم غرباً والمدرسة الحاجبية (جامع الحاجببية أنتشر فية العمران اليوم) فدُرست.

<u>– سوق ابي جرش :</u>

[1] - المراجع : المروج السندسية لابن كنان / القلائد الجوهري لابن طولون / نزهة الرفاق لابن عبد الهادي / الدارس للنعيمي / البداية والنهاية لابن كثير / مختصر تنبه الطالب للعلموي / ثمار المقاصد لابن عبد الهادي / نزهة الانام للبدري .

كـان فـي الصّـالحية ، بمحلـة أبـي جـرش ، بـين المدرسـة العمريـة وجـامع الحنابلـة ، دُرس .

- السوق الاعظم :

كـان فـي الصّـالحية ، جنوبي جـامع الحنابلـة ، وقـع فيـه حريق بالعهد المملوكي فـي الثامن من محرم سنة (٨٨٠ هـ) ، درس .

- سوق السلسلة :

كان من الاسواق الكبرى في محلة الصّالحية ، وعنده بير السلسلة درس .

- سوق البيمارستان :

كان من أسواق الصّالحية ، ينسب للبيمارستان القيمري القائم فيها . درس .

- السوق التحتاني :

كان في محلة الصّالحية دُرس .

- سوق الجركسية :

كان من اسواق الصّالحية ، عند المدرسة الجهاركسية ، وبجواره نحو الغرب سوق شعيب . درس .

- سوق الجسر :

كان من اسواق الصّالحية ، مجهول الموقع . دُرس .

- سوق الجمعة :

لا يزال في حي الصّالحية ، بجادة المدارس ، واول ذكر له ورد عند العلاف ، وفي خارطة بلدية دمشق (١٩٢١ / ١٩٢٤ م) سمّي بذلك لأنه كان يقام قديماً كل يوم جمعة ، وأما اليوم فهو سوق دائم ، وكان سوق الجركسية (الجهاركسية ، وعاميتها الشركسية) فـي موضـع قسمه الغربـي ممـا يلـي المدرسـة الجهاركسية ، وبجواره من جهة الغرب .

- سوق شعيب :

كان في محلة الصّالحية ، بالقسم الغربي من سوق الجمعة اليوم ، إلى الغرب من المدرسة الجهاركسية ، يُعرف على ألسنة العامة بسوق الشركسية ، ينسب إلى الشيخ (شعيب) وقبره فيه درس .

- سوق الصّالحية :

اختلفت المصادر في موقعه ، فمنها من يقول : عند التربة التكريتية . (هذه التربة اليوم في سوق الجمعة ، قبالة دار الحديث الاشرفية البرانية) ، ومنهم من يجعله قرب لبجامع المظفري (جامع الحنابلة) واحترق في العهد المملوكي سنة (٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م) وأتت النار على ما يقارب (١٢٠) دكاناً . وبتقاطع المقولتين نستنتج انّ سوق الصّالحية ربما كان يمتد من عدة اسواق أصغر تؤلف بمجموعها هذا السوق خصوصاً وأن تسمية (سوق) كانت تطلق في العهد المملوكي على عدة دكاكين متجاورة تبيع نفس السلعة غيران الأستاذ دهمان جعله بين جامع الحنابلة والمدرسة العمرية ، و يُعرف سوق الصّالحية أيضاً يسوق الصّالحية الكبير ، واليوم لا يزال هذا السوق ممتداً بين التربة السلامية (تربة ابي سلامة الرقي) والتربة التكريتية ، درس .

- سوق الفاكهة :

كان بمحلة الصّالحية ، يُعرف ايضاً بالسوق الفوقاني ، درس .

- سوق القطانين :

كان في الصّالحية في الشمال الشرقي من جامع الشيخ محي الدين ، والجنوب من المدرسة البزورية . و يُعرف أيضاً بسوق القطن ، (وهو غير سوق القطن داخل باب الجابية . درس .

- سوق النجارين :

كان في الصّالحية ، وفيه التربة الايبكية . درس .

- سوق النيرب :

كان في محلة النيرب ، وهي متنزه قديم كان في موضع حي المالكي ، وأبي رمانة . درس .

الشوارع والطرق[1] :

– **الشادروان** : موضع في خانق الربوة بينها وبين قرية دمّر ، والتسمية فارسية استعملت في التركية والعربية وتعني :
الميزاب أي مسيل الماء ، نسبة لشلالات صغيرة كانت فيه ، ويحتمل أنها منسوبة للسدود الخشبية التي كانت مقامة على نهر بردى في ذلك الموقع .
ولا صحة لما وهم البعض من انّ التسمية منسوبة إلى (الشاه دروان) ، فلا وجود لمثل هذا الشاه في المصادر التاريخية ، ولا صحة أيضاً لقول العامة انّ شادراً (خيمة) نصبها الملك دروان فنسبت إليه . فكلها اقاويل اسطورية عاميةوالصواب ماذكرناه .
الشارع الاعظم : كان في الصّالحية .
شارع ناظم باشا : بين شورى وآخر خط المهاجرين . اطلقت التسمية نسبة لوالي دمشق العثماني حسين ناظم باشا ، الذي تولى ثلاث مرات خلال السنوات (١٨٩٥ / ١٩١١م) وترك بصماته العمرانية الكبيرة على مدينة دمشق ،
– شباك النبي : موضع في الصّالحية ، غربي دار الخطابة الكائنة في جامع الحنابلة .
– **الشرف الاعلى** : محلة كانت في سفح قاسيون و بين سوق صاروجا وصدر الباز وتشمل زقاق الصخر والطرق الجنوبي اشارع أبي رمانة والمالكي ، و يُعرف أيضاً بالشرف الشمالي أو الشرف العالي .

[1] - المراجع : منتجات التواريخ لدمق للحصني / دمشق للطنطاوي / الدارس للنعيمي / المروج السندسية لابن كنان / تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر .

- **طرق حور تعلا** : كان يخترق بساتين أبي جرش ومحلة الصّالحية ، بين بساتين حور تعلا ونهر ثورا شمالاً وجامع مسجد الأقصاب جنوباً .

- **الطريق السلطاني** : كان عند حارة المقدم . وقناة العيني في الصّالحية (أعتقد انّ التسمية نسبة للسلطان العثماني سليم الاول وللعمارة السلطانية وهي جامع الشيخ محي الدين والتكية السليمانية قباله .

- **طريق الصّالحية (١)** : كان الطريق الواصل عبر البستاتين بين سوق صاروجا ومحلة الصّالحية .

- **طريق الصّالحية (٢)** : حالياً هو جادة الصّالحية الممتدة بين بوابة الصّالحية وساحة الجسر الابيض .

- **طريق الصّالحية العتيق** : كان عند حمام النحاس في الصّالحية .

- **طريق الكهف** : الطريق الآخذ من دمشق إلى مغارة الكهف (كهف جبريل في جبل قاسيون) وفيه دير أبي العباس .

- **طريق مغارة الدم** : الطريق الاخذ من دمشق إلى مغارة الأربعين ، في جبل قاسيون)

ناعورة الشيخ محي الدين بن العربي

مدينة دمشق أقدم عاصمة مأهولة في التاريخ ، دمشق تتوسد ركبتي حبيبها الأزلي جبل قاسيون مفاخرا بها الدنيا .

دمشق اقتطعها الله تعالى من جنانه في السماء لتكون جنته على الأرض وآيته ومعجزته ودليلاً على قدرته ومقدرته .

دمشق تبوأت مركز الصدارة بالفن المعماري بآثارها وأسوارها وأسواقها وأبوابها وقلعتها ومساجدها ، والمسجد الأموي قلادة نادرة لا مثيل لها في العالم كله ، ومن آثارها الدينيّة أيضاً مسجد الشيخ محي الدين بن العربي في حيّ الصّالحية أو في حيّ الشيخ محي الدين من سوق الجمعة الشهير زقاق يدعى زقاق النواعير . وخلف أحد أبواب ذلك الزقاق توجد منشأة مائيّة فريدة ، يقدر عمرها بنحو سبعة قرون ونصف القرن ومن ميزاتها أنه لا مثيل لها في العالم ولقد أطلق عليها سكان دمشق اسم (ناعورة الشيخ محي الدين) .

وفي مدينة دمشق الخالدة الصامدة الأبيّة ، وبسفح جبل قاسيون الشامخ بكبرياء العزة العربيّة ، يمر نهر يزيد أعلى فروع نهر بردى السبعة وهو منسوب إلى يزيد ابن معاويّة بن أبي سفيان الذي جدده ووسعه . وينفصل عن بردى بالقرب من قريّة الهامة ويمر بالصالحيّة ويسقي أراضيها وينتهي في أراضي حرستا .
ولقد أنشأ الأمير سيف الدين القيمري المتوفى عام (١٢٥٤م) على سفح جبل قاسيون بالقرب من نهر يزيد بيمارستان الصّالحية أو بيمارستان القيمري . ولا يزال هذا المبنى الإسلامي الرائع قائما بقبابه وحجراته وواجهة بابه التي تعد من أجمل الهندسات العربيّة في القرون الوسطى .
وقد صممت منشأة مائيّة (ناعورة) [1] وركبت على نهر يزيد لتغذي البيمارستان القيمري عند القيام بعمارته وبعد الانتهاء منه واستغلاله كمشفى عام وقد أشرف على بنائها تقي الدين بن المعروف الراصد الشامي ولد (٩٣٢ هـ / ١٥٢٥ م) ، وتوفي (٩٩٣ هـ / ١٥٨٥ م) .

[1] - الناعورة اسمها مشتق من نعيرها وهو صوتها وذاك مأخوذ من (نعر الرجل) : صاح وصوّت ، والنعير : الصياح والصراخ في حرب أو شرّ . وامرأة نعارة : صخابة ، فاحشة . وقيل للدولاب : ناعورة وناعور لغيره وتجمع على نواعير وناعورات . (لسان العرب ، مادة : نعر) .

من كتبه : الطرق السنيّة في الآلات الروحانيّة ، من أبوابه : علم الآلات الروحانيّة وتشمل الساعات وآلات رفع الماء وآلات جر الأثقال ، ثم بنى السلطان العثماني سليم مسجداً على قبر الشيخ محي الدين بن العربي وأصبحت هذه الناعورة تغذي الجامع الجديد بالإضافة للبيمارستان القيمري ، وأصبحت بعد ذلك تُعرف بناعورة الشيخ محي الدين ، اكتسبي ناعورة مسجد الشيخ محي الدين بن عربي شهرة كبيرة لدقة صنعها ، وأهميتها في ذلك الزمان ..وأصبحت اليوم أثراً مهماً من آثار حي الصالحية بدمشق .

وقليل من أهل دمشق الذين يعرفون أنه كان في مدينتهم الخالدة حارة أسمها حارة النواعير في حي الصالحية ، أحد أحياء دمشق خارج السور ..

كانت النواعير الوسيلة الوحيدة لضخ المياه الى المباطق المرتفعة ،التي لا يمكن أن تصلها مياه الأنهار والسواقي ..وقد ظلت النواعير الوسيلة الوحيدة حتى عشرينيات وثلثينيات القرن الماضي ، قبل دخول المضخات العاملة ع٨لى المازوت والبنزين وانتشار الكهرباء .

والناعورة إحدى وسائل الري القديمة وتعتمد على قوة الماء الجارية ، فتحركها لتحمل الماء وترفعه من خلال دورانها الى المناطق العالية . وفي عام (١٩٧٤م) أصدر المستشرق البريطاني المهندس (دونالد هيل) الترجمة الإنكليزيّة لمخطوط بديع الزمان أبي العز بن إسماعيل بن الرزاز الجذري ، مع مقدمة عن التقنيّة الإسلاميّة ، فأحدث الكتاب ضجة كبرى في الأوساط العلميّة العالميّة مما أدى إلى منح دونالد هيل جائزة (ديكستر) التي تمنح لمن يقوم بعمل بارز في تاريخ التكنولوجيا وقد أصدر معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب هذا الكتاب عام (١٩٧٩م) ولولا اكتشاف هذا المخطوط لبقي كثيرون يتساءلون من هو مخترع ناعورة الشيخ محي الدين المائيّة الفريدة التي ما تزال صامدة في وجه الزمن منذ قرون . حظيت هذه الناعورة باهتمام الأوساط العلميّة ، وقصدها الكثير من علماء الغرب لدراستها والاطلاع عليها . وعندما دخل السلطان سليم الأول دمشق ، وأراد التقرب إلى

الشعب والتحبب إليه ، قصد قبر العلامة العربي الشيخ محي الدين بن العربي في قريّة الصّالحية في سفح جبل قاسيون ، وكانت تفصلها عن مدينة دمشق بساتين ورياض كثيرة وحواكير الصبآرة ، وأمر ببناء جامع يضم ضريح العلامة الشيخ محي الدين بن العربي ثم بنى تكيّة مقابل الجامع لإطعام الفقراء وزوار المقام .

بعد إتمام بناء التكيّة والجامع بسنوات كلف المهندس العربي تقي الدين بتصميم ناعورة وبنائها على نهر يزيد للسقايّة والوضوء والخدمات الأخرى .

موقع الناعورة:

إلى الجنوب من جامع الشيخ محي الدين العلامة والولي المشهور وفي زقاق صغير تقع واحدة من أقدم المنشآت المائية (النواعير) المتبقية حتى الآن وكانت في حالة عمل دائم .

حارة النواعير :

يقول الراوي السيد عبد الغني طرحة :(هو مثقف مهتم بالآثار والأدب الشعبي منسكان حي الصالحية).

حارة النواعير سميت بهذا الأسم لكثرة النواعير التي كانت فيها :ومن تلك النواعير ناعورة بيت (أبو حمدي مشمش) التي كنا نسمع عنينها وننام عليه (في حي التغالبة):كانت الناعورة ترفع الماء من نهر يزيد إلى المصنع في بيت أبو حمدي مشمش بارتفاع نحو المترين .. وهناك طاقات مفتوحة على أطراف المصنع وكل طاقة توصل الماء إلى أحد المنازل ،ويسمى هذا عداد..ويصل الماء إلى مجرى على شكل ساقية صغيرة مكشوفة ..ويتابع الراوي السيد عبد الغني طرحة :كنا لا نستطيع النوم إلا على صوت الناعورة وعنينها وصوت خرير الماء في بحرة الدار..وبعد ناعورة الشيخ محي الدين طاحونة السيد حسن التي توقفت عن العمل عام ١٩٧٠ .

بناء الناعورة :

قام المهندس العربي تقي الدين محمد بن معروف الراصد الشامي المهندس والرياضي والفلكي عام (١٥٢٥هـج / ١٥٨٥م) ببناء الناعورة وتصميم دولاب ضخم للناعورة يدور بقوة دفع مياه نهر يزيد ، فيدير بدورانه مسنناً ضخماً من الخشب صنع بطريقة فنيّة وقياسات علميّة صحيحة ، يسمى اللكام ويتعامد هذا المسنن الرأسي مع مسنن آخر أفقي ، يدير عموداً رأسياً يسمى الصاري ، وفي أعلاه يوجد مسنن أفقي يسمى الطبق ، وهذا المسنن العلوي يدير مسننا رأسيا عمودياً عليه في أعلاه يسمى اللقاطة ، وهذا المسنن الرأسي يدير دولابا رأسياً يسمى الماويّة ، عن طريق محور علوي أفقي ، ويدير هذا الدولاب زنجيرين من الحديد طويلين ومتصلين وعليهما سلسلة من الدلاء ... والمسافة بين الدلو والآخر هي ستون سنتيمتراً .

وتأخذ هذه الدلاء الماء من مستوى نهر يزيد إلى ارتفاع اثني عشر متراً ، وتصبه في مجرى محمول على القناطر الحجريّة التي تنقله إلى مسجد الشيخ محي الدين والبيمارستان القيمري . ولم يبق منه الآن إلا واجهته وهناك برج يحتوي على درج حلزوني للصعود إلى التجهيزات العلويّة أي الطبق واللقاطة والماويّة .

لقد ثبت على محيط الناعورة في أحد جوانبها دلاء تأخذ الماء من نهر يزيد وترفعه إلى علو صغير لتغذيّة المنزل المجاور وحديقة جامع الشيخ محي الدين والمنزل يعود إلى أبي عبد الله محمد سلامة أبو سليم الذي ورث خدمة المنشأة عن والده منذ خمسين عاماً وهكذا أصبح هذا الدولاب المائي يقوم أولا بوظيفته الأساسيّة كمحرك مائي للساقيّة ذات الزنجير والدلاء ، وثانياً بوظيفة الناعورة التي تغرف الماء . ولم يظهر في البلاد العربيّة منشأة مماثلة لهذه ، إلا التي وصفها (اغريكولا) عام (١٥٥٦م) أي بعد ثلاثة قرون ، ذات الزنجير ودلاء ومسننات ، والتي كان يديرها رجل بواسطة ذراع المرفق ، وليست تلقائيّة الحركة يديرها تيار الماء المتدفق كناعورة الشيخ محي الدين .

هذا وظلت هذه الناعورة المعروفة باسم ناعورة الشيخ محي الدين منذ ذلك الوقت في القرن الثالث عشر الميلادي وحتّى الآن تعمل ليلا نهارا طيلة سبعة قرون إلى انّ توقفت عن العمل منذ ربع قرن بسبب مياه النهر الملوثة التي لم تعد صالحة للاستعمال بعد انّ كانت أصفى من عين الديك .

ومع مزيد من الأسى انّ الغالبيّة العظمى عندنا يجهلون هذه الناعورة ومكان وجودها ، وهي على قيد خطوات منهم بينما نرى انّ المستشرق الأستاذ الدكتور(شيولر) ، حضر إلى دمشق أثناء انعقاد الندوة الثالثة للسمات الإنسانية للعلم والعمل في بلاد الشّام عام (١٩٨٤ م) ليلقي محاضرة قيمة عن هذه الناعورة وغيرها من منشآت بلادنا الحبيبة .
ومن قول الأمير مجير الدين بن تميم رحمه الله :

أبدت لنا بالعذر ناعورة أدمعها في غايّة السكب
تقول لما ضاع قلبي وقد ضعفت بالنوح وبالندب
صيرت جسمي كله أعينا تدور في الماء على قلبي

ومن لطائف ابن تميم قوله فيها :

ناعورة مذ ضاع منها قلبها دارت عليه بأنة وبكاء
وتعللت بلقائه فلأجل ذا جعلت تدير عيونها في الماء

التغني بالناعورة :

تغنى شعراء كثر في وصف هذه النواعير الجميلة بأبيات جذابة اللحن سهلة المغنى :

- الشيخ زين العابدين عمر بن الوردي يقول :

ناعورة مذعورة

ولهانة وحائرة

الماء فوق كتفها

وهي عليه دائرة

- وقال الشاعر ابن نباتة أيضاً:

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها

وأضلعها كادت تعد من السقم

أدور على قلبي لأني فقدته

وأما دموعي فهي تجري على جسمي

العقد الثمين

في مقام الأربعين

لجامعها

محمد أمين

خادم مسجد الأربعين

العقد الثمين في مقام الأربعين

حمداً لمن خص بعض الأماكن بما شاء من المزايا ، وصلاةً وسلاماً على سيدنا محمد أفضل رسله وسائر البرايا ، وعلى آله ذوي الخصال الحميدة ، وصحبه ذوي الفضائل السّنيّة العديدة .

أما بعد فيقول العبد الفقير إلى الله المعين محمد أمين المعروف بخادم الأربعين :
لما كنت قيّماً على المستغاث بجبل قاسيون ، الحاوي من المآثر ما تقرّ به العيون وكانت ترجمته متفرقة في التواريخ والسّير ، غير مجموعة في كتاب سهل التناول مختصر ، أردت انّ أجمع مؤلفاً حاوياً لما قيل فيه من نثر ونظم ، واستطردت فيه بذكر فضائل الجبل والصالحيّة ومزاراتها الشهيرة وبقيّة مزارات دمشق لتكون للرسالة ختماً ولتسهل الزيارة على قاصديها ويطلعوا على مآثرها وما فيها . ورتبته على ثلاثة أقسام الأول في فضل المستغاث والجبل ، والثاني فيما قيل فيهما وفي الصّالحية من الأشعار ، والثالث فيما اشتهر من المزارات في الصّالحية .
قال تعالى : ((واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله ربّ العالمين إني أريد انّ تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)) .

ذكر أهل العلم بالأخبار والسير انّ حواء عليها السلام كانت تلد لآدم عليه السلام في كل بطن غلاماً وجاريّة ، فكان جميع ما ولدته أربعين ولداً في عشرين بطناً أولهم قابيل وتوأمته إقليما وآخرهم عبد المغيث و توأمته أمة المغيث ثم بارك الله في نسل آدم عليه السلام ، قال ابن عباس لم يمت آدم عليه السلام حتّى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً ، قال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب : الأول انّ آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل انّ يصيب الخطيئة ، فحملت بقابيل وأخته فلم تجد عليهما وحماً ولا وصباً ولا طلقاً ولم تر دماً وقت الولادة ، فلما هبطا إلى الأرض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبودا ، فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم ، وكان إذا كبر أولاده زوّج غلام هذا البطن جاريّة بطن أخرى ،

وكان الرجل منهم يتزوج أيّة أخواته شاء غير توأمته التي ولدت معه ، لأنه لم يكن يومئذ نساء إلا أخواتهن ، فكبر قابيل وأخوه هابيل وكان بينهما سنتان ، فلما بلغوا أمر الله آدم انّ يزوج قابيل لبودا أخت هابيل ويزوج هابيل اقليميا أخت قابيل ، وكانت إقليميا أحسن من لبودا ، فذكر آدم لهما ذلك فرضي هابيل وسخط قابيل ، وقال هي أختي وأنا أحق بها ، ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الأرض ، فقال أبوه آدم إنها لا تحل لك ، فأبى انّ يقبل ذلك ، وقال انّ الله لم يأمرك بهذا ، وإنما هو من رأيك ، فقال لهم آدم قربا لله قربانا فأيكما يُقَبل قربانه فهو أحق بها . وكانت القرابين إذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فأكلتها ، وإن لم تكن مقبولة لم تزل النار بل تأكلها الطير والسباع ، فخرجا من عند آدم ليقربا القربان ، وكان قابيل صاحب زرع ، فقرب صبرة من طعام ردئ ، وأضمر في نفسه لا أبالي أيتقبّل مني أم لا ، لا يتزوج أختي أحد غيري . وكان هابيل صاحب غنم فعمد إلى أحسن كبش في غنمه فقرّبه ، وأضمر في نفسه رضاء الله ، فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل ، وذلك قوله تعالى : ((إذ قرّبا قرباناً فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر قال لأقتلنّك)) .

ذكر الإمام السيّوطي في الدر المنثور في التفسير المأثور عند قوله تعالى ((فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله)) ما نصّه : وأخرج ابن عساكر عن سيدنا علي رضي الله عنه انّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بدمشق جبل يقال له قاسيون فيه قتل ابن آدم أخاه) وأخرج ابن عساكر عن عمر ابن خبير الشعباني قال : كنت مع كعب الأحبار على جبل دير مُرّان فرُئ لجة سائلة من الجبل فقال هاهنا قتل ابن آدم أخاه وهذا أثر دمه جعله الله أيّة للعالمين . وأخرج ابن عساكر من وجه آخر عن كعب قال : انّ الدم الذي على جبل قاسيون هو دم ابن آدم .

وقال هشام عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي الله عليه وسلم أنه قال : يا ليتني بالغوطة بمدينة يقال لها دمشق حتّى آتي موضع مستغاث الأنبياء حيث قتل ابن آدم أخاه ، فأسأل الله تعالى انّ يهلك قومي فإنهم ظالمون . فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ايتِ بعض جبال مكة فأو بعض غاراتها لتعقلك من قومك ، قال : فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه فوجدا غاراً كثير الذرات فجعل أبو بكر رضي الله عنه يمزق ثوبه ويسد الثقب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم لا تنساها لأبي بكر . وذكر الحديث .

وما روى الحسن بن شجاع الربعي بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقد سأله رجل عن الآثار المباركة بدمشق فقال صلى الله عليه وسلم : (بها جبل قاسيون فيه قتل ابن آدم أخاه وفي أسفله من الغرب ولد إبراهيم ، وفيه آوى الله عيسى بن مريم وأمه ومنعهما من اليهود ، من أتى معقل روح الله عيسى واغتسل وصلى ودعا لم يرده الله خائباً ، فقال رجل يا رسول الله صفه لنا ، فقال : هو بالغوطة بمدينة يقال دمشق وأزيدكم أنه جبل كلمه الله تعالى وفيه ولد إبراهيم الخليل عليه الصلاة السلام فمن أتى ذلك الموضع فلا يعجز في الدعاء . فقال رجل : يا رسول الله أكان ليحيى بن زكريا معقلا ، قال : نعم اختبأ فيه من هدّار رجل من عاد في الغار الذي تحت دم ابن آدم المقتول وفيه اختبأ إلياس النبيّ من ملك قومه وفيه صلى إبراهيم ولوط وموسى وعيسى وأيوب عليهم الصلاة والسلام . فلا تعجزوا بالدّعاء فيه .

روينا بالسند إلى الوليد بن مسلم قال : أوحى الله تعالى إلى جبل قاسيون انّ هب ظلك وبركتك لبيت المقدس ففعل فأوحى الله تعالى إليه أمّا إذا فعلت فإني سأبني في حضنك بيتاً أعبد فيه بعد خراب الدّنيا أربعين عاماً ولا تذهب الأيام والليالّي حتّى

أرد ظلك وبركتك فهو عندك بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرّع . وقال كعب الأحبار رضي الله عنه : تخرب الأرض قبل الشّام بأربعين سنة .

وبسنده إلى هشام بن عمّار قال : سمعت من يذكر عن كعب الأحبار قال اختفى الياس عليه السّلام من ملك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين ، حتّى أهلك الله الملك وولى غيره ، فأتاه إلياس عليه السلام وعرض عليه الإسلام فأسلم وأسلم من قومه خلق كثير .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : موضع الدم في جبل قاسيون موضع شريف كان فيه عيسى بن مريم عليه السلام والحواريون ، ولو كنت فيه لسألت الله تعالى لي المغفرة ، فمن أتى ذلك فلا يقصر عن الصلاة والدعاء فيه فإنه موضع الإجابة .
قال مكحول إمام أهل الشّام رضي الله عنه قال : سمعت كعب الأحبار رضي الله عنه يقول : مغارة الدم موضع الحاجات والمواهب من الله تعالى ، فإنه لا يردّ سائلاً في ذلك الموضع .

وقال التاج السبكي في الطبقات في ترجمة الإمام الحافظ أبي القاسم علي بن حسن ابن عساكر : قال ولده الحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم : قال لي أبي لما حملت بي أمي رأت في منامها قائلاً يقول لها تلدين غلاماً يكون له شأن ،ف إذا ولدتيه فاحمليه إلى المغارة – يعني مغارة الدم بجبل قاسيون – يوم الأربعين من ولادته وتصدقي بشيء فإن الله تعالى يبارك لك وللمسلمين . ففعلت ذلك كله وصدّقت اليقظة منامها ونبهه السعد فأسهره الليالي في طلب العلم وغيره سهرها في الشهوات أو أنامها .

وقال في الطبقات أيضاً في ترجمة أبي البيان نبأ ابن محمد القرشي المعروف بابن الحوراني ما نصه عن الشيخ عبد الله البطليحي قال رأيت الشيخ أبا البيان والشيخ أرسلان مجتمعين بجامع دمشق ، فسألت الله انّ يحجبني عنهما حتّى لا يشغلاني ، وتتبعتهما حتّى صعدا إلى أعلى مغارة الدم وقد يتحدثان ، فإذا بشخص قد أتى كأنه طائر في الهواء فجلسا بين يديه كالتلميذين وسئلاه عن أشياء من جملتها أعلى وجه الأرض بلد ما رأيته فقال لا ، فقالا هل رأيت مثل دمشق ؟ قال : ما رأيت مثلها ، وكانا يخاطبانه يا أبا العباس ، فعلمت أنه الخضر عليه السلام وقال مكحول سمعت انّ معاويّة خرج بالمسلمين إلى موضع الدم ، يسئلون الله انّ يسقيهم فلم يبرحوا حتى جرت الأوديّة ، وخرج مكحول مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع دم ابن آدم فسئلوا[1] الله انّ يسقيهم فسقاهم ، وقال كعب : مغارة الدم في قاسيون موضع الحاجات والمواهب من الله تعالى فإن الله لا يرد سائلا في ذلك الموضع .

وروى الوليد بن مسلم انّ أهل دمشق كانوا إذا حبس القطر أو غلى السعر أو جار السلطان أو كان لأحدهم حاجة صعدوا موضع الدم في جبل قاسيون فيسألون الله تعالى ويدعونه فيعطيهم ما سألوه ويستجيب لهم ، وقال أبو مسهر : مغارة الدم موضع الحمرة موضع الحوائج يعني بذلك الدعاء فيها والصلاة . وروى هشام الرازي عن أبي يعقوب الأزرعي عن أحمد بن كثير قال : صعدت موضع الدم في جبل قاسيون فسألت الله تعالى الحج فحججت ، وسألته الجهاد فجاهدت ، وسألته الرباط فرابطت ، وأن يغنيني عن البيع والشراء فرزقت ذلك كله ، ورأيت في المنام كأني في مغارة الدم قائما أصلي ف إذا النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصدّيق وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين وهابيل بن آدم عليهما الصلاة والسلام فقلت : بحق الواحد الصمد وأبيك آدم وبحق محمد صلى الله عليه وسلم هذا دمك ؟ فقال : أي وحق الواحد الصمد وأبي آدم هذا دمي سألت الله تعالى انّ يجعله مستغاثا لكل نبي وصديق ومؤمن ، ومن دعا فيجيبه ومن سأله فيعطيه سؤاله

[1] هكذا وردرت في أصل الكتاب

فاستجاب الله لي وجعله ظاهراً وجعل هذا الجبل آمنا ومغيثا ، ثم وكلّ الله عز وجل به ملكاً وجعل معه من الملائكة بعدد النجوم يحفظونه . ومن أتي موضعه لا يريد إلا الصلاة فيه انّ يتقبل منه . فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعل ذلك كرما وإحسانا ، وإني آتيه كل خميس وصاحباي وهابيل فنصلي فيه لأنه مبارك .

وبسنده إلى الزهري أنه قال : لو يعلم الناس ما في مغارة الدم من الفضل لما هنأ لهم طعام ولا شراب إلا فيها .

وجاء الفرنج مرة يقصدون دمشق فصعد الشيخ أبو عمر بن قدامة وأصحابه إلى مغارة الدم وقرؤوا اثني عشر ألف مرة ((إنا أنزلناه في ليلة القدر)) و((قل هو الله أحد)) فأرسل الله تعالى على الكفار مطرا غزيرا توحّلت خيولهم فلم يقدروا على الوصول إلى دمشق . واحتاج الناس في بعض السنين إلى المطر فطلع الشيخ في جماعته إلى المغارة وكان يوما حاراً بحيث طلبت الجماعة ماء للوضوء فتخاصم أهل المغارة لقلة الماء عندهم ، فدعا الشيخ وأمّن القوم فجاء مطر عظيم حتّى جرت الأوديّة .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : موضع الدم في جبل قاسيون موضع شريف كان يحيى بن زكريا وأمه فيه أربعين عاماً وصلى فيه عيسى بن مريم والحواريون ، فمن أتى ذلك الموضع فلا يقصر فيه من الصلاة والدعاء فإنه موضع الحوائج – وفي رحلة ابن جبير الكاتب الأديب البارع اللبيب أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي البلنسي تغمده الله برحمته قال في صحيفة (٣٥٤) : وفي الجهة الشماليّة من الجامع المبارك على مقربة منه إلى جبل قاسيون مدفن سبعين ألف نبي ، وقيل سبعين ألف شهيد ، وإن الأنبياء المدفونين به سبعمايّة نبي ، والله أعلم وخارج هذا البلد الجبانة العتيقة وهي مدفن الأنبياء والصالحين وتربتها شهيرة في طرفها مما يلي البساتين ، وهذه من الأرض متصلة بالجبانة ، ذكر أنها مدفن

سبعين نبياً ، وعصمها الله ونزهها من انّ يدفن فيها أحد ، والقبور محيطة بها وهي لا تخلو من الماء حتّى عادت قرارة له ، كل ذلك تنزيه من الله تعالى لها ، وبجبل قاسيون أيضاً لجهة الغرب على مقدار ميل أو أزيد من المولد المبارك ، مغارة تُعرف بمغارة الدم بأن فوقها في الجبل دم هابيل قتيل أخيه قابيل ابني آدم صلى الله عليه وسلم ، تتصل بنحو نصف الجبل إلى المغارة وقد أبقى الله في الجبل آثارا حمراً في الحجارة تحك فتستحيل ، وهي كالطرق في الجبل وتنقطع عند المغارة وليس يوجد في النصف الأعلى من المغارة آثار تشبهها فكان يقال إنها لون حجارة الجبل ، وإنما هي من الموضع الذي جر منه القاتل لأخيه حيث قتله حتّى انتهى إلى المغارة وهي آيات الله تعالى وآياته لا تحصى ، وقرأنا في تاريخ ابن المعلى الأسدي ، انّ تلك المغارة صلى فيها إبراهيم وموسى وعيسى ولوط وأيوب عليهم وعلى نبينا الكريم أفضل الصلاة والسلام ، وعليها مسجد قد أتقن بنائه ويصعد إليه على أدراج ، وهو كالغرفة المستديرة وحولها أعواد مشرجيّة مطيقة بها ، وبه بيوت ومرافق للسكن ، وهو يفتح كل خميس ، والسرج من الشمع والقناديل تتقد في المغارة وهي متّسعة ، وفي أعلى الجبل كهف منسوب لآدم صلى الله عليه وسلم . وعليه بناء وهو موضع مبارك ، وتحته في حضيض الجبل مغارة تُعرف بمغارة الجوع ، ذكر انّ فيها سبعين نبياً ماتوا جوعاً ، وكان عندهم رغيف فلم يزل كل واحد يؤثر به صاحبه ويدور عليهم من يد إلى يد حتّى لحقتهم المنيّة صلوات الله عليهم . وعلى هذه المغارة أيضاً مسجد مبنى ، وأبصرنا فيه سُرجا تتقد نهاراً ، ولكل مشهد من هذه المشاهد أوقاف معينة من بساتين و أرض ورباع ، حتّى انّ البلد تكاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيها ، وكل مسجد يستحدث بناءه أو مدرسة أو خانقة يعين لها السلطان أوقافاً تقوم بها وبساكنيها والملتزمين لها ، وهذه أيضاً من المفاخر المخلدة ، وفي الجملة وهو مكان لطيف شريف عليه الهيبة والجلال والدعاء فيه مستجاب ، قد دلت عليه الآثار الكثيرة .

وفي الفضائل البهيّة لدمشق المحميّة ، عن بعضهم انّ الأبدال رضي الله عنهم تجتمع في الليالي الفضيلة في المستغاث فيصلون هناك ويسألون الله تعالى ويدعونه .
وقد ورد بالأبدال أحاديث كثيرة منها ما أخرجه الطبراني عن عوف بن مالك بإسناد حسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الأبدال في أهل الشّام وبهم تنصرون وبهم ترزقون) .

وما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن علي رضي الله عنه بإسناد حسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الأبدال بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، يسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشّام بهم العذاب) .

وما أخرجه الحاكم عن عطاء بن رباح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الأبدال من الموالي ولا يبغض الموالي إلا منافق) . وهذه الأحاديث مذكورة في الجامع الصغير للإمام السيوطي وقد كتب محشيّة العلامة الحنفي مقالة بديعة شرحت حال الأبدال وكثيراً من رجال الغيب ، فلذلك أحببت نقلها ملخصا ، قال : نفعنا الله به قوله الأبدال سموا بذلك لأن كل من مات منهم أبدل مكانه غيره ، أو لأن أخلاقهم بدلت بأخلاق الأنبياء ، أو لأنهم بدل الأنبياء ، فقد ورد انّ الأرض لما فقد منها الأنبياء اضطربت واشتكت ، فأوحى الله إليها اسكني وأجعل بدل الأنبياء فيك الأبدال يكونون على أخلاق الأنبياء ، أو لأن الواحد إذا سافر من مكانه وجاء شخص يزوره جعل الله بدله في محله روحانيّة حقيقيّة بحيث يتكلم مع الزائر كما لو كان حاضرا ، وهم أخص مطلق الأول ياء أي أعلى مرتبة وأخص منهم الأوتاد الأربعة كل واحد في ركن من أركان الكعبة ، والذي في ركن الحجر الأسود على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يمد الخلق بالإمدادات العظيمة ،

والثلاثة الباقيّة كل على قلب نبي من الأنبياء ، و أخص منهم القطب الذي على الكعبة الذي هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وله التصرف والإمداد ولسائر الأولياء الأحياء والأموات .

[فائدة] قال الشبراملسي في تاريخ بغداد للخطيب عن الكتاني قال : النقباء ثلاثمايّة ، والنجباء سبعون ، و الأبدال أربعون ، والأخيار سبعة ، والعمد أربعة ، والغوث واحد ، فمسكن النقباء الغرب ، ومسكن النجباء مصر ، ومسكن الأبدال الشّام ، والأخيار سياحون في الأرض ، والعمد في زوايا الأرض ، ومسكن الغوث مكة ، فإذا عرضت الحاجة من أمر الأمة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد فإن أجيبوا و إلا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتّى تجاب دعوته .انتهى .

وروى ابن عساكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الأبدال بالشام يكونون ، وهم أربعون رجلا بهم تسقون الغيث ، وبهم تنصرون على أعدائكم ، يصرف بهم عن أهل الأرض البلاء والغرق) . وأخرج الطبراني في الأوسط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن بهم تسقون وبهم تنصرون ، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر)

وفي كتاب إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام الغزالي نفعنا الله تعالى به من كتاب ذم الكبر والعجب ، قال أبو الدرداء رضي الله عنه : انّ لله تعالى عبادا يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض ، فلما انقضت النبوة أبدل الله تعالى مكانهم قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حليّة ، ولكن بصدق الورع وحسن النيّة وسلامة الصدر لجميع المسلمين ، والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله تعالى بصبر ثخين وتواضع من غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله تعالى واستخلصهم لنفسه ، وهم أربعون صديقا ثلاثون

رجلا قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام ، لا يموت الرجل حتّى يكون الله تعالى قد أنشأ من يخلفه ، واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيئاً ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون أحداً ولا يحرصون على الدنيا ، هم أطيب الناس خبرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا ، علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ، ليسوا اليوم في خشيّة وغدى في غفلة ولكن مداومون على حالهم الظاهر ، وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة ، قلوبهم تصعد ارتياحاً إلى الله تعالى واشتياقا إليه وقدما في استباق الخيرات أولئك حزب الله ألا انّ حزب الله هم المفلحون . قال الراوي قلت : يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد عليّ من هذه الصفة ، فكيف لي انّ أبلغها ؟. فقال : ما بينك وبين انّ تكون في أوسعها إلا انّ تبغض الدنيا ، فإنك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حبّ الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك ، ف إذا علم الله تعالى من عبده حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة ، واعلم يا بن أخي انّ ذلك في كتاب الله تعالى المنزل : انّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . قال يحيى بن كثير : فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله تعالى وابتغاء مرضاته . انتهى .

وحكى أبو بكر المطوعي عمن رأى الخضر عليه السلام وتكلم معه أنه قال له : اعلم انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قبض بكت الأرض وقالت : إلهي وسيدي لا يمشي علي نبيٌ إلى يوم القيامة ، فأوحى الله تعالى إليها أجعل على ظهرك من هذه الأمة من قلوبهم على قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا أخليك منهم إلى يوم القيامة ، قالت له وكم هؤلاء ، قال ثلاثمايّة وهم الأول ياء ، وسبعون وهم النجباء ، وأربعون وهم الأوتاد ، وعشرة وهم النقباء ، وسبعة وهم المختارون ، وواحد وهو الغوث ، ف إذا مات نقل من الثلاثة واحد وجعل الغوث مكانه ، ونقل من السبعة إلى الثلاثة ، ومن العشرة إلى السبعة ، ومن الأربعين إلى العشرة ،

ومن السبعين إلى الأربعين ، ومن الثلاثمايّة إلى السبعين ، ومن سائر الخلق إلى الثلاثمايّة ، وهكذا إلى يوم ينفخ في الصور. انتهى .

وقال العارف بالله تعالى ابن عربي في كتابه حليّة الأبدال ما نصه أخبرني صاحب لنا قال : بينما أنا ذات ليلة في مصلاي وقد أكملت وردي إذ حسست بشخص نقض مصلاي من تحتي وبسط عوضه حصيراً ، وقال صلِّ عليه فداخلني فزع فقال : من يأنس بالله لم يفزع . ثم ألهمت فقلت له : بم تصير الأبدال أبدالاً ؟ قال بأربعة التي ذكرها أبو طالب في القوت وهم الصمت والعزلة والجوع والسهر ، ثم انصرف ولا أعرف كيف دخل ولا كيف خرج وبابي مغلق . انتهى .

[تنبيه] طعن ابن الجوزي في أحاديث الأبدال وقال بوضعها وتعقبه خاتمة الحفاظ الإمام جلال الدين السيوطي رضي الله عنه بأن خبر الأبدال صحيح وإن شئت قلت متواتر ، وبأن هذا بالغ حدّ التواتر المعنوي بحيث يقطع بصحّة وجود الأبدال ضرورةً ، وقال الحافظ بن حجر في فتاويه الأبدال وردت في عدة أخبار منها ما يصح ومنها مالا يصح .

[فائدة] أخرج أبو نعيم عن معروف الكرخي قال : من قال كل يوم عشر مرات : اللهم أصلح أمة محمد ، اللهم ارحم أمة محمد ، اللهم فرّج عن أمة محمد ، كتب من الأبدال . ذكره العزيزي في شرح الجامع الصغير . وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ((ثلاث من كن فيه فهو من الأبدال : الذين بهم قوام الدنيا وأهلها ، الرضا بالله والصبر عن محارم الله ، والغضب في ذات الله)) . انتهى .

القسم الثاني مما قيل فيهم من الأشعار ، قال العارف بالله سيدي عبد الغني النابلسي رضي الله عنه من خمر بابل :

جـــاء النســـيم بأطيـــب النفحـــات مـــن قاسيـــون ومنـــزل الســـادات
فشـــفى غليـــل عليـــل قلـــب وامـــقٍ وأســـرّ مضـــنى دام الحســـرات
يـــا معهـــدا بالســـفح مـــن ذلـــك اللـــوى لا زلـــت مـــأوى الخيـــر والبركـــات
كـــم مـــن ولـــيّ فيـــك واراه الثـــرى بـــل مـــن نبـــي فـــي ذرى الهضـــبات
يـــا حبّـــذا الكهـــف الرفيـــع وحبـــذا تلـــك المغـــارة منجـــح الدعـــوات

وقال عفا الله عنه :

والصـــالحيّة يالـــها مـــن منـــزل فيهـــا قبـــور الصـــالحين أولـــي التقـــى
وبهـــا القصـــور العاليـــات تزخرفـــت مثـــل النجـــوم زهـــت بكـــلّ مـــن ارتقـــى
تســـمو علـــى أطـــراف جلّـــق بهجـــة وطـــلاوة فيهـــا الســـرور تحقّقـــا

وقال رضي الله عنه :

بالقاســـيون قســـت قلـــوب أحبـــتي ولكـــم ســـرى فيـــه الصـــبا فترفقـــا
جبـــل كثيـــر الخيـــر كلـــمّه الإلـــ ـــه فجـــال فـــي ذاك اللســـان وأنطقـــا
كـــم مـــن ولـــي قـــد توســـدّ ســـفح بـــل مـــن نبـــي حـــل فيـــه محققـــا
وكذلـــك الشـــهداء فيـــه تَخالهـــم أحيـــآء مـــن عـــدَم البـــلاء ورُزّقـــا
ومغـــارة الـــدم والمحاريـــب التـــي للأربعـــين مـــن الرجّـــال ومـــن رقـــى
ومغـــارة الجـــوع التـــي قالـــوا بهـــا كـــم نبـــي مـــات جوعـــاً والتقـــى

وقال رضي الله عنه :

في الأربعين منازل الأبدال إشراق حسن في الورى وجمال
ومغارة الدم يالها من منزل للزّائرين غَدت شريفة حال
لمعت بروق القرب من أرجائها وتكلّمت بالعزّ والإقبال
والأربعون لهم محاريب غدت مملوءة من هيبة وجلال
والحوض فيه الماء عذب سائغ من مآء غيث للورى هطّال
وهناك قصر قد تعلق بالهوى يزهو بإشراق وبرد وظلال
وله شبابيك مطلّات على كل الأماكن سهلها وجبال
وبه النسيم تراه يقبل دائما زاكي الروائح منعش للحال
وترى قبور الصالحين كأنها أزهار دوحٍ في بهاً وجمال
والسفح بالأنوار يشرق كلما وردت موارد ربنا المتعالي
كم من وليٍّ في ثراه قد اختفى بل من نبيٍّ فيه أهل كمال
والصالحيّة لم تزل معمورة بالصالحين على المدى المتوالي
ما غردت في الروض ساجعة وما عطفت على الأغصان ريح شمال

ورأيت في الجزء الثاني من خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر في ترجمة القاضي حسين العدوي الزوكاري قصيدةً (ذكر فيها المستغاث وهو مقام الأربعين)

وليلٍ أدرنا فضل قاسيون بيننا فكادت قلوب السامعين تطير
فلم ندر إلا الفجر صار دليلنا إلى سفحه والسفح فيه نفير

وفينـــا هـــداة للطريـــق وقـــادة لهـــم كـــل فضـــلٍ فـــي الـــورى وصـــدور
فســـرنا فـــلا والله لـــم نـــدر مـــا الـــذي قطعنـــاه بعـــد المشـــي كيـــف يصـــير
فلمّـــا وصـــلنا المســـتغاث أغاثنـــا بـــه الغيـــث حتـــّى غوثنـــا لمطيـــر
فزرنـــا وكـــل نـــال مـــا كـــان ناويـــا وفزنـــا بوقـــت حســـنه لشـــهير
ومنـــه ركبنـــا الجّـــو حتـــّى كأننـــا نجـــوم ســـماءٍ والســـحاب ثبيـــر
إلـــى انّ هبطنـــا قبـــة الملـــك التـــي تســـمى بنصـــرٍ مـــذ أعـــان نصـــير
رأينـــا بهـــا عقـــد الثريـــا معلقـــاً وعـــي الـــدراري النيـــرات تشـــير
فلـــم نـــر برجـــاً قبلهـــا حـــل منـــزلا يســـير إليـــه النـــاس وهـــو يســـير
وأعجـــب شـــيءٍ انّ تراهـــا مقيمـــة وتمشـــي كمـــا يمشـــي الفتـــى ويفـــور
وأعجـــب مـــن هـــذا تراهـــا عقيمـــة تربـــي بنـــات الـــنعش وهـــي ســـرير
وعـــدنا فحيانـــا حيـــا فضـــل ســـحبها بـــريح لـــه وقـــع الغمـــام صـــرير
إلـــى انّ رمتنـــا بعـــد عـــالي مكاننـــا علـــى مغـــرٍ فيهـــا المقـــام غـــرور
وجئنـــا حمانـــا مطمئنـــين أنفســـاً علـــى أنّ مرقـــى المكرمـــات عســـير

وقال القاضي شرف الدين أبو العبّاس أحمد بن قدامة ابن قاضي الجبل

الصـــــــــالحيّة جنـــــــــة والصـــــــالحون بهـــــا أقـــــاموا
فعلـــــــى الديـــــار وأهلـــــها منـــــي التحيّـــــة والســـــلام

(وقال بعضهم)

إن تكـــن جنـــة الخلـــود بـــأرضِ فدمشـــق ولا تكـــون ســـواها

أو تكـــن فـــي الســـمآء فهـــي عليهـــا قـــد أبـــدت هوائهـــا وهواهـــا
بلـــد طيّـــب ورب غفـــور فاغتنمهـــا عشـــيّةً وضـــحاها

(وقال بعضهم)

يـــا مـــن أراد منـــازل الأبـــدال مـــن غيـــر قصـــد منـــه للأعمـــال
لا تطمعـــنّ بهـــا فلســـت مـــن أهلهـــا إن لـــم تـــزاحمهم علـــى الأحـــوال
واصـــمت بقلبـــك واعتـــزل عـــن كـــل مـــن يـــدنيك مـــن غيـــر الحبيـــب الـــوالي
وإذا ســـهرت وجعـــت نلـــت مقـــامهم وصـــحبتهم فـــي الحـــل والتّرحـــال
بيـــت الولايّـــة قســـمت أركانـــه ســـاداتنا فيـــه مـــن الأبـــدال
مـــابين صـــمت واعتـــزال دائـــم والجـــوع والســـهر النزيـــه العـــالي

(وقال عبد الله بن أحمد بن حسين النقّار)

ســـقى الله مـــا تحـــوي دمشـــق وحيهـــا فمـــا أطيـــب اللـــذات فيهـــا وأهناهـــا
نزلنـــا بهـــا واســـتوقفتنا محاســـن يحـــن إليهـــا كـــل قلـــب ويهواهـــا
لبســـنا بهـــا عيشـــا رقيقـــا ذرائـــه ونلنـــا بهـــا مـــن صـــفوة اللهـــو أعلاهـــا
وكـــم ليلـــة نادمـــت بـــدر تمامهـــا نقضـــت ومـــا أبقـــت لنـــا غيـــر ذكراهـــا
فآهـــا علـــى ذاك الزمـــان وطيبـــه وقـــل لـــه مـــن بعـــد قـــولتي واهـــا
فيـــا صـــاحبي امـــا حملـــت رســـالة إلـــى دار أحبـــاب لهـــا طـــاب مغناهـــا
وقـــل ذلـــك الوجـــد المبـــرح ثابـــت وحرمـــة أيـــام الصـــبا مـــا أضـــعناها
فـــإن كانـــت الأيـــام أنســـت عهودنـــا فلســـنا علـــى طـــول المـــدى نتناســـاها
ســـلام علـــى تلـــك المعاهـــد أنهـــا محـــط صـــبابات النفـــوس وأهناهـــا

رعـــى الله أيامـــاً نقضـــت بقربهـــا فمـــا كـــان أحلاهـــا لـــدينا وأمراهـــا

(وفي تاريخ ابن عساكر)

يـــا صـــاح كـــم فـــي قاســـيون وســـفحه مـــن مشـــهد يســـتوجب التعظيمـــا
فـــالربوة العليـــا يفضـــلها الـــذي أضـــحى بتفســـير الكتـــاب عليمـــا
و النيـــرب المشـــهور يُعـــرف فضـــله مـــن زاره أو ذاق فيـــه نعيمـــا
ومغـــارة الـــدم فضـــلها متـــواتر لازلـــت اســـمعه هـــديت عظيمـــا
والكهـــف جبريـــل الأمـــين لفضـــله مـــذكورة وقعـــت إلـــيّ قـــديما
ومغـــارة الجـــوع الشـــريفة تحتـــه كـــم عابـــد فيهـــا يبيـــت مقيمـــا
ولكـــم مكـــان فيـــه لـــيس بمســـجد أضـــحى علـــى المتعبـــدين كريمـــا
ومقـــام بـــرزة لـــيس ينكـــر فضـــله اعنـــي مقـــام أبيـــك إبراهيمـــا
رئـــي النبـــي مصـــليا فـــي ســـفحه صـــلوا عليـــه وســـلموا تســـليما
وبـــه قبـــور الأنبيـــاء فمـــن مضـــى ليـــزورهم فقـــد ابتغـــى التكريمـــا
فـــأدم زيارتـــه وواظـــب قصـــده لتنـــال أجـــرا فـــي الجنـــان جســـيما

(وقال بعضهم في المستغاثات)

ألا يـــا أخـــا العبـــاد بـــادر بهمّـــة تجـــرد بعـــزم واســـع كـــي تحـــظ بـــالمنى
هنـــاك تحـــط الطـــالبون حمـــولهم بـــه قـــد لـــووا الأعنـــاق والتزمـــوا العنـــى
فهـــاموا ودامـــوا بالدعـــاء لـــربهم وقـــد نـــال كـــل مـــنهم القـــرب و الهنـــى
فـــذا مســـتغاث الأنبيـــآء جمـــيعهم ومقتـــل هابيـــل الشـــهيد ذوي الغنـــى
مقـــام عليـــه الله أســـدى جـــلاله ونـــوراً وتعظيمـــاً عـــلاه كـــذا الثنـــا
بـــه رئـــي المختـــار صـــلّى وآدم بكـــل خمـــيس قالـــه مـــن روى لنـــا

وأبـــدال أهـــل الشّـــام فيـــه ابتهالهـــم كـــذا كـــل قطـــب هـــام بـــالله مـــذ دنـــى
فيـــا معشـــر الإســـلام لبـــوا إلـــى الـــدعى بهـــذا المقـــام فـــاز مـــن هـــام واعتنـــى
صـــــلوا وقومـــــوا كـــــل انّ بـــــذكره فيـــا فـــوز أهـــل الشّـــام قربـــاً وموطنـــاً

وقال المرحوم الشيخ محمود أبو الشامات الشاذلي :

هـــــذا قاســـــيون مـــــرآة إلـــــى أحـــــد محبـــــوب رب العـــــالمين
أحمـــــد المختـــــار تـــــاج الأنبيـــــا وإمـــــام لجميـــــع المرســـــلين
فتـــــراه ضـــــاحكا دومـــــاً كمـــــا أحـــــد تلقـــــاه مثـــــل الضـــــاحكين
فبـــــه فـــــادع الإلـــــه وابتهـــــل ثـــــم نـــــادي يـــــا مجيـــــب الســـــائلين
فالـــــدعاء فيـــــه مجـــــاب لا مـــــرا وبهـــــذا قـــــال جـــــمّ العـــــارفين
فإقتـــــداء بهـــــم جئنـــــا لـــــه ودعونـــــا الله نصـــــر المـــــؤمنين
وســـــألناه قريبـــــا عاجـــــلاً أن يغيـــــث الشّـــــام بالمـــــاء المعـــــين
وبـــــه يحيـــــى زروعـــــاً مثلمـــــا نحـــــن نـــــدعوه بـــــأن نحيـــــى ســـــنين
ونـــــرى فصـــــل الربيـــــع عـــــددا ومـــــرارا قـــــل ونحـــــن ســـــالمين
مـــــن بـــــلاء ووبـــــاء وغـــــلا وعـــــداء وعيـــــون الحاســـــدين
فهـــــو الله المجيـــــب مـــــا لنـــــا فيـــــه شـــــك بـــــل بحـــــق ويقـــــين
صـــــادق الوعـــــد تعـــــالى ربنـــــا فعليـــــه آمنـــــوا يـــــا ســـــامعين

(وقال أيضاً)

بـــدء الربيـــع بـــه شـــم النســـيم حـــلا فـــي ســـفح قاســـيون فـــي كهـــف ثنـــاه عـــلا
نحـــــن بـــــه خمســـــة والله ســـــادسنا بجمعـــــة فهـــــو جمـــــع للجمـــــال جـــــلا
كـــــأحرف خمســـــة كلمـــــة جمعـــــت الله قـــــل أو محـــــمد للمـــــلا نـــــزلا
فكلنـــــا أحـــــرف لكنـــــنا عـــــدم وهـــــو المـــــداد لنـــــا قمنـــــا بـــــه أزلا
فـــــي علمـــــه أدثينـــــا هكـــــذا و إلـــــى دوائـــــر الأبـــــد الموهـــــوم مـــــا نـــــزلا

(القسم الثالث فيما اشتهر من الزيارات)

منها كهف جبريل عليه السلام وهو مقام لطيف كما ذكره الحافظ ابن عساكر وابن بطوطة في رحلته وابن جبير محمد الحايك البعلبكي من جماعة الشيخ عبد الرحمن ابن داود الدمشقي الساكن في صالحيّة دمشق ، والمخبر المذكور ثقة من أهل الخير والصلاح ، أنه توجه إلى الكهف المذكور فرأى خادمه وعنده جماعة فأخبره انّ بعض الحاضرين ذكر انّ في الكهف المذكور مطلبا ،وأنهم عزموا على حفره قال فطاوعتهم على ذلك ، فدخلوا المغارة التي عند الباب وحفروا هناك فظهرت لهم بلاطة كبيرة فقلعوها ونزلوا فوجدوا مغارة سعتها نحو خمسة أذرع وأكثر وفي شمالها ليوان عليه سبعة أنفسٍ طوال مسجين بأكفانهم على هيئة العرب فتهيبوا من انّ يدانوا منهم ورجعوا وأعادوا البلاطة إلى موضعها والمسجد فوق الغار المذكور وفيه سبعة محاريب إشارة إلى من في داخل المغارة . انتهى .

(ومنها) حضرة الشيخ محي الدين بن عربي الطائي صاحب المقامات والكرامات والكشوفات الظاهرة والخوارق الباهرة سلطان أهل الحقيقة وشيخ مشايخ أهل العرفان والطريقة وكم له مناقب شريفة وفضائل عليه منيفة رضي الله تعالى عنه ونفعنا ببركة علومه ، قبره ظاهر وعليه بناء عظيم ضمن جامع المرحوم السلطان

سليم ،وفاته رضي الله عنه (٦٣٨) وولده محمد سعد الدين توفي (٦٥٠) ودفن عند أبيه وولده محمد عماد الدين أيضاً توفي سنة (٦٦٧) ودفن عند والده كما أفصح به القاضي محمود السبكي وفي ليلة السبت يقام به الذكر على طريقة الخلوتيّة .

(قال البربير) :

رعى الله ربي صالحيّة جلّقٍ ومن أمها بالوخد والنص والسبت (١)
فكم أرشفتنا من كؤوس معارف على يد محي الدين ليلة السبت (٢)
سبتنا بها شعر الشعور فأحرزت مناسكنا التكميل من ذلك السبت (٣)
مدى الليل أيقاظاً نراعي نجومها وأهل الهوى والجهل في ظلمة السبت (٤)
فمن كان منا أصبح السبت عبده وإلا فذاك الندل من أعبد السبت (٥)
ومن زار محي الدين جاء فتوحه فلم يك محتاجا لزايرجه السبت (٦)
فيا نفس انّ ناسبت خدمة بابه فطوبى وبشراك انّ أنت ناسبت...

١- (السير) ٢- (اليوم) ٣- (الخلق) ٤ - (النوم) ٥- (الدهر) ٦ - (الزايرجه السبتيّة) .

(ومنها) الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي العالم العارف صاحب التصانيف العاليّة والتآليف البديعة وله الكرامات والكشوفات الظاهرة توفي رضي الله عنه سنة (١١٤٣) ودفن في داره في الصّالحية وقبره ظاهر يزار ويتبرك به وعليه بناء عظيم ضمن مسجد لطيف رضي الله عنه .

ومنها أبو السعود الجعفري الولي الصالح قيل كان بينه وبين الشيخ أرسلان الدمشقي أخوه ومما قيل فيه أنه من أم باب السعود وجآءه في حاجةٍ بلغ المراد ونالها ، توفي رضي الله عنه سنة (٦٠٥) ودفن في سفح قاسيون بمقامه المشهور اليوم بالشيخ إبراهيم .

(ومنها) الشيخ العارف أبو بكر بن قوام ولد سنة (٦٥٧) ودفن في سفح قاسيون بمحلة المهاجرين .

(ومنها) الشيخ العارف أبو بكر العرودكي ومن كلامه رضي الله عنه :

يقولون لي ضيعت عمرك في الهوى وما فاتني شيء إذا كنت ألقاكم
لئن كان قوم في الزوايا تقيدوا فإني أرى كل الوجود زواياكم

كان من أهل المحبة والتوحيد عظيم المهابة . توفي سنة (٦٧٢) ودفن في سفح قاسيون وله ومقام عليه الجلال رضي الله عنه .

(ومنها) محمد ناصر الدين المعروف اليوم عند أهل دمشق والصالحيّة بالأسد الولي الصالح صاحب الأحوال والكرامات توفي سنة (٧١٣) ودفن في سفح جبل قاسيون بزاويته المعروفة في زاويّة الصوفيّة يقام به الأذكار إلى الآن وتعليم القرآن وهي بيد أهل بركات الرفاعي الشيخ عبد الفتاح بن المرحوم أسعد بحير . (ومنها) الشيخ جمال الدين بن مالك ، النحوي اللغوي الصوفي توفي في دمشق سنة (٦٧٢) ودفن في الصّالحية في سفح جبل قاسيون .

(ومنها) قبر الصحابيين عبد الله بن وقاص وعمر بن عبد العزيز الفارسي والشيخ ياسين الكيلاني رضي الله عنهم جدد البناء عليهم سنة (١١٤٦) في سفح قاسيون .

(ومنها) الشيخ خالد النقشبندي صاحب الأحوال السنيّة والكرامات العليّة ومجدد الطريقة النقشيّة توفي سنة (١٢٤٢) ودفن في سفح جبل قاسيون في محلة الأكراد وعليه بناء وقبة رضي الله عنه .

(ومنها) عبد الرحمن العيني الصالحي صاحب التصانيف الجليلة وشرح الدرر وشرح البخاري وشرح النقابة وشرح ألفيّة العراقي وغير ذلك توفي سنة (٨٩٣) ودفن في تربته في الجامع الجديد في صالحيّة دمشق .

(ومنها) تربة أكراد الأيوبيّة جادة الأكراد وعليهم بناء وقبة .

(ومنها) الشيخ محمد تقالة توفي سنة (٢١٧) . ودفن في مسجد العفيف في صالحية دمشق رضي الله عنه .

ومن نظم عائشة الباعونيّة رضي عنها في محاسن دمشق :

نزه الطرف في دمشق ففيها ... كلما تشتهي وما تختار
هي في الأرض جنة فتأمل ... كيف تجري من تحتها الأنهار
كما سما في ربوعها كل قصر ... وأشرقت في سمائه الأقمار
وتناغيك بينها صادحات ... خرست عند نطقها الأوتار
كلها روضة وماء زلال ... وقصورٌ سكانها أبرار

للسيد الشيخ إبراهيم الحلبي في حق قاسيون على الإجمال

وقاسيون بـه خير لساكنه ... وعونه وأمان من ذوي القيم
قد كلم الله جهراً في تضرعه ... من زاره قد برى من سائر السقم
فيه الدعاء مجاب لا مرد له ... والغار فيه اغاثات لكل ظمي
والأربعون به خصو بمجمعهم ... يأتونه من جميع الأرض للقيم
أيضاً وفيه دماء لابن آدم من ... أتى إليه حظى بالصفح عن جرمي
من زاره غفرا لله العظيم له ... إن ناب كل كبيرات مع اللمم
لو يعلم الناس ما في الغار من نعم ... لكان يأتونه الزوار بالعظم
والمال والأهل والزوارق قاطبة ... سعيا على الرأس لا سعيا على القدم
مغارة الكهف فيها كل مكرمة ... من زرارها قربة لم يخش من ندم
فالأنبياء بهذا السفح قد سكنوا ... والأوليا ء به العزّ والكرم
اخبأ فيه وموتى مالهم عدد ... ونورهم فيه لا يخفى على الفهم
والشيخ قوام فيه أكبر الفضلا ... والأتقياء من الأخيار والفخم
طوبى لمن جاءه يقصد زيارته ... يلقى النجاة غدا في يوم مزدحم
وفيه شيخ عظيم قدسمي عربي في الغرب مولده ... طائي نسبته من أفخر النسم فالبحر في العلم
والشرق مظهره ... لا كالسيل والعرم
قد أوضح الطرق والتحقيق لا لريا ... وبين الحق والتدقيق للأمم
وخاض بحرا مهولاً ليس يدخله ... إلا شجاع غدا في العلم كالخضم
من جاءه زائرا أعطى أمانته ... من سائر السوء والأضرار والنقم
وقد رأينا له في بعض بركته ... أسدا أتاه إلى الدرجات في همم
ومرغ الخد في أعتابه وبقى ... كالمستجير به يومي لمستتم
وقام من بعد هذا من بحيرته حتّى روُي واكتفى ... صار يشرب تلك الماء بالقدم
من بعد زورته ... وسار مع أهله والوجه كاليمم
هذا جرى عام ألف ثم أربعة ... رأيته جهرة سلم ولا تعم
شيخ المغارب والأقطار جامعة ... حامي المشارق من باغ ومن زنم

زره خليلـــــــي ولا تتـــــــرك زيارتـــــــه واطلبــه فــي كــل ضــيق تحظــى بــالعمم
بشـــــرى لزائـــــره قصـــــدا لقربتـــــه وزائـــــر الســـــفح بـــــالخيرات والـــــنعم
بـــــرزا بهـــــا مولـــــد إبـــــراهيم مســـــجده فيـــــه الدعـــــاء مجـــــاب غيـــــر منخـــــرم

نبذة من الأشعار في محاسن دمشق وجبلها وربوتها :

قول الشيخ عبد الغني النابلسي : في وصف ربوة الشّام . ذات الأنهاروالثّغر البسّام :

إنّ طيـــــبَ الهـــــوا هـــــواءُ الـــــوادي فهـــــو كـــــالرّوح دبَّ فـــــي الأجســـــادِ
جاءنـــــا بـــــالعبير مـــــن كـــــلِّ روض فيـــــه طلـــــق الشـــــذا بغيـــــر قيـــــادِ
أينمـــــا كنـــــت منـــــه تســـــمعُ صـــــوتاً مُطربـــــــاً بـــــــالخرير والتـــــــرّدادِ
ظلّـــــــه لا يـــــــزالُ فيـــــــه ظلـــــــيلاً كـــــلِّ حـــــين علـــــى أتـــــمّ المـــــرادِ
هـــــو غربـــــيّ جلّـــــق ، وهـــــو شـــــرقٌ لشـــــموس العطـــــاءِ والإمـــــدادِ
وهـــــو بـــــابٌ النســـــيمِ فـــــي الشَّـــــام منـــــه نَفَـــــسٌ طيّـــــبُ لجســـــم الـــــبلادِ
حبّـــــذا حبّـــــذا مجـــــالسُ أنـــــسٍ فيـــــه كـــــان لنـــــا بأهـــــلِ الـــــودادِ
ربـــــوةُ الشَّـــــام قـــــد حـــــوتْ مهـــــدَ عيســـــى مهـــــدت بطنـــــا أتـــــمَّ المهـــــادِ
وأَرتنـــــا بسَـــــبع أنهـــــار مـــــاءٍ ســـــبع أفـــــلاكٍ ســـــر سَـــــبْعٍ شـــــدادِ
بـــــردى بـــــرّدْتَ غليلـــــي حتّـــــى بـــــان يـــــأسُ العـــــذول والحسّـــــادِ
ثـــــم درانـــــي الرقيـــــب فســـــالت قنـــــوات مـــــن المعـــــاني الجيـــــادِ
وحلّـــــت مـــــزّةُ الهـــــدى بقنـــــاةٍ فغزونـــــا بهـــــا قلـــــوب الاعـــــادي
ليـــــدوم الهنـــــا لأهـــــل دمشـــــقٍ هـــــا هنـــــا ســـــالماً مـــــن الأنكـــــادِ
إنَّ يـــــومَ الـــــوادي ليـــــوم لطيـــــفٌ لســـــت أنســـــاه إنَّ يـــــوم الـــــوادي

ولإمام الدرويشية الشيخ الشهير بالصفدي في بستان النيرب :

بـــــالنيرب بســـــتانٌ نَضِـــــرُ بمحاســـــنه يلهـــــو النّظَـــــرُ

حَسُـــــــنتْ اوصـــــــافُ منابتـــــــه وبهـــــا قـــد طـــابَ لنـــا الثمُـــر
تســـــبي الألبـــــابَ نضـــــارتُهُ وشـــــذى الأرجـــــاء بـــــه عطـــــرُ
طبنـــا وبـــه قـــد طـــاب لنـــا صـــفوٌ ، وبـــه طـــابَ السّـــر
والطيـــــر تُغنّـــــي صـــــادحةً بلحـــــونٍ لـــــم تـــــك تنحصـــــرُ

ومن قول السيد سليمان الكاتب الدمشقي المعروف باحموي :

ثـــم انثنيـــت فهجـــت لـــي شَـــجَنا بـــذكر الأزبكيّـــة
وســـلوت عـــن وادي دمشـــ ـــق ومـــا حـــوى والصـــالحيّة
والنيـــرَبيْن الأفيحيـــيْ ن بهـــا وغوطتهـــا البهيـــة
والســـبعة الانهـــار تجـــ ـــري فـــي البقـــاع الاقدســـيّة
والـــورق تبـــدي لحنهـــا بالجنـــك أصـــواتاً شـــجيّة
هـــذي محاســـنُ جلّـــق الـــ فيحـــاء تفـــديك البريّـــة
انموذجـــاً منهـــا وصفـــ ـــتُ وأنـــتَ أدرى بالبقيّـــة

ومن غرر سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي :

ان ســـامك الخطـــب المهـــول فأقلقـــا انـــزل بـــأرض الشـــام واســـكن جلقـــا
تجـــد المـــرام بهـــا وكـــلّ منـــاك بـــل وتـــرى بهـــا عـــزّاً وتفصـــح منطقـــا
بلـــد ســـمت بـــين الـــبلاد محاســـناً ونمـــت بهـــاءً واســـتزادت رونقـــا
خيـــر النـــاس الأنـــاس يرعـــون أنـــ ـــواع الـــوداد ويحفظـــون الموثقـــا
والربـــوة الفيحـــاء يانســـماتها مـــرّي علـــيّ ورفرفـــي عنـــد اللقـــا
بالقاســـيون قَسَـــتْ قلـــوبُ أحبّتـــي ولكـــم ســـرى فيـــه الصـــبا فترفَقـــا
جبـــل كثيـــر الخيـــر كلّمـــه الإلـــ ـــهُ فجـــال فـــي ذاك اللســـان وأنطقـــل
كـــم مـــن ولـــيّ قـــد توسّـــد ســـفحَه بـــل مـــن نبـــيّ حـــلّ فيـــه محقّقـــا
وكـــذلك الشـــهداء فيـــه تخـــالهم أحيـــاء مـــن عـــدم الـــبلاء ورُزقـــا
ومغـــارة الـــدم والمحاريـــب التـــي للأربعـــين مـــن الرجـــال ومـــن رقـــى
ومغـــارة الجـــوع التـــي قـــالوا بهـــا كـــم مـــن نبـــيّ مـــات جوعـــاً فـــالتقى
لله ســـفح النيـــربين فكـــم بـــه مـــن روضـــة غنّـــاء طابـــت رونقـــا
والصـــالحية يالهـــا مـــن منـــزل فيهـــا قبـــور الصـــالحين أولـــي النّقـــا
تســـمو علـــى أطـــراف جلـــق بهجـــةً وطـــلاوةً فيهـــا الســـرور تحقّقـــا
هـــي شـــامنا – أعلـــى الالـــه منارهـــا وبهـــا أدام الله عيشـــاً ريّقـــا
لـــم تـــرض عينـــي غيرهـــا مـــن منظـــر ولـــذا تـــرى قلبـــي بهـــا متعلقـــا
وطنـــي وأوّل ماوطئـــتُ بهـــاالثرى زال عيشـــي عـــن حماهـــا مطلقـــا

ومن قوله ايضاً

قُـــلّ مـــا تشـــا عـــن دمشـــق وانسْـــب إليهـــا المزيّـــه
فإنهـــا دارُ خلـــدٍ عنوانهـــا الصَّـــالحيّه
ذات العمـــاد دمشـــق أخبارهـــا مرويّـــه
بـــذا أتانـــا كتـــابٌ عنوانُـــه الصـــالحيّه
بـــادِرْ لربـــوة أُنـــسٍ ذات القـــرار البهيّـــه
فالشـــام جنـــة عـــدنٍ عنوانهـــا الصـــالحيّه
دار النّعـــيم دمشـــق ذات الريـــاحين الزكيّـــه
فيهـــا قصـــورٌ وحـــورٌ عنوانهـــا الصـــالحيّه

ومما قال الشهاب أحمد بن علي المنيني:

كم ليلة با لنيربين قطعتها من بعدها لي رنة وشهيق
وبدير مران ونهر يزيدكم زاد السرور وقد صفا الرواق
والربوة الغناء كم فيها مضى عيسى به وجه الزمان طليق
والسبعة الأنهار تخرق دوحها هي لؤلؤ قد نضدت وعقيق

ومما قاله السيد محمد السعيد الدمياطي :

وقاسيون إن سطا وصالا مفرقا من سهمه نضالا
بالنيربين أرتجي اتصالا كعاشق قد ابتغى وصالا
من وجنة المعشوق لثم الخد
وصالحية حلها ابن العربي العارف القطب الرفيق النسب
مقامه بالحق كنز الطلب فكم له كرامة بها حبي
لا يستطاع حصرها بالعد

قال أحدهم :

مغارة الدم في قاسيون مشرفة نورا بها لذوي الحاجات ميقات
فانزل بسوح حماها داعياً أبدا عسى توافي من المولى إجابات

من قول العارف النابلسي الدمشقي :

إنما قاسيون في الشام نور ... وله بهجة وفيه سرور
جبل مشرف بأرواح قوم ... في ذراه لهم هناك قبور
كم ولي وكم نبي له في ... سفحه الرحب رونق وحضور
إن في الصالحية الشام سراً ... ليس يدريه غير من فيه نور
عذب ماء جرى وطيب هواه ... ينفح المسك ليس في كدور

جاء النسيم بأطيب النفحات ... من قاسيون ومنزل السادات
يا معهدا با لسفح من ذاك اللوى ... لا زالت مأوى الخير والبركات
كم من ولي فيك وراه الثرى ... بل من نبي في ذرى الهضبات
يا حبذا الكهف الرفيع وحبذا ... تلك المغارة منجح الدعوات
لو قيس بالمقياس نيربها رمى ... مصرا بذاك السهم في الجبهات
تعلو على ذات العماد ببهجة ... ما ان تراها في سوى الجنات

قال ابن عساكر انشد في بعض الصالحين لبعض المتأخرين في مدح جبل قاسيون

يا صاح كم في قاسيون وسفحه ... من مسجد يستوجب التعظيما
والربوة العليا فضلها الذي ... أضحى بتشريف البقاع عليما
والنيرب المشهور يعرف فضله ... من زاره أو ذاق فيه نعيما
ومغارة الدم فضلها متواتر ... ما زلت أسمعه فديت عظيما
ولكم مكان ليس فيه مسجد ... أضحى على المتعبدين كريما

ومن قول العارف النابلسي :

وحاكورة تحكي سماء زبرجد ... كواكبها حب الجمال المنضد
أتينا إليها في الصباح نؤمها ... فبشت بوجه من خمائلها ندي
وقد عطرت أرجاؤها نفحة الصبا ... بألطف هبات وطيب تردد
ومن حولنا ماء الجداول رائق ... كصفحة سيف في الرياض مجرد

ومد علينا الدوح وارف ظله وكان بساط الروض فيهن أحمدي
فللّه ذاك اليوم ما كان في ألبها ألذ واهنا منه للمغرم الصدي

أتينا قبة السيار يوماً مع الأصحاب نركض في الصباح
ومنها هدمت أركان عز تخبر عن علا أهل السماح
وقد كان المسير على رياض معطرة بأنفاس الرياح
فغنت ساجفات الروح فينا مهيمنة بالسنة فصاح
فيا لك قبة رفعت وطارت على نسر السماء بلا جناح
تبث بها النسائم عرف زهر من الوادي وهاتيك النواحي

من بعض أقوال الشعراء في وصف الصالحية :

والصالحية يا لها من منزل فيها قبور الصالحين أولي التقى
وبها القصور العاليات تزخرفت مثل النجوم زهت بكل من ارتقى
تسمو على أطراف جلق بهجة وطلاوة فيها السرور تحققا
كم نزهة للعين فيها قد زهت وسرت على طرف الهموم فاطرقا

يا حبذا الربوة من دمشق بالفضل حازت قصبات السبق
فالأرض في طول وعرض دائماً لم تحو مثلك غربها والمشرق
لله وادي النيربين وظله لا الرقمتان وحاجز والابرق
وفي الربوة الفيحاء للقلب جاذب وللغبن مسلاة وللعين مرمق

ومن قول العارف النابلسي :

لي بوادي كيوان مجلس أنس حوله الماء دائر في السواقي
وإذا الغصن عانق الغصن ميلاً كدت أدري المعنى بذاك العناق

ومما قال السيد عبد الرحمن بن حمزة :

سقى الله عهد الصالحية والصبا وحيا زمانا مر في جانب السفح

مواطن أتراب ومربع صبوة ومرتع غزلان مخضرة الكشح
خلال قصور شاهقات تناظرت مناظرها تدعو المشوق الى الفتح

وقال موشحا لطيفاً الشيخ يعقوب الكيلاني الشامي

وسقاك الله وادي النيربين وكذا أعلاه غيث المطر
وكذا قاسيون ثم الشرفين نزهة الروح ونور البصر
حيث فيها النهر زاهي الطرفين في رياض وبزهر عطر

يا له واد به شرح الصدور طارد الغم ومجلى الكرب
حيث يممت نهر وزهور باسمات عن لأل شنب
نجتني اللذات فيها والسرور مع حبيب نلت منه مأرب

وقال موشحاً آخر الشيخ عبد الرحمن البهلول الدمشقي :

ما لواديها لعمري من نظير مسرح الأبصار مطلوب النفوس
كم لنل في روضة الغصن النضير صبوة أطيب من حسد الكؤوس
واز دهاء الجامع الرحب المنير غادر المدن كسوداء عروس

شامة الدنيا دمشق وكفى أنها مثوى الكرام الفطن
كيف لا وهي نبض المصطفى معدن الإيمان حين الفتن

وقال أيضاً ابن عبد الرزاق صاحب تاريخ دمشق :

يا لواديها المندى بالعيون في ربا ربوتها الرحب الوسيم
حيثما يممت نهر وعيون ونسيم لطفه يحييّ الرميم
طالما حييت واديه المصون والندى يثنيه أنفاس النسيم

بأبي والروح عالي الشرف دير مران بهى الأنس
لم تزل أكتاف ذاك الطرف با لبها تزهو على الأندلس
كم به الندمان بالأنس الوفي مزجو الصهبا بماء اللعس

وقد عن لي أن أذكر ما قيل في الأزاهر مما ترك الأول للآخر :

ظهر التغير في الزمان وأهله وفصوله اختلت الأركان
فربيعنا يحكي الشتاء وشتاؤنا يحكي الربيع كما اقتضاه زمان
فكأنما نيسان كانون الشتا وكان كانون الشتا نيسان

وقال ابن طباطبا في الآس :

الآس فرد بديع في محاسنه ما مثله في معانيه لموجود
يبدو بأغصانه خضرا ملينته كألسن الطير تشوى في السفافيد

وقال الشاعر :

انضر إلى الورد ما أحلى شمائله سبحان خالقه من يابس الحطب
كأنه وجنة المحبوب نقطها كف المحب بدينار من الذهب

وقال العارف النابلسي :

ورياض بالنيربين أنيقة تتثنى بها الغصون الرشيقة
وبها نسمة الصباح تمشت غضة رطبة الحبوب رقيقة
أسكرتنا بطيبها فانتشينا أزاحت عن الفؤاد حديقة
وجرت حولنا جداول ماء ذات ثغر قد أرشف الدوح ريقه
وعلى عودها البلابل غنت فأبانت من الغرام طريقة
وأهاجت صبابة واشتياق ولنا أذكرت عهوداً وثيقة

وصباح با لنيربين سعيد فيه ضجّ الحمام بالتغريد

يتمشى به رطيب نسيم شاقني بالهبوب والترديد
وجرى في الرياض جدول ماء كصقيل من السيوف حديد

ومما قاله الشاعر جورج أفندي صيدح :

يا ربوة لفحت با لزهر قامتها في دمر ولها في المرج أردان
يا جنة الأرض جفت في خمائلها منابع الرزق لن يرقاك جنان
أنهارك السبع ما درت لنا عسلا ولا جرت لرضيع الثدي ألبان
ضاقت سماؤك فالأضياء نافرة تكاد تخلو من الأوكار أغصان

ومما قاله الشاعر الكبير الدكتور أحمد زكي أبي شادي:

عيشي دمشق وان فجعت وان بكت حقاً عليك مآثر وعظام
عيشي فما ينسى بنوك وفاءهم كلا ولن يتضائل الاعلام
تلك الجراح وإن تبقى ذكرها عاراً على الجانين قد تلتام
والله ما أدري أجرحك حقه مني العزاء أم الدماء وسام

الخـــــاتمة

الحمد لله حق حمده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيّه ورسوله وعبده ، الذي ختم به الرسالة والنبوة ، فلا نبي من بعده ، وعلى آله وصحبه ، وأعوانه وجنده وسلم تسليما دائما وبعد :

جمعت في هذا المؤلف اللطيف ما استطعت انّ أجمعه عن جبل قاسيون وحيّ الصّالحية وتوابعه ، سائلا من الله تعالى التوفيق للصواب وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع الواقف عليه .

وما رواه ابن مسعود انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من دل على الخير فله مثل أجره ،[قائله أو فاعله] رواه ابن حبان ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جاريّة ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له) . وإنه حقّ على المؤرخ أن يعلم إلى أي مدى تمتد واجباته التاريخية ، أن يضع نصب عينيه أنه بحكم مهنته هذه مسؤول تجاه الرأي العام بتغزية عقول الناس بالمفيد من الابحاث القيمة التي تنير امامهم الصالح والطالح والمؤرخ مفروض عليه ان يقدم الكتابة في شؤون وطنه انه واجب المهنة واذا كتب في موضوع فلا يجب ان ينصرف عنه إلى سواه مالم يشبعه درساً وبحثاً وهو مرقاة النجاح للسلف بعد الخلف

وأسأل الله التوفيق والسلامة من الزلل ، والخطأ والسهو والخلل

حسن زكي الصواف

هاتف ٢٢١٢١٣٣

تلفاكس ٢٢١٧٤

المـراجـــع

الإشارات إلى الأماكن الزيارات	عثمان بن حمد السويدي الدمشقي
المسمى زيارات الشّام	المعروف بابن الحوراني
فضائل الشّام ودمشق	لأبي الحسن ابن محمد الربعي المالكي
العقد الثمين في مقام الأربعين	محمد أمين خادم مسجد الأربعين
الأعلام في فضل الشّام	أحمد العدوي العثماني الشهير بالمنيني
دفاتر شاميّة عتيقة	أحمد إيبش
في رحاب دمشق	محمد أحمد دهمان
العمارة العربيّة الإسلاميّة	د . عبد القادر الريحاوي
نزهة الأنام في محاسن الشّام	أبي البقاء عبد الله البدري
دمشق الأسرار	نصر الدين البحرة
روائع التراث في دمشق	د . عبد القادر الريحاوي
دمشق في مطلع القرن العشرين	أحمد حلمي العلاف
دمشق أقدم عاصمة في التاريخ	حسن زكي الصواف
دمشق تراثها ومعالمها التاريخيّة	د . عبد القادر الريحاوي
منادمة الأطلال ومسايرة الخيال	الشيخ عبد القادر بدران
تاريخ آداب اللغة العربيّة	جرجي زيدان
تاريخ مدينة دمشق	ابن عساكر
تقـي الـدين والهندسـة الميكانيكيّـة العربيّـة	د . أحمد يوسف الحسن
خطط الشّام	محمد كرد علي
القلائد الجوهريّة في تاريخ الصّالحية	محمد بن طولون الصالحي
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون	حاجي خليفة

منهج الإسلام	محمد خياطة
مرآة الشّام تاريخ دمشق وأهلها	عبد العزيز العظمة
دمشق تاريخ وصور	د. قتيبة الشهابي
مقالات صوفية	يوسف سامي اليوسف
حدائق الانعام في فضائل الشّام	عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرزاق الدمشقي
دمشق الشّام وصالحيتها	محمد أديب النابلسي
دمشق مدينة السحر والشعر	محمد كرد علي
حديث دمشقي	نجاة قصاب حسن
روائع العمالرة العربية والاسلامية	أحمد فائز الحمصي
طرائف وصور من دمشق	هاني الخير
منهج التجديد والاصلاح دراسةفي فكر الشيخ أحمد كفتارو	الدكتور محمد حبش
دمشق الشّام في نصوص الرحالين والجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين	أحمد الايبش ود. قتيبة الشهابي
تحفة الانام في فضائل الشّام	شمس الدين احمد بن محمد البصروي
معالم دمشق التاريخية	أحمد الايبش و د. قتيبة الشهابي
الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية	محمد عز الدين عربي كاتبي
منتخبات التواريخ لدمشق	محمد أديب آل تقي الدين الحصني